سجل تحت رقم 1193
بتاريخ 31 ماي 2008
الرقم

(TLEMCEN) 02/01 - 9019

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
جامعة ابي بكر بلقايد
تلمسان الجزائر

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

العلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك

إعداد الطالب:
عبد الرحمن بالأعرج

إشراف الدكتور:
مبخوت بودواية

15 DEC 2010
AR-13

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. عبد الحميد حاجيات	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان
د. مبخوت بودواية	مشرفا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. لخضر عبدلي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. معروف بلحاج	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان
د. بسنوسي الفوتي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان

السنة الجامعية

1428هـ/1429هـ 2007م/2008م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى والدي

وأساتذتي

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر والامتنان لكل من ساهم من قريب أو من بعيد في انجاز هذا العمل وأخص بالذكر:

- الأستاذ المشرف: الدكتور مبخوت بودواية.
- أساتذة قسم التاريخ بجامعة تلمسان.
- عمال المكتبات العامة والخاصة بمدينة تلمسان.
- القائمين على كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.
- أساتذة وعمال كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط.
- موظفي المكتبة الوطنية للمملكة المغربية.
- مركز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء.
- القائمين على إخراج هذا العمل في شكله النهائي.
- لجنة المناقشة التي تشرفني بمناقشة هذا العمل.

المقدمة

المقدمة

شهد المغرب الأوسط خلال تاريخه في العصر الوسيط تعاقب عدة دول تناوبت على حكمه لفترات، وتركت بصماتها السّياسية والثّقافية في مدنه وحواضره. وإلى غاية القرن 7 هـ/13م كانت دولة الموحدين تسيطر على هذا الجزء من بلاد المغرب، لكنها سرعان ما انهارت ليحل بنو زيان في حكمه ويؤسسون الدولة الزيانية التي تزامن قيامها مع قيام أقوى دولة بالمشرق الإسلامي وهي دولة المماليك التي اتخذت من مصر والقاهرة منطلقا لها لتتوسع بالشام والحجاز.

وارتبطت هاتان الدولتان بعلاقات متنوعة خاصة في الجانب الثقافي، وهو ما يتناوله موضوع هذا البحث المعنون بالعلاقات الثقافية بين دولة بني زيان والمماليك، اللّتين حكمتا المغرب الأوسط ومصر خلال الفترة الممتدة بين القرن السابع ومطلع القرن العاشر الهجريين/ الثالث عشر والسادس عشر الميلاديين.

وتكمن أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الثقافي لبلاد المغرب الإسلامي وعلاقته ببلاد المشرق، وكان اختيارنا له مبنيا على عوامل موضوعية تتعلق بضرورة البحث في تاريخ العلاقات بين بلاد المغرب والمشرق ومدى أثر هذه العلاقات على البلاد الإسلامية، إضافة إلى نقص الدراسات في هذا الجانب، وانطلاقا من ذلك تتحدد إشكالية الموضوع القائمة على مجموعة من التساؤلات أهمها:

- ما هي الأوضاع الثقافية العامة للمغرب الأوسط ومصر خلال الفترة المدروسة؟
- ما هي أبرز عوامل الاتصال الثقافي بين البلدين ؟
- وما هي مظاهر وآثار العلاقات الثقافية بالبلدين؟
- وما مدى مساهمة هذه العلاقات في تشكيل معالم الوحدة الثقافية الإسلامية بين المغرب المشرق؟

واتبعنا في الإجابة على هذه التساؤلات خطة مكونة من مدخل وأربعة فصول، حيث تناولنا في المدخل الواقع السياسي بالمغرب الأوسط ومصر في عهد بني زيان والمماليك، مركزين على خلفيات قيام الدولتين الزيانية والمملوكية وأصل حكامهما وأبرز أدوارهما التاريخية.

وخصصنا الفصلين الأول والثاني لدراسة الحياة الثقافية بالبلدين بشكل عام، وركزنا على مظاهر الحركة العلمية بعاصمتيهما تلمسان والقاهرة، ومدى ما بلغاه من تقدم وازدهار فكري خلال الفترة المدروسة، فعالجنا في الفصل الأول مظاهر النشاط الفكري والثقافي بالمغرب الأوسط من خلال إبراز دور تلمسان كمركز إشعاع ثقافي، والخلفية التاريخية لذلك، والتطرق إلى أبرز المؤسسات التعليمية من المساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا، وكذلك نظام التّعليم فيها، ثم أشهر العلماء الذين تخرجوا من هذه المؤسسات في مختلف أصناف العلوم النقلية والعقلية مقتصرين على تراجم مختصرة لهم.

ثم تطرقنا في الفصل الثاني إلى الحياة الثقافية بمصر في العصر المملوكي من خلال ذكر أهم المؤسسات التعليمية ونظام التعليم ومشاهير العلماء في أصناف العلوم النقلية والعقلية.

أما الفصل الثالث فخصصناه لدراسة عوامل الاتصال الثقافي بين البلدين، أو العوامل المؤثرة في ربط وتمتين العلاقات الثقافية بينهما ، فتطرقنا للعلاقات بين الحكام الزيانيين والمماليك من خلال دراسة الرسائل التي كانت متبادلة بينهم وأثر ذلك عل العلاقات الثقافية، ثم تطرقنا لدور الرحلة بين البلدين في ربط العلاقات الثقافية، مركزين على الرحلة في طلب العلم وحركة الطلبة والعلماء بين البلدين، كما لم نغفل دور الأندلسيين في تمتين هذه الروابط من خلال رحلاتهم ومشاركتهم في النشاط الثقافي بالبلدين.

وفي الفصل الرابع قمنا باختيار أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها العلاقات الثقافية، وآثار ذلك على البلدين، ولما كانت هذه العلاقات تشمل الميادين الدينية والروحية والعلمية والفنية، فقد

تطرقنا إلى مظاهرها دينيا وروحيا ثم علميا من خلال تبادل الإجازات والكتب والمصنفات والمناظرات العلمية.

وختمنا البحث بخاتمة هي عبارة عن استنتاج عام وإجابة عن التساؤلات المطروحة. كما أرفقناه بملاحق متنوعة لإثرائه .

أما المنهج المتبع في البحث فكان المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية التي تخدم الموضوع ونقدها وتحليلها، إضافة إلى المنهج المقارن الذي مكننا من ملاحظة الفروق في المستويات الثقافية بين البلدين.

ولا ننفي وجود بعض الصعوبات التي تواجه أي باحث في تاريخ المغرب الإسلامي، منها نقص المصادر المتخصصة في مجال العلاقات بين الدول خاصة جانب العلاقات الثقافية، ما أدى إلى الاعتماد على المصادر المتاحة واستغلال ما أمكن من المعلومات والأفكار التي تصب في خدمة الموضوع.

وفي ختام هذه المقدمة لا يفوتنا التنويه بدور الأستاذ المشرف الدكتور مبخوت بودواية في رعايته وتوجيهاته طيلة مدة إنجاز البحث.

دراســـــة المصـــــــادر

فرضت طبيعة الموضوع الاعتماد على مجموعة من المصادر المغربيّة و المشرقيّة، من كتب للتاريخ العام أو الخاص بإحدى الدولتين الزيانية أو المملوكية، إضافة إلى كتب التراجم و الطبقات ومصنّفات الرّحالة و الجغرافيين.

أ – المصادر الزيانيّة:

- كتاب **"بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"**، لأبي زكرياء يحي بن خلدون (ت:780هـ/1378م)، و هو في جزأين، خصّص الأوّل للتعريف بإقليم المغرب الأوسط وتاريخه إلى قيام الدّولة الزيانيّة و ذكر سلاطينها حتّى انتهاء الدّور الأوّل من تاريخها، كما احتوى هذا الجزء على تراجم مهمّة للعلماء لا توجد في غيره من المصادر. أمّا الجزء الثاني فقد خصّص لعهد أبي حمّو موسى الثاني وما شهده من نشاط سياسي وثقافي، وقد نشر الجزأين معًا ألفرد بل، كما قام الدكتور عبد الحميد حاجيات بتحقيق ونشر الجزء الأوّل.

- كتاب **"العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"** لـــ: عبد الرّحمن بن خلدون (ت:808 هـ/1406م)، خاصّة الجزء السّابع الذي خصّص منه قسما مهما للتعريف ببني عبد الواد وقيام دولتهم وتطوّرها حتّى عهد المؤلف،كما اهتم بذكر علاقاتها الخارجيّة، وانفرد بإيراد الرّسالة الّتي بعث بها السلطان الزياني أبي حمو موسى الأوّل إلى الملك النّاصر محمّد بن قلاوون المملوكي في خضم تطوّر العلاقات الزيانيّة المملوكية، وتكمن أهمية هذا المصدر في كون مؤلّفه قد عاصر الأحداث في المغرب والمشرق. كما تعد **"المقدمة"** لكتاب العبر من المصادر الهامّة لهذه الدّراسة لكونها تضمّ الجانب الثقافي والعلمي للدّول الإسلاميّة عمومًا، وتعرض فيها ابن خلدون لمناهج العلوم وتطورها بالعالم الإسلامي، ما يمكن الباحث من المقارنة بين المستوى الثقافي لكلّ من إقليم المغرب الأوسط ومصر.

- **"تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان"** لأبي عبد الله محمّد بن عبد الجليل التنسي (ت:899 هـ/1493م)، وقد حقّقه محمود بوعياد ونشر سنة 1985، وتناول فيه صاحبه الأدوار التاريخيّة للدّولة الزيانيّة منذ قيامها حتّى عهده، كما اهتم بذكر

ب – المصـــــــادر المملوكيـــــة:

- "**زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**" للأمير المملوكي ركن الدّين بيبرس المنصوري الدّوادار، (ت:725 هـ/1324م)، وكان أحد كبار الأمراء المماليك وشارك في الأحداث السياسيّة لعصره، كما كان من العلماء البارزين، ويعدّ كتابه زبدة الفكرة من أدقّ المصادر التاريخيّة للفترة المدروسة، وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده، ويشتمل في جزئه التاسع المحقّق من طرف زبيدة محمد عطا على الفترة ما بين 656 هـ/1256م إلى 709 هـ/1309م بطريقة الحوليات، حيث عالج كلّ سنة وما جرى فيها من أحداث سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة ومنجزات ثقافيّة،وضمّنه جملة كبيرة من الرّسائل والوثائق المملوكية،وتعرّض للعلاقات بين مصر وبلاد المغرب وباقي الدّول المجاورة، كما اعتنى بذكر وفيات أشهر العلماء بشكل مختصر في نهاية كلّ سنة .

- "**تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه**" للحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب (ت: 779هـ/1377م)، وهو عبارة عن تاريخ لأسرة قلاوون التي حكمت دولة المماليك البحرية لفترة طويلة من الزمن، وتكمن أهميته في ترجمته لسلاطين ال قلاوون وذكر منجزاتهم ، وكذالك في ملاحقه المتمثلة في وثائق وقف السلطان المنصور قلاوون على المنشآت و المؤسسات التعليمية التي أقامها بالقاهرة مع تحقيقها.

- "**نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**" لصارم الدّين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي المعروف بابن دُقماق (ت:809/1406م)، وقد كان جنديا في الجيش المملوكي، ثمّ اتجه لطلب العلم وألّف الكثير من الكتب التاريخيّة. وقد اعتمد في كتابه هذا على أسلوب التاريخ الحولي، وأورد تفاصيل مهمّة عن كيفيّة انتقال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك، كما ترجم لبعض العلماء والأعلام، واهتم بذكر بعض الأحداث الطبيعيّة كالزلازل والفيضانات وغيرها. كما يعد كتابه "**الانتصار لواسطة عقد الأمصار**" من أهم المصادر التي تكلمت عن مصر وجغرافيتها وخططها ومؤسساتها التعليمية بالتفصيل.

- "**كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**" لتقي الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي المقريزي (ت:845 هـ/1442م)، وقد كان من ضمن كتاب الإنشاء، كما تقلّد مناصب القضاء والحسبة، و يعدّ كتاب السلوك من أهم المصادر المملوكية و قد رتّبه على السّنين في عدّة أجزاء وأقسام، و أرخ فيه للفترة الممتدّة بين 577- 844 هـ/1181-1440م، وركّز على الأحداث السياسيّة، ورغم ذلك لم يهمل ذكر بعض المنجزات الثقافيّة لسلاطين المماليك كما ترجم لبعض

العلماء. كما يعد كتابه : "**المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**" المصدر الأساسي الذي اعتمدناه في التعريف بالمؤسّسات التعليمية المصرية في عصر المماليك، حيث يعدّ هذا الكتاب سجلاّ شاملا لخطط مصر العمرانية والجغرافية وأحوالها الزراعية والصناعية والمالية والإدارية فضلا عن الثقافية، كما ترجم فيه صاحبه لمجموعة من السلاطين المماليك.

- "**عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**" لبدر الدّين العيني (ت:855 هـ/1451م)، وهو تاريخ كبير، لكن الّذي يهمنا منه الأجزاء الثلاثة الأولى الّتي خصّصها صاحبها لعصر المماليك وهي محقّقة ومنشورة، و فيها ذكر الوقائع التاريخية بالاستناد إلى المصادر التي سبقته. إضافة إلى كتابه "**السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**" الذي خصصه لأحد سلاطين المماليك الجراسة، وتعرض لذكر أحوال مصر على عهده ومنجزاته الثقافية.

- "**النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة**"، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت:874 هـ/1469م)، الّذي كان أبوه من جملة الشخصيات السياسية بمصر، ما ساعده على التعرف على الوقائع بشكل دقيق، ويقع هذا الكتاب في عدّة أجزاء وفيه تناول المؤلّف تاريخ مصر والقاهرة منذ الفتح الإسلامي حتّى سنة 857 هـ/1453م وخصّص لتاريخ المماليك ثمانية أجزاء كاملة من كتابه، وتناول سيرة كلّ سلطان وما جرى في عهده من أحداث سياسيّة ومنجزات ثقافيّة وختم كلّ سيرة بملخّص، كما ترجم للكثير من العلماء المشارقة والمغاربة، وانفرد بذكر مقياس فيضان نهر النيل كلّ سنة متّبعًا طريقة الحوليات. إضافة إلى كتابه "**حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**" الذي هو عبارة عن ذيل لتاريخ المقريزي المسمى بالسلوك، كما ألف ابن تغري بردي كتاب "**مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة و الخلافة**" الذي خصصه لذكر الخلفاء العباسيين بمصر.

- "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" لأبي العبّاس شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد النّويري (ت:732 هـ/1332م)، و قد كان أحد رجال السلطان النّاصر محمد بن قلاوون، وتولى نظارة الجيش، كما اشتهر بموسوعته نهاية الأرب الّتي بلغت 31 مجلدا بها خمسة فنون، و كلّ فنّ به خمسة أبواب، أطولها الفنّ الخامس و هو التاريخ الّذي خصّص له قسما هامًا من كتابه وقد تناول في الأجزاء الأخيرة منه تاريخ المماليك مفصلاً كما عقد للظاهر بيبرس جزءًا خاصًا به، و لم يكتفي بالأحداث السياسيّة بل أورد الكثير من المنجزات الثقافيّة و تراجم بعض العلماء.

- "**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**" لأبي العبّاس أحمد بن علي القلقشندي (ت:821 هـ/1418م)، ويعتبر هذا الكتاب موسوعة و من أهم ما كتب بالعربيّة عن تاريخ مصر خلال عصر المماليك، خاصة و أنّ كاتبه اشتغل بديوان الإنشاء لفترة طويلة، ما مكنّه من الإطلاع على الوثائق الرّسميّة والمراسلات المملوكيّة الّتي قام بتوثيقها في موسوعته، كما سجّل لنا مواقع المدن و البلدان والممالك الإسلاميّة و أحوالها العامّة بما فيها الثقافية و العلميّة، و اعتنى بذكر المؤسّسات التعليميّة بمصر، وأفادنا في التعرف على معاني المصطلحات المملوكيّة، و الأهم من ذلك أنّه أورد الرّسالة التي بعث بها السلطان الزّياني أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل إلى نظيره النّاصر محمّد بن قلاوون المملوكي.

- "**الذّيل على العبر في خبر من عبر**" لأبي زرعة أحمد بن أبي الفضل عبد الرّحيم بن الحسين بن العراقي (ت:826 هـ/1423م)، و هو عبارة عن تاريخ حولي لدولة المماليك، كما يتميّز هذا المصدر بإيراده لتراجم العلماء بنحو من التفصيل.

- "**تاريخ ابن قاضي شهبة**" للقاضي تقي الدين بن قاضي شهبة الدّمشقي (ت:851 هـ/1448م)، الّذي عالج فيه تاريخ دولة المماليك و ترجم لجملة من العلماء.

- "**حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**" لجلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي (ت:911 هـ/1505م)، وقد جمع فيه تاريخ مصر ملخّصا منذ بداية الخليقة حتّى عصره، و أفادنا في كونه ترجم و لو بإيجاز للأعلام و العلماء المصريين و ذكر نبذة من تاريخ المؤسّسات التعليميّة من المساجد و المدارس. إضافة إلى كتاب آخر له و هو "**تاريخ الخلفاء**" الّذي أورد فيه قائمة للخلفاء العبّاسيين بالقاهرة وعرّف بهم و بأحوال مصر في عهدهم و علاقة السلاطين بهم.

- "**بدائع الزّهور في وقائع الدّهور**" لمحمد بن إياس الجركسي الحنفي (ت:930 هـ/ 1523م)، وقد اشتغل بعدّة وظائف سامية و تمكّن من تحرّي الدّقة في مؤلّفه الّذي خصّصه لتاريخ مصر مركّزًا على الفترة المتأخرة من عصر المماليك حتى سقوط دولتهم، وقد رتّبه على الشهور والأعوام ووصل حتى سنة 928 هـ/1521م، و ضمّنه تراجم السلاطين و الأعلام و ذكر المنجزات الثقافيّة.

- "**البداية و النهاية**" لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدّمشقي (ت:774 هـ/1372م)، و هو عبارة عن تاريخ عام و مطوّل، و قد اعتمدنا على الأجزاء المتعلّقة بالفترة المدروسة خاصّة الثالث عشر والرّابع عشر و فيها ترجم للأعلام و العلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

ج – كتب الطبقات و التراجم:

- "**كتاب البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**" لأبي عبد الله محمّد المليتي التلمساني المعروف بابن مريم (كان حيّا سنة 1025 هـ/1611م)، و هو عبارة عن تراجم لعلماء تلمسان والمغرب الأوسط و بعض المغاربة و المشارقة بنوع من التفصيل حيث ذكر شيوخ المترجم له وتلاميذه و رحلاته العلميّة و مؤلفاته.

- "**كتاب نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**"، لأبي العبّاس أحمد بن أحمد المعروف ببابا التنبكتي (ت:1032 هـ/1624م)، الّذي ترجم فيه لعلماء المغرب و الأندلس و المشرق تراجم وافية، و قد طبع على هامش "**الدّيباج المذّهب في معرفة أعيان علماء المذهب**" لبرهان الدين بن علي بن محمّد بن فرحون اليعمري (ت:799 هـ/1397م)، و الّذي خصّص لتراجم علماء المالكية بدءًا بالإمام مالك حتّى عصر المؤلّف. كما ألف التنبكتي كتاب "**كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**" الذي تعرض فيه لتراجم العلماء المالكية من المغرب والمشرق والأندلس عبر فترات التاريخ الإسلامي.

- "**نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**"، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد المقرّي التلمساني (ت:1041 هـ/1631م)، و هو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب و الأندلس، و قد خصّ علماء المغرب الأوسط بقسم وافر من كتابه و ترجم لهم تراجم وافية تعرّض من خلالها إلى رحلاتهم نحو مصر و من التَقَوْهُ من نظرائهم هناك و أخذوا عنهم و ذَكَر مصنفاتهم و تلاميذهم. كما تكمن أهميّة هذا المصدر في تعرّضه للمرتحلين من العلماء من الأندلس باتجاه المشرق و مساهمتهم في توثيق الروابط الثقافيّة بين أقاليم المشرق والمغرب عمومًا.

- "**شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**" لمحمد بن محمد مخلوف المالكي، و فيه تراجم لعلماء المالكيّة من مصر و المغرب الأوسط و باقي الأقاليم و البلدان الإسلاميّة.

- "**الوفيات**" لأبي العبّاس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفذ القسنطيني (ت:810 هـ/1406م)، و فيه تعرّض لذكر وفيات الأعلام من العلماء في الأقطار الإسلاميّة بإيجاز.

إضافة إلى كتاب "**عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لأبي العبّاس أحمد بن أحمد الغبريني (ت:704 هـ/1307م) ، وكتاب "**توشيح الديباج وحلية الابتهاج**" لبدر

الدين القرافي (ت: 946هـ/ 1533م) الذي تعرض فيه لتراجم علماء المغرب ومصر و الأندلس، وكتاب "**تعريف الخلف برجال السّلف**" لأبي القاسم الحفناوي.

- **كتاب ألف سنة من الوفيات** الذي حققه محمد حجي ، وهو يضم إضافة إلى وفيات ابن قنفذ الخطيب كتابي "**وفيات الونشريسي**" لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت:914هـ/1511م)، وكتاب "**لقط الفرائد من لفاظة حقائق الفوائد**" لأبي العباس لأحمد بن القاضي المكناسي (ت: 1025هـ/ 1615م).

- "**المنهل الصافي و المستوفى بعد الوافي**" لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي صاحب النّجوم الزّاهرة، و يتكوّن من عدّة أجزاء محقّقة، و فيه تراجم لأكثر من 2500 شخصيّة بين سلطان و أمير و خليفة و قاضي و أديب و متصوّف و طبيب و شاعر، مرتبا على الحروف.

- "**الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**" للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت:852 هـ/1449م)، في عدّة أجزاء خصّصها المؤلّف لتراجم مشاهير علماء و رجال القرن الثامن الهجري /14م مرتبا على حروف المعجم. وكتابه "**رفع الإصر عن قضاة مصر**" الذي خصصه للعلماء والفقهاء من الذين تولوا قضاء مصر عبر عهودها.

- "**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**" لشمس الدّين السّخاوي (ت:902 هـ/1498م)، وهو تكملة لكتاب الدّرر الكامنة، و فيه جمع تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري/ 15م من العلماء والقضاة و الرّواة و الأدباء و الشعراء و الخلفاء و الملوك و الأمراء من المشرق و المغرب و رتّبه على حروف المعجم، و هو يكتسي أهميّة كبيرة سوى ما نجده من بعض التحامل على بعض المترجمين لهم من العلماء . كما ألف كتاب "**الذيل على رفع الإصر**" لإبن حجر ترجم فيه جملة من العلماء والفقهاء.

- "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**" لابن خلّكان (ت:681 هـ/1283م)، و فيه تراجم لمشاهير علماء وشخصيات العالم الإسلامي حتّى عصر المؤلّف، و كتب ابن شاكر الكبتي (ت:764 هـ/1362م) ذيلا على هذا الكتاب سمّاه "**فوات الوفيات**" رتّبه على حروف المعجم وفيه ترجم لجملة من المشارقة و المغاربة.

- "**طبقات الأولياء**" لسراج الدّين أبي حفص عمر بن الملقّن المصري (ت:804 هـ/1400م)، وقد خصّصه لتراجم رجال التصوف الإسلامي في المشرق و المغرب حتّى عصره.

- "**سير أعلام النّبلاء**" لشمس الدّين الذّهبي (ت:748 هـ/1347م)، خاصّة الجزأين السّادس عشر والسّابع عشر المخصّصين لتراجم و الملوك و الأمراء و الخلفاء و خاصّة العلماء من الفقهاء والأدباء و الشعراء من المشرق و المغرب و الأندلس.

- "**نظم العقيان في أعيان الأعيان**" لجلال الدّين عبد الرّحمن السيوطي، و هو عبارة عن تراجم لمشاهير أهل القرن التاسع الهجري/15م في مصر و بلاد الشام و المغرب، ولسائر البلاد الإسلاميّة، إضافة إلى كتابه "**بغية الوعّاة**" الّذي خصّصه للّغويين و النّحاة في مصر وبعض البقاع الإسلاميّة، و"**طبقات الحفّاظ**" الذي خصّصه لحفّاظ وعلماء الحديث، وقد جاء مختصرًا ومفيدًا.

- "**الطبقات الكبرى أو لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**" لعبد الوهاب الشعراني (ت:973 هـ/1565م) في جزأين و هو عبارة عن قاموس لرجال التصوّف الإسلامي مشرقا و مغربًا.

- "**شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**" لابن العماد الحنبلي (ت:1089 هـ/1678م) في ثمانية أجزاء، ترجم فيه للعلماء و الحكّام عبر العصور الإسلامية حتى القرن العاشر الهجري/16م.

- "**البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**" للشّوكاني (ت:1250 هـ/1834م) في جزأين، وقد احتوى على تراجم لأعلام المشرق و المغرب من القرن السّابع حتّى عصر المؤلّف.

إضافة إلى كتاب "**نكت العميان في نكت العميان**" لخليل بن أيبك الصّفدي (ت:764 هـ/1362م)، و بعض الكتب الحديثة كالأعلام للزر كلي.

د – كتب الرّحّالة و الجغرافيين:

تكتسي هذه المصادر قيمة توثيقيّة تاريخيّة هامّة في مثل هذه الدّراسات لكونها تجسّد مدى التواصل الذين كان موجودًا بين أقاليم الدّول الإسلاميّة، و في مجال العلاقات بين المغرب الأوسط و مصر تأتي في مقدّمة ذلك المصادر:

- "**رحلة ابن خلدون**" لعبد الرّحمن بن خلدون و التي هي عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرّف فيها بشيوخه، و تعرّض لأحوال الدّول الّتي مرّ بها و عمل فيها بالمغرب و الأندلس ومصر، و العلاقات فيها بينها و الهدايا الّتي كانت متبادلة بين ملوك المغرب و مصر، مثل هدية أبي زيان بن أبي حمّو إلى الملك الظاهر برقوق المملوكي الجركسي و أورد القصيدة الّتي كانت برفقة الهديّة.

-"**رحلة عبد الباسط بن خليل**" المعروفة بالرّوض الباسم في أخبار العمر و التراجم لعبد الباسط بن خليل المصري (ت:920 هـ/1514م)، و قد نشر الجزء الخاص ببلاد المغرب المستشرق الفرنسي

روبرت برونشفك مترجما إلى الفرنسية إضافة إلى النّص العربي في كتاب رحلتان سنة 1936 بباريس. وتعدّ هذه الرّحلة سجلاّ هاما لرحّالة مصري زار المغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م، حين قضى مدّة بتلمسان و وهران مكّنته من الالتقاء بالعلماء و تبادل المعارف معهم، كما قدّم لنا في رحلته وصفا للحياة السياسية و التجارية و الاجتماعية و الثقافية عمومًا.

– "**رحلة القلصادي**" المسماة تمهيد الطالب و منتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل و المناقب لأبي الحسن علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (ت:891 هـ/1486م)، وتكمن أهميتها في التراجم الّتي أوردها القلصادي لشيوخه الذين أخذ عنهم بالمغرب الأوسط ومصر.

– "**رحلة ابن بطوطة**" المسماة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار لمحمّد بن عبد الله اللّواتي الطنجي (ت:776 هـ/1373م)، و هي رحلة حافلة بالمشاهدات و الأحداث التاريخيّة، كما تضمّنت وصفًا لمظاهر الحياة الثقافيّة فضلا عن السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية للأقطار الّتي زارها ابن بطوطة خاصّة مصر و البلاد المشرقيّة عمومًا.

– "**وصف إفريقيا**" للحسن بن محمّد الفاسي المعروف بليون الإفريقي (ت:957 هـ/1552م)، والّتي سجّل فيها وصف المدن و الأقاليم الّتي مرّ بها خاصّة بالمغرب الأوسط و مصر.

إضافة إلى ذلك يمكن "**رحلة ابن جبير**" لأبي الحسن بن جبير (ت:614 هـ/1217م)، وكتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" لأبي عبد الله الشريف الإدريسي (ت:548 هـ/1154م) في جزئه الخاص بإفريقيا و الأندلس و الّذي حقّقه إسماعيل العربي، وكتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب**" لأبي عبيد الله البكري (ت:487 هـ/1094م) وقد أفادتنا في التعريف بالمواقع الجغرافيّة من مدن و أقاليم.

وتكملة لما أوردته المصادر حول الموضوع استعنّا بمجموعة من المراجع و الدّراسات الحديثة المنشورة و غير المنشورة، وهي متخصّصة في تاريخ الدولتين الزيانية أو المملوكية سياسيا وثقافيّا و إن كان الجانب الثقافي يبقى بعيدًا عن عناية الباحثين، و من تلك المراجع:

كتاب "**أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره**"لعبد الحميد حاجيات، و كتابي "**تلمسان عبر العصور**" و "**الروابط الثقافيّة بين الجزائر و الخارج** "لمحمّد بن عمرو الطّمار، و" **تلمسان في العهد الزياني**" لعبد العزيز فيلالي، و كتاب "**نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية** "لبوزياني الدراجي، وكتاب "**الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخيّة و حضارية** لخالد بلعربي،

وكتاب "**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**" لمجموعة من المؤلفين، و كتاب "**تاريخ الجزائر العام**" لعبد الرّحمن الجيلالي، و "**العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة**" لعمار هلال.

وكتاب "**المماليك**" للسيد الباز العريني، و "**الدّولة المملوكيّة**" لأنطوان خليل ضومط ، وكتاب "**دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**" لعبد المنعم ماجد، و كتابي "**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**" و "**مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك**" لسعيد عبد الفتاح عاشور، و"**تاريخ دولة المماليك في مصر**" للسير وليم موير، و "**الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأوّل**" لعبد اللطيف حمزة، و"**خانقاوات الصوفيّة في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**" بجزأيه لعاصم محمد رزق.

ومن الرسائل الجامعية الأكاديمية، رسالة الدكتور لخضر عبدلي الموسومة "**الحياة الثقافيّة بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**"، و رسالة الدكتور مبخوت بودواية حول "**العلاقات الثقافيّة بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان**"، ورسالة إسكان الحسن الموسومة "**بجوانب من التعليم في المغرب الوسيط**" .

إضافة إلى بعض المراجع باللّغة الأجنبيّة مثل كتاب « les Etats de l'Occident musulmane » أو دوّل المغرب الإسلامي خلال القرن 13-15م لعطاء الله ذهينة، وكتاب Tlemcen لجورج مارسي وبعض المقالات المتخصّصة المنشورة في الدوريات والمجلات أوردناها في قائمة البيبليوغرافيا.

إنّ نظرة نقدية إلى مادّة الموضوع تبين لنا مدى تفاوت المصادر في عرض المعلومات والأفكار و الّتي تخدم موضوع البحث، فهي لا تشير صراحة إلى العلاقات الثقافيّة و إنّما على الباحث استنتاج ذلك من خلال تراجم العلماء المتوفرة في كتب الطبقات والتراجم، ومن خلال رحلات الحجيج و الطلبة من المغرب إلى المشرق أو من المشرق إلى المغرب و المدونة في كتب الرّحلات.

مدخل

الواقع السياسي بالبلدين

أولا: الدّولة الزيانية

1- أصل بني عبد الواد

2- استقرارهم بتلمسان

3- توليهم الحكم

4. دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدّولة

5. حدود الدّولة الزيانية

ثانيا: دولة المماليك

1. أصل المماليك

2. قيام دولة المماليك

3. دولتا المماليك

أ. دولة المماليك البحرية: (648-784 هـ/1250-1382م)

ب. دولة المماليك الجراكسة: (784-923 هـ/1382-1517م)

شهد العالم الإسلامي خلال النّصف الأوّل من القرن 7هـ/13م عدّة تحولات حاسمة مسّت مشرقه ومغربه على حدّ سواء، كان أبرزها تغير الخريطة السياسية بسقوط دول و قيام دول جديدة توزّعت حكم رقعته الشّاسعة، وبرزت أخطار هدّدت الوجود الإسلامي في كثير من أقاليم المشرق والمغرب، تمثلت على وجه التّحديد في حركة المغول الذين اتحدّت قبائلهم بزعامة تموجين (جنكيزخان)، وأسّسوا دولة توسّعت على حساب الأراضي الإسلامية، وكانوا عند مرورهم بالحواضر والمدن في بلدان ما وراء النّهر وخراسان وفارس والعراق يتلفون مظاهر الحضارة والعمران[1]، كما كانت الحركة الصّليبية لا تزال نشطة، وعمل الصليبيون ما في وسعهم للاستيلاء على الثغور والأماكن المقدسة في بلاد الشام و فلسطين ومصر[2] .

أمّا في الأندلس فقد اشتدّت حركة الاسترداد الّتي تزعمها ملوك الدّويلات النّصرانية الفتية بشبه الجزيرة الإيبيرية، وتساقطت المدن الإسلامية تباعًا، و تعرّض الأندلسيون للاضطهاد[3].

وفي خضم هذه التطورات كانت كلّ من بلاد المغرب و مصر تشهد أفول نجم دولتين كانتا من أقوى الدّول في التاريخ الإسلامي هما:

---

[1] – محمد بن علي بن نظيف الحموي، **التاريخ المنصوري تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان**، تح : أبو العيد دودو، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1990، ص 73-77، أبو الحسن بن الأثير الجزري، **الكامل في التاريخ**، ط 2 ، ج9، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967، ص 383-385؛ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، **البداية و النهاية**، ط 6، ج 13، مكتبة المعارف، بيروت، 1985، ص 117-121؛ شهاب الدين النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج 27، تر: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1985، ص 248 و ما يليها؛ جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، تح: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005، ص 357، فؤاد عبد المعطي الصياد، **المغول في التاريخ**، ج1 ، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1970، ص 19 و ما يليها ؛ أحمد صادق سعد، "المغول"، **مجلة آفاق عربيّة**، ع 4 ديسمبر 1976، ص 98.

[2] – عماد الدين الأصفهاني، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، المطبعة الخيريّة، مصر 1322هـ ، ص 14 و ما يليها ؛ ستيفن رنسيمان، **تاريخ الحروب الصليبيّة**، تر: الباز العربي، دار الثقافة، بيروت، 1954، ص 453 ؛ عبد المنعم ماجد، **الدّولة الأيوبيّة في تاريخ مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997، ص 33.

[3] – النويري، **تاريخ المغرب في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب**، تح: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص486- 487- عادل سعيد بشتاوي، **الأندلسيون المواركة**، المقطم للنشر و التوزيع، القاهرة، 1983، ص 91 – 92 ؛ لوي كردياك، **المورسكيون والمسيحيون**، تر: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلة التاريخيّة المغربيّة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، تونس – الجزائر، 1983، ص 89-120؛

Jean Brignon, (et autres) , **Histoire du Maroc**, Librairie Nationale, Casablanca, 1967, P137.

أ- الدّولة الموحدية:

الّتي تأسّست على يد المهدي محمد بن تومرت[1] وعرفت بالدّولة المؤمنية نسبة إلى عبد المؤمن بن علي[2]، وانطلق الموحدون من بلاد السّوس الأقصى، وبنو عقيدتهم على التّوحيد[3]، وشنّوا حربا فكرية وعسكرية على المرابطين، ووصفوهم بالتّجسيم[4] وتمكّنوا من إسقاط عاصمتهم مراكش وتوحيد أقاليم المغرب[5].

ولم تلبث دولة الموحدين أن عرفت عدّة اضطرابات عجّلت بسقوطها، خاصة ثورة بني غانية[6] واضطرابات الأندلس وموقعة العقاب سنة 609 هـ/1212م[7]، و ظهرت بوادر الانفصال في أقاليم الدّولة، فتأسّست دويلات جديدة ببلاد المغرب الإسلامي هي: دولة بني أبي حفص بإفريقية سنة 625-634 هـ/ 1227 – 1236م [8]، ودولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط سنة 633هـ/1235م، ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى سنة 668 هـ/1269م[9]، وتمكن بنو نصر من استخلاص الحكم لأنفسهم في الجزء الجنوبي بالأندلس[10].

---

[1] – ولد سنة 485هـ/1092م و ارتحل لطلب العلم بالمشرق، ثمّ عاد إلى المغرب و بويع سنة 515 هـ/ 1121م، توفي سنة 524 هـ/1130م. أبو بكر علي الصنهاجي البيذق، **أخبار المهدي بن تومرت**، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1975، ص 33 ؛ لسان الدين بن الخطيب، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام**، تح: أحمد مختار العبادي ، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964، ص 266 ؛ Rachid Bourouiba, **Ibn Tumart**, SNED, Alger, 1982, p 9 -

[2] – أصله من تاجرا قرب هنين، حكم من 524- 558 هـ/1130-1163م. عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006، ص 148 – أبو عبد الله الزركشي، **تاريخ الدولتين الموحدية و الحفصية**، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966، ص 13.

[3] – محمد بن تومرت، **أعز ما يطلب**، تح: عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 267.

[4] – محمد بن تومرت، المصدر نفسه، ص 242 – البيذق، المصدر السابق، ص 85.

[5] –عبد الحميد حاجيات، **تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين**،ضمن كتاب:الجزائر في التاريخ، ج3،المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص308.

[6] – هم من بقايا المرابطين، قدموا من الجزائر الشرقية (البليار)، و استولوا على عدّة أقاليم بالمغرب و أحدثوا خللاً كبيرًا للدولة الموحدية.المراكشي، المصدر السابق، ص 195 – 198 – عبد الرّحمان بن خلدون، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، ج 6، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981،ص395 – عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلاميّة في المغرب و الأندلس**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1969، ص 270 – 282.

[7] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 522 – 147 Brignon (et autres)، op-cit, p

[8] – نسبة إلى الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي،أعلنوا انفصالهم بالمغرب الأدنى وعاصمته تونس وتلقبوا بالموحدين– ابن خلدون، العبر،ج6، ص577– محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ابن أبي دينار)، **المؤنس في أخبار إفريقية و تونس**، ط 3، دار المسيرة، بيروت، 1993، ص153 – 200.

[9] –بنو مرين فرع من فروع زناتة، أسقطوا مراكش عاصمة الموحدين وأسسوا دولتهم على أنقاضهم.ابن خلدون، العبر، ج7، ص 342 – 345. Atallah Dhina, **Les Etats de l'Occident Musulman**, ENAL, O.P.U, Alger, 1984, p37 – Brignon op.cit,p.141 .

[10] – بنو نصر أو بني الأحمر نسبة إلى الشيخ يوسف بن نصر حكموا الأندلس حتّى سقوط غرناطة 897 هـ/ 1492م. لسان الدين بن الخطيب، **تاريخ اسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام**، تح: ليفي بروفسال، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 2006، ص 292 – ابن خلدون العبر، ج4، 366- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ص 348.

ب – الدّولة الأيّوبية:

الّتي قامت على أنقاض دولة الفاطميين[1]، ومؤسّسها هو صلاح الدين يوسف بن أيوب[2]، و توسعت في بلاد الشام والحجاز، واستمرّت لغاية 648 هـ/1250م[3].
و لم تسلم هذه الدّولة من ظاهرة الانفصال بالحصون والأقاليم البعيدة عن مقر السلطة المركزية بالقاهرة أواخر عهدها، ممّا أتاح الفرصة لبروز المماليك واستيلائهم على الحكم.

لقد كانت دولة بني عبد الواد أو الدّولة الزيانية وريثة الموحدين في حكم إقليم المغرب الأوسط[4]، كما كانت دولة المماليك وريثة الأيوبيين في حكم مصر[5]، وكانت ظروف وملابسات قيام هاتين الدولتين مختلفة في كلّ من الإقليمين، وعرفتا عدّة تطورات سياسية عبر أدوارهما التاريخية.

---

[1] – الفاطميون إحدى طوائف الشيعة العلويّة الإسماعليّة، أسّسوا دولتهم بالمغرب ثم انطلقوا إلى مصر و أسسوا مدينة القاهرة. تقي الدين المقريزي، **كتاب المقفي الكبير**، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 53، 99، 331 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 63 – 344 – حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الدولة الفاطمية**، ط2، مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، 1958، ص 82.

[2] – هو صلاح الدين يوسف بن أيوب الكردي، تولى وزارة العاضد الفاطمي و تلقب بالملك الناصر ثمّ أبطل رسوم الدولة الفاطمية و حارب الشيعة من مصر و استبد بالدّولة من 567 – 589هـ. شهاب الدين المقدسي (أبو شامة)، **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين**، ج1، تح: محمد أحمد محمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962، ص 680 – جمال الدين بن واصل، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، ج2، تح: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1956، ص110- بهاء الدين بن شداد، **النوادر السلطانية بالمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين**، تح: جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ص47- تقي الدين المقريزي، **كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج1، تح: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، 1956، ص 41-114.

[3] – المكين جرجس بن العميد، **أخبار الأيوبين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت)، ص 6 – 38 عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية، المرجع السابق، ص 138.

[4] – يطلق اسم المغرب الأوسط على الإقليم الواقع بين إفريقية و المغرب الأقصى، و تحديدًا من بلاد الزاب شرقا إلى نهر ملوية غربًا. أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، ط 2، ج1، ليدن، 1938 ، ص 60-90 ؛ يحيى بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج1، تح: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1980، ص 84- لخضر عبدلي، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005، ص 18-19.

[5] – سميت مصر نسبة إلى مصرايم بن حام بن نوح، وحدّد الجغرافيون طولها من رفح والعريش إلى أسوان، و عرضها من برقة إلى أيلة في مسيرة 40 ليلة في مثلها. أبو القاسم عبيد الله بن خرداذبة، **المسالك و الممالك**، طبعة ليدن، 1889، ص 82-84 – المقريزي، **كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**، ج1، ط2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987، ص 14-18- ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج5، دار صادر، بيروت، 1986، ص 137.

أولا: الدّولة الزيانية:

1. أصل بني عبد الواد:

تنسب الدّولة الزيانية إلى بني عبد الواد، و هم فرع من فروع الطّبقة الثّانية من زناتة[1]، و أصل تسميتهم عائد إلى جدّهم عابد الوادي، وهم من ولد سجيح بن واسين بن يصليتن بن مسرى بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر، وكانوا عدّة بطون هي: بنو ياتكتن، بنو وللو، بنو تومرت، بنو ورسطف و بنو مصوجة، ويضاف إليهم بنو القاسم الذين ينتسب إليهم بنو زيان حكام الدّولة الزيانية[2].

وذكرت بعض المصادر[3] أن القاسم بن محمد من نسل السّليمانيين[4]، كان حاكما على مدينة تلمسان من قبل الأدارسة[5]، ولما تغلب عليه الفاطميون دخل بني عبد الواد الذين كانوا يسكنون بالصحراء جنوب تلمسان، فأصهر فيهم وعقّب"عقبا مباركًا"، وإليه ينتسب ملوك بني زيان[6]، وقد فنّد عبد الرّحمن بن خلدون هذه الرواية وكذلك قضية النّسب الشّريف للزيانيين،

---

[1] – زناتة من قبائل البتر البربرية، و يرجع النسابة أصلها إلى شانا أو جانا بن يحي بن صولات بن ورماك بن ضرى بن زحيك بن ماد غيس بن بر، و كانوا عدة فروع إضافة إلى بني الواد منهم: بنو مرين – مغراوة – توجين – مليكش – بنويفرن. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962، ص 495 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 4- 12- ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 106-محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984، ص 15-21.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 149 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 186 – محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص 109.

[3] – محمد بن عبد الله التنسي، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدر والعقيان**، تح:عبد الحميد حاجيات،المؤسّسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1984، ص67.

[4] – السليمانيون من بني سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخوة الأدارسة، تملكوا المغرب الأوسط خلال ق 3 هـ/9م و توزّعوا إمارات تلمسان – أرشكول- تاهرت – تنس. ابن حزم، المصدر السابق، ص 48 – ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 34 – التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 65-68- أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة و المغرب مقتطف من المسالك و الممالك**، ترجمة وتحقيق بالفرنسيّة: البارون دي سلان، مكتبة أمريكا و الشرق، باريس، 1965، ص 77 – محمد علي الدين الحسني النجفي، **كتاب بحر الأنساب المسمى المشجر الكشاف لأصول السادة و الأشراف**، مصر، (د.ت)، ص 25.

[5] – الأدارسة: من ولد إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي فرّ من المشرق و قدم بلاد المغرب الأقصى و أسّس دولته و فتح تلمسان سنة 173 هـ /790م- ابن حزم، المصدر السابق، ص 49 – ابن خلدون، العبر، ج4، ص 23-34- التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 35- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة **فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص183- 208- علي الدين النجفي، المصدر السابق، ص 25- السلاوي الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تح: جعفر و محمد الناصري، دار الكتب، الدار البيضاء، 1954، ص 143-155.

6- التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 67 – تاريخ بني زيان، ص 109-110.

وذكر أنّ يغمراسن بن زيان لما سئل عن ذلك أجاب قائلا:" إذا كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأمّا الدنيا فإنّما نلناها بسيوفنا"[1].

2 . استقرارهم بتلمسان:

كان بنو عبد الواد عبارة عن قبائل رحل يجوبون صحراء المغرب الأوسط بحثا عن المراعي بين سجلماسة[2] ومنطقة الزاب[3] بإفريقية، ولما قام عبقة بن نافع الفهري[4] بحركته في بلاد المغرب فاتحًا، ساندوه وشكلوا فرقة من جيشه تابعت معه فتوحاته غربًا[5].

ولما حلّ عرب بني هلال[6] بالمغرب انزاح بنو عبد الواد أمامهم من الزّاب واستقروا في منطقة جنوب وهران[7]، وفي عهد المرابطين حضروا مع يوسف بن تاشفين[8] معركة الزلاقة[9].

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 149.

[2] – سجلماسة: مدينة تقع ناحية تافيلالت جنوب شرق مدينة فاس على تخوم الصحراء، و كانت من أهم المراكز التجاريّة على طريق الذهب القادم من بلاد السودان الغربي. البكري، المصدر السابق، ص 148 – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 91.

[3] – الزاب: منطقة سهلية تقع بين جبال أولاد نايل غربا و جبال الأوراس شرقا، أشهر حواضرها طبنة و بسكرة. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **القارة الإفريقيّة و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تح: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 164 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 123.

[4] – عقبة بن نافع الفهري فاتح المغرب و باني مدينة القيروان، استشهد في موقعة تهودة ضد البربر سنة 63 هـ/682م. عز الدين بن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، ج3، دون مكان و تاريخ نشر و طبع، ص 420 – أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج4، تح: محمد حسن، مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002، ص 16- ابن عذارى المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج1، تح: كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980، ص 19-38.

[5] – يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 186.

[6] – بنو هلال: بطن من عامر بن صعصعة، و كانوا أهل بلاد صعيد مصر، ثمّ دخلوا بلاد المغرب خلال ق 5 هـ/11م فيما عرف بتغريبة بني هلال. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 27 – محمد أمين البغدادي السويدي، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت)، ص 160.

[7] – وهران: أحد أهم موانئ المغرب الأوسط شمال شرق تلمسان. البكري، المصدر السابق، ص 81 – أحمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 185.
Henri Léon Fey, **Histoire d'Oran**, Edition Dar El-Gharb, Oran, 2002, p.33-54.

[8] – هو أمير المرابطين، تولى الحكم من سنة 452 هـ/1060م حتّى 500 هـ/1106م. ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تح: الكتاني و العبادي)، ص 231.

[9] – كانت معركة الزلاقة الّتي وقعت سنة 479 هـ/1086م من المعارك الحاسمة في التاريخ الإسلامي، انتصر فيها المسلمون على النصارى. المراكشي، المصدر السابق، ص 99 – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (تح: العبادي)، ص 242- مؤلف مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، المغرب، 1979، ص 24-38.

ولما أراد إبراهيم بن علان الصنهاجي إتمام مخططه، والتخلّص من مشيخة بني عبد الواد، اكتشف أمره فقبض عليه و على أعوانه و قُيّدوا، ودخل جابر بن يوسف وإخوته مدينة تلمسان وأعاد الدّعوة للمأمون الموحدي، و أصبح أميرها من قبله، فضبط أمورها، و قام بحركة لضمّ بطون بني عبد الواد إلى سلطته، و لما أراد إخضاع مدينة ندرومة[1] وحاصرها أصابه سهم أودى بحياته آواخر سنة 629 هـ/1231م[2].

بعد وفاة جابر بن يوسف، خلفه ابنه الحسن الّذي تولى لمدّة ستّة أشهر، ثمّ تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف مطلع سنة 630 هـ/1232م، وخلفه أبو عزة زيدان بن زيان، وكان قويّا وشجاعًا، وأطاعته جميع البطون والقبائل وامتنع عن مبايعته بنو مطهر[3] وبنو راشد[4]، فحاربهم وقتل في إحدى المعارك سنة 633 هـ/1235م[5]، فخلفه يغمراسن بن زيان الذي يعتبر المؤسّس الحقيقي للدولة الزيانية.

4. دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدّولة:

هو يغمرا سن بن زيان بن ثابت بن محمد، ولد حوالي 603 هـ/1206م، و تولى حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد الرّشيد بن المأمون[6] الذي كتب له بالعهد على ولاية المغرب الأوسط

---

[1] – ندرومة: مدينة تقع شمال غرب تلمسان، و هي قريبة من ميناء هنين أسّس بها المرابطون مسجدًا. البكري، المصدر السابق، ص 80 – الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص 13.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 153 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 199 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 112 – 113 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 31 – بوزياني الدراجي، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 24-25.

[3] – بنو مطهر: من قبائل زناتة و هم أبناء عمومة بني عبد الواد. ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 148.

[4] – بنو راشد: من بطون زناتة، كانت مواطنهم بالصحراء ثمّ استوطنوا الجبال شرق تلمسان. ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 315.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 157 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 200 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115-116.

[6] – حكم من 630 هـ/1232م إلى 640 هـ/1242م، و في عهده ازداد اضطراب دولة الموحدين و ضعفت كثيرًا ممّا سمح للقبائل الزناتية بالاستقلال و تأسيس دول و إمارات. ابن خلدون، العبر ج6، ص 532 – روجي لي تورنو، المرجع السابق، ص 112-113.

و عاصمته تلمسان، و كان ذلك بداية ملكه[1].

وكان يغمراسن بن زيان يتميّز بصفات وخصال أهلته للقيام بدور كبير في وضع الأسس المتينة لدولة بني عبد الواد النّاشئة، وتميّز بمواقفه الحربية الكثيرة، خاصّة ضدّ قبائل بني توجين[2] ومغراوة[3]، حيث خرّب مواطنهم في محاولة منه لإخضاعهم وضمّهم إلى سلطته، كما كانت له مع بني مرين بالمغرب الأقصى عدّة حروب وكذلك مع بني حفص شرقا، ورغم هزائمه أمامهم كان يدافع عن مملكته محاولا حمايتها من الأخطار الّتي كانت تتهددها شرقا وغربًا[4] ، وبدأ في توسيع حدودها على حساب أقاليم الدّولة الموحدية الّتي كانت تتداعى إلى السقوط، ثمّ قام بإلغاء سلطة الموحدين على تلمسان واستقلّ بها مع إبقائه على الدعاء و الخطبة للخليفة الموحدي وذكر اسمه في السّكة[5]، ونازعه بنو مطهر وبنو راشد لكنّه هزمهم، و أقام الدّولة على قواعد متينة، فاتخذ الوزراء والكتاب والقضاة[6] ، واستمر عهده حتّى سنة 681هـ/1282م ما مكّنه من توطيد ملكه وتأسيس نظم دولة جديدة بالمغرب الأوسط.

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 162 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 204 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115 – 116 – اسماعيل بن الأحمر، **روضة النسرين في دولة بني مرين**، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص45- لسان الدين بن الخطيب، **شرح رقم الحلل في نظم الدول**، تح: عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، 1990، ص230- عطاء الله دهينة، **الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص 360 – خالد بلعربي، **الدّولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة سياسية و حضاريّة**، 633-681 هـ/1235-1282م، تلمسان، 2005، ص 50 – عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، ج1، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعة، الجزائر، 2002، ص 21 – عبد الرّحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ديوان المطبوعات الجامعيّة، دار الثقافة، الجزائر – بيروت، 1982، ص 148 – مبخوت بودواية، **العلاقات الثقافية و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005-2006، ص 15-

Charles André Julien, **Histoire de l'Afrique du Nord**, T2, SNED, Alger, 1975, p.154-156- Brignon, op.cit, p.136. Barges (L.J.L), **complément de l'Histoire des Beni-Zeiyan Rois de Tlemcen**, Paris, 1887, p.21- Sidi-Ahmed Bouali, **les deux grands sièges de Tlemcen**, ENAL, Alger, 1984, p.26.

[2] – بنو توجين : من قبائل زناتة، كانت مواطنهم شرق تلمسان في منطقة المدية و الونشريس. ابن خلدون، العبر، ج7، ص318- مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت)، ص 471.

[3] – مغراوة: من قبائل زناتة، كانت مواطنهم شمال ونشريس و وادي شلف إلى غاية البحر، و من المتيجة إلى وادي مينا. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 50 – الميلي، المرجع السابق، ج2، ص 467 – محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 19.

[4] – محمد بن الأعرج السلماني، زبدة **التاريخ** وزهرة الشماريخ، ج1، تح: عبد الرزاق بنواحي، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1996-1997، ص133.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 162- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 53 – Julien, op.cit, p.156

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

5. حدود الدّولة الزيانية:

شغلت الدّولة الزيانية إقليم المغرب الأوسط، و عمل حكامها بدءًا بجدّهم يغمراسن بن زيان على توسيع حدودها و تثبيت قواعدها و ضم القبائل إلى سلطتهم.

وتمكن يغمراسن من التوسع غربًا، و صار الحد الفاصل بينه و بين دولة بني مرين بالمغرب الأقصى وادي ملوية، كما امتدّ نفوذه إلى مدينة وجدة[1] وتاوريرت وإقليم فجيج[2] في الجنوب الغربي.

وتوسع في الداخل وأخضع مازونة[3] وتنس[4] والونشريس والمدية[5] ومواطن مغراوة وتوجين، وسهل المتيجة حتّى أطراف مدينة بجاية[6]، أمّا جنوبًا فامتدت دولته حتّى تخوم الصحراء[7].

وحاول خلفاؤه تثبيت الحدود الّتي ورثوها عن مؤسّس دولتهم، وكان يغمراسن قد ترك وصية لخليفته ينصحه فيها بالتوسع على حساب الأقاليم الشرقية، واتقاء خطر بني مرين[8].

---

[1] – مدينة غرب تلمسان على بعد 3 مراحل بنيت سنة 440 هـ. البكري، المصدر السابق، ص 87 -88- الوزان، المصدر السابق،ج2، ص 12.

[2] – إقليم مكون من ثلاث كور وسط الصحراء تُحيط به الواحات، و كان بها تجارة المنسوجات مع بلاد السودان. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 132-133 Bouali, op.cit p. 129 -

[3] – مازونة: أسست سن 565هـ على يد بني منديل من مغراوة، و كان موقعها يمتاز بوفرة المباني و خصوبة الأراضي. الإدريسي، المصدر السابق، ص 172 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 36 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 85 – 86.

[4] – تنس: مرسى صغير أسسه الفنيقيون للتجارة، و عمّره المهاجرون الأندلسيون سنة 262هـ . البكري، المصدر السابق، ج2، ص 35- عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص138.

[5] – المدية: سميت نسبة لإحدى بطون صنهاجة، و كانت أهم مدن إقليم تيطري. البكري، المصدر السابق، ص 65 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 41.

[6] – بجاية: مدينة قديمة، كانت عاصمة لدولة بني حماد، و صارت خلال ق 8هـ/14م عاصمة لفرع من الحفصيين، و كانت تعرف ازدهارًا تجاريا و ثقافيًا كبيرًا. الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 50- يحي بوعزيز، "مركز بجاية الحضاري" ، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص 1 – 16 مولاي بلحميسي، "دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين و الحفصيين"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية 1974، ص 561 .

[7] – حول توسعات يغمراسن يمكن الرجوع إلى: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 168-188 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205 – 207 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 115-128.

[8] – ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 189.

وفي عهد أبي حمو موسى الأوّل[1] وابنه أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل[2]، توغلت جيوش بني عبد الواد في الأراضي الحفصية شرقا وبلغت بجاية وقسنطينة[3] وعنابة[4] وحاصرتها، بل وصلت مدينة تونس عاصمة بني حفص نفسها في عهد أبي تاشفين، لكنّها تراجعت إلى حدود بجاية، وكان ذلك أقصى اتساع للدولة من جهة الشرق[5].

لم تكن حدود الدّولة الزيانية ثابتة و مستقرّة، بل كانت بين مد وجزر تبعًا للظروف السياسية و الأخطار الخارجية، و كانت لا تتجاوز في بعض عهودها أسوار العاصمة تلمسان، مثلما حصل أيام الحصار المريني لها سنة 699 هـ إلى 706 هـ/1299 – 1307م[6]، بل اختفت معالمها نهائيا عندما هاجمها أبو الحسن المريني[7] سنة 737 هـ/1337م، إلى غاية إحيائها من جديد على يد أبي حمو موسى الثاني سنة 760 هـ/1359م[8].

---

[1] – حكم من 707هـ حتى 718هـ/1307 – 1318م، و كان حاز ما في سياسته الداخليّة و الخارجيّة و استطاع إخضاع عدّة أقاليم بالمغرب الأوسط. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213 – 215 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 132.
Gaïd, **les Berbères dans l'histoire**, T2, Edition Mimouni, Alger (S.D), p.199-200.

[2] – تولى بعد قتل أبيه أبي حمو موسى الأوّل سنة 718هـ/1318م و استمرّ حتى 737هـ/1377م، و كان عهده خاتمة الدور الأوّل من تاريخ دولة بني زيان . يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216 – 219 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139 – Gaïd, op.cit, p.201

[3] – قسنطينة: مدينة قديمة كانت محصنة و منيعة و اشتهرت منذ عهد الرومان بقناطرها. البكري، المصدر السابق، ص 63 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 55.

[4] – عنابة: أو بونة، مدينة قديمة كان يقصدها التجار من أوروبا، و كان بها بساتين و أراضيها خصبة. ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 75 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 61.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 220 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 213-216. التنسي، المصدر السابق، ص 136-144 – عطاء دهينة، العصر الذهبي للزيانيين، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، ج3، ص 383-386. عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 40.

[6] – حول هذا الحصار يمكن الرّجوع إلى: ابن خلدون، العبر، ج7، ص 194 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 210 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 130- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص386- ابن الأحرج، زبدة التاريخ، ص161- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص25- عطاء الله دهينة، **الحصار الطويل**، ضمن كتاب: الجزائر في تاريخ، ج3، ص 369-379- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 27 – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 24 – Bouali, op.cit, p.373-Brignon, op.cit, p.142

[7] – حكم من 732 هـ/1332م إلى 749 هـ/1351م. و قام بدور كبير في جهاد الممالك النصرانية بالأندلس، ثمّ قام بحركة كبيرة لإخضاع و توحيد بلاد المغرب. محمد بن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، تح: ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 125 و ما يليها – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 532، عطاء الله دهينة، الغزو المريني، في كتاب : الجزائر في التاريخ، ج 3، ص 389 – الحلل الموشية، ص 179 – Jean Brignon, op.cit,p149 – Bouali, op.cit, p.140

[8] – عبد الحميد حاجيات، إحياء الدّولة الزيانية، في كتاب، الجزائر في التاريخ، ج9، ص 401-402. و حكم أبو حمو موسى الثاني من 760-791 هـ/1359-1389م و كان سلطانا و مفكرًا و أديبًا. حاجيات، **أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره**، للشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1934، ص 69 و ما يليها – ابن الأحرج، زبدة التاريخ، ص203.

و مجمل القول أن حدود الدّولة الزيانية كانت تمتد من تخوم بجاية و بلاد الزاب شرقا إلى وادي ملوية غربًا، و من ساحل البحر شمالاً إلى إقليم توات[1]جنوبًا، و بقيت هذه الحدود في مد وجزر بسبب هجمات بني مرين غربًا و بني حفص شرقًا و كانت العاصمة مدينة تلمسان.

ثانيا: دولة المماليك:

حكمت دولة المماليك[2] مصر والشام من سنة 648هـ إلى 923 هـ/1250-1517م، والّذي ميز تاريخ هذه الدّولة عن غيرها من دول العالم الإسلامي هو أن حكامها و جيشها كانوا عبارة عن رقيق أو مماليك، وكانوا طبقة غريبة عن المجتمع المصري، و اتسم تاريخهم بغلبة الطابع العسكري و الاغتيالات والحروب، و إدخال نظم و اصطلاحات جديدة في الحكم لم تكن معروفة من قبل في مصر.

1. أصل المماليك:

عرف استخدام الرقيق في الجيوش الإسلامية في عهد الدولة العباسية عندما استكثر منهم الخليفة المعتصم بالله[3]، وخصص لهم الأرزاق من بيت المال، وقد استبدّ هؤلاء بالحكم وتسيير شؤون الدولة و حجروا على الخليفة العبّاسي[4].

كما اعتمد السّلاجقة[5] على الرقيق في جيشهم، وهم أوّل من أسّس لقواعد تربية المماليك وحدّدوا علاقتهم بالحكام[6].

---

[1] - إقليم توات: هو المنطقة الواقعة جنوب المغرب الأوسط على تخوم بلاد السودان الغربي، و كان عبارة عن مجموعة من القصور و الواحات، وربطته علاقات تجارية و ثقافيّة مع السودان، و اشتهر بقضية اليهود التي أثارها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي. للمزيد من التفصيل انظر دراسة: مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 238-243.

[2] - يطلق لفظ المملوك على فئة من العبيد كان يختص بها الخلفاء و الأمراء لتكوين فرق خاصة في جيوشهم. ابن منظور المصري، **لسان العرب**، مج10، دار صادر، بيروت، 1990، ص 493.

[3] - أبو إسحاق محمد المعتصم بالله العباسي (218-227 هـ/833-842م)، بويع بعد وفاة المأمون و كان يلقب بالمثمن . المطهر طاهر المقدسي، **كتاب البدء و التاريخ**، مج6، مكتبة الثقافة الدينية، مصر (د.ت)، ص 114-120.

[4] - أحمد بن واضح اليعقوبي، **البلدان**، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002، ص 55 – محمد بن علي بن طبا طبا، **الفخري في الآداب السلطانية و الدول الإسلاميّة**، تح: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب (سوريا)، 1997، ص 228.

[5] - السلاجقة: سلالة من الترك حكموا المنطقة الممتدّة من بلاد الروم و الأناضول و الشام إلى بلاد فارس و ما وراء النهر من 432-589 هـ، المقريزي، السلوك، ج1، ص 31-41- النويري، نهاية الأرب، ج26، ص 267.

[6] - منى محمد بدر محمد بهجت، **أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبية و المملوكية بمصر**، ج1، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة، 2002، ص 17-26.

أمّا في مصر، فكان الطولونيون[1] والإخشيديون[2] أوّل من استخدم المماليك، و نهج نهجهم الفاطميون[3].

ولما تمكن صلاح الدين يوسف بن أيوب من إسقاط الدّولة الفاطمية وتأسيس الدّولة الأيوبية، اعتمد على العناصر المملوكية متبعًا في ذلك التّقاليد السّلجوقية[4]، وكان للظّروف السّياسية بالمشرق خاصة الحروب الصّليبية دافع مهم لإكثار الأيوبيين من المماليك لتقوية جيشهم. و عقب وفاة صلاح الدين الأيوبي توزعت دولته إلى إمارات صغيرة كان يحكمها أفراد من البيت الأيوبي و جرى التناحر فيما بينهم، ممّا دفع بالأمراء إلى جلب المزيد من المماليك لتقوية جانبهم ضد خصومهم، و عملوا على تنشئتهم و تدريبهم[5].

وفي أواخر عهد الدّولة الأيوبية بمصر تمكّن هؤلاء المماليك من الاستيلاء على الحكم وتأسيس دولتهم.

ويعود أصل المماليك الذين تنسب إليهم الدّولة المملوكية إلى أجناس مختلفة أهمها التّرك[6]، وكانت مواطنهم في المنطقة الممتدّة من شمال الصّين و الهند إلى بلاد القوقاز مرورا بالتّركستان[7] ومنطقة بحر قزوين، وكان المسلمون منذ فتحهم لهذه المناطق في عهد الأمويين يسبون منهم ويتخذونهم للمهن و الخدمة[8].

---

[1] – الطولونيون: نسبة إلى أحمد بن طولون، حكموا مصر من 254 إلى 292 هـ/868 – 905م. محمد بن يوسف الكندي، **ولاة مصر**، دار صادر بيروت، (د.ت)، ص 239-240- النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 11-34.

[2] – الإخشيديون: ينسبون إلى محمد بن طغج الإخشيد الذي أسس دولته بمصر و دامت من 323 -358 هـ/935-969م. الكندي، المصدر السابق، ص 301-310- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء و الملوك و النواب**، ط2، تح: إحسان بنت سعيد الخلوصي، زهير حميدان، دار صادر، بيروت، 1999، ص 277.

[3] – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 37 – المقريزي، المقفى الكبير، ص 382، 408.

[4] – مني نهجت، المرجع السابق، ج1، ص 95.

[5] – ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 28.

[6] – الترك من ولد ترك بن كومر بن يافث حسب النسابة، و كانوا عدة شعوب أهمها: القفجاق و هم الخفشاخ و التتر أو الططر و الخزلخية والخور و هم الغز الذين كان منهم ملوك السلاجقة، و العلان و الشركس أو الجركس و الروس و غيرهم. أبو العباس القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب**، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت، 1990، ص 25-26- زكريا بن محمود القزويني، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص 580-588- ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 31 – النويري، نهاية الأرب، ج26، ص 386-387.

[7] – التركستان: اسم جامع لجميع بلاد الترك، حدها من الصين إلى بحر قزوين، و كانت أرضها مليئة بقبائل الترك الذين كانوا يعيشون على النهب و الصيد والغارات. القزويني، المصدر السابق، ص 514.

[8] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 798-799.

ولما قامت دولة المغول و توسعت على حساب الأراضي السّابقة الذّكر، كثر السّبي بين شعوب و قبائل التّرك، خاصة القفجاق[1] والرّوس[2] والجركس[3]، وامتلأت أيدي تلك النواحي برقيقهم، و اشتراهم التّجار و باعوهم للملوك الأيوبيين الذين أخذوا يستكثرون منهم لتقوية عصبيتهم طالما كانوا أكرادًا غرباء عن أرض مصر[4].

وأصبحت تجارة المماليك تجارة رسمية، وصار سلاطين بني أيوب يكلفون بعض التجار بجلب أنواع معيّنة من الرّقيق ليختصّوا بها، و ازدهرت هذه التّجارة، و اشترك فيها التجار الأروبيون لما كانت تدرّه من أرباح، و أنشأ البنادقة والجنويون محطّات لتجارة المماليك على شواطئ البحر الأسود، و امتد نشاطهم إلى أوروبا و كانوا يبيعون اليونانيين و السلاف و الصّرب والألبان والأرمن و الجورجيين، و ذلك رغم صدور قرار تحريم هذه التجارة من طرف البابا[5].

وكان المماليك يصلون إلى الموانئ المصرية خاصة دمياط[6] والإسكندرية[7]، و منها كانوا ينقلون إلى القاهرة أين خصصت أماكن لبيعهم حسب أثمانهم[8]، و بعد ما يقتنيهم السّلاطين والأمراء كانوا يلحقون بمكان يسمى الطّباق، و هو عبارة عن مدرسة عسكرية، وفيه يتعلمون الخط والقرآن و يدرّبون على فنون الحرب والفروسية كركوب الخيل والقتال بالسّيف والرّمح، وكان يشرف عليهم أساتذة متخصصون اتبعوا في تعليمهم نظامًا دقيقًا جدّا، وبعدها يعتق المملوك

---

[1] – القفجاق أو القبجاق فرع من الأتراك كانت مساكنهم جنوب روسيا. و القبجق كلمة جركسية معناها النازح من سفح الجبل. المقريزي، السلوك، ج1، ص 633.

[2] – الرّوس قوم من الصقالبة كانوا يعيشون شمال بحر قروين و غربه. ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 154 – القزويني، المصدر السابق، ص586 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 79 – أحمد الشنتاوي، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، مج10، مصر، (د.ت)، ص 223.

[3] – الجركس جنس من الترك تنسب إليهم دولة المماليك الجراكسة.بدر الدين العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد، تح: فهيم محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص26-27.

[4] – صارم الدين بن دقماق، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تح: سمير طبارة، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص 210 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 803.

[5] – عبد المنعم ماجد، **دولة سلاطين المماليك و رسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1964، ص 12 – أنطوان خليل ضومط، **الدولة المملوكية**، ط2، دار الحداثة، بيروت، 1982، ص 25-26.

[6] – دمياط: من أشهر الموانئ المصرية على البحر الرومي و على جانب النيل، و كانت مخرج التجارة المصرية إلى أوروبا، و كان يقصدها التجار البنادقة بالخصوص، و اشتهرت بصناعة السكر. المقريزي، الخطط، ج1، ص 213-225 – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 152 – القزويني، المصدر السابق، ص 193.

[7] – الإسكندريّة: ثغر مصر على البحر الرومي، وكانت إحدى أكبر المراكز التجارية و الثقافية في مصر المملوكية. المقريزي، الخطط، ج1، ص 87-175 – ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 182.

[8] – أنطوان خليل، المرجع السابق، ص 26.

ويسلم له سلاح و فرس و لباس خاص وإقطاع يبقى ملكا له، ثمّ يترقى المماليك في الرّتب حتّى يصلون مرتبة الإمارة الّتي كانت تهيئهم للوظائف العليا في البلاط والجيش وحتى السلطنة[1].

2. قيام دولة المماليك:

كانت مصر قبل مجيء المماليك تحت حكم الأيوبيين، و كان السّلطان صلاح الدين الأيوبي وأخيه الملك العادل أبي بكر[2] ثمّ خلفاؤهم من بعدهم قد أكثروا من جلب المماليك، واختص منهم الملك الصالح نجم الدين أيوب[3] بالمبالغة في ذلك، حتى أصبح عامّة جيشه وخاصته من المماليك الذين سمّاهم البحرية و أسكنهم معه في القلعة[4] الّتي بناها بإحدى جزر النّيل قرب فسطاط مصر، و كان من كبرائهم: عز الدين أيبك الجاشنكير التّركماني[5] ، وفارس الدّين أقطاي الجمدار[6] ، و ركن الدّين بيبرس البندقداري[7].

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 524-525 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 803 – السيد الباز العريني، **المماليك**، دار النهضة العربية، بيروت، 1967، ص 84 – 264.

[2] – الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب ولد سنة 540هـ/ 1143م و توفي سنة 615هـ/1218م. ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 28 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 78-79 – الأصفهاني، الفتح القسي، ص 360 – 363 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 406- النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 9.

[3] – الملك الصالح نجم الدين أبو الفتوح بن السلطان الكامل محمد بن الملك العادل، ولد سنة 603هـ/1206م وتوفي سنة 647 هـ/1248م، وكانت مدّة حكمه من637هـ/1239م إلى غاية وفاته. المقريزي، السلوك،ج1، ص 296-339– ابن كثير، المصدر السابق، ج 13، ص 153 – 177 – النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 268. شمس الدين الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج 16، تح: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص 445-448- ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص375.

[4] – بنيت على جزيرة الروضة، و تحول إليها كرسي الملك بعدما كانت قلعة الجبل التي بناها صلاح الدين هي مقر الحكم. المقريزي، الخطط، ج2، ص 201-236- أبو العباس القلقشندى، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج3، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النّشر، القاهرة، 1985، ص 368.

[5] – المعز عز الدين أيبك التركماني الصالحي، كان من مماليك الصالح نجم الدين أيوب، و ترقى في الوظائف حتى صار جاشنكيرًا أي المتصدي لذوق المأكول و المشروب السلطاني خوفا من السّم. أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة**، ج7، تح: إبراهيم علي طرخان، المؤسّسة المصرية العامة، القاهرة (د.ت)، ص 4 – النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 419.

[6] – فارس الدين أقطاي: كان من فرسان مماليك الصالح أيوب، أقطع الإسكندرية و مات مقتولا سنة 652 هـ/1252م. و كان جمادارًا أي الّذي يتولى إلباس السلطان ثيابه. النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 429 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 20 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص812- الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 451.

[7] – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 210.

وقد أبلى هؤلاء المماليك البلاء الحسن في قتال الفرنج الذين استولوا على دمياط سنة 647 هـ/ 1249م بقيادة ملكهم لويس التاسع[1] فيما عرف بالحملة الصّليبية السّابعة، و كانت هذه الحملة قد انطلقت من ميناء مرسيليا بفرنسا في 4 جمادي أولى 646 هـ/ 25 أوت 1248م، ووصلت دمياط في 21 صفر 647 هـ/جويلية 1249م، و دخل الفرنج المدينة دون قتال بعدما هجرها أهلها، و بقيت بدون دفاع، فقام الملك الصالح نجم الدين أيوب بجمع قواته في المنصورة[2] و نظم منها دفاعه رغم مرضه، و توفي بعد ذلك بقليل في شعبان 647 هـ/22 نوفمبر 1249م بعد أن عهد لابنه تورانشاه بولاية العهد[3].

تدبّرت زوجة الملك الصالح شجرة الدّر[4] الأمر و كتمت خبر موت زوجها، وأرسلت في استدعاء تورانشاه الّذي كان حاكما بإحدى الحصون شمال العراق، وتسرب خبر موت الملك الصالح إلى لويس التاسع، فسارع بقواته إلى المنصورة، و عندئذ ظهر المماليك البحرية، فتركوا الصليبيين يدخلون المدينة، فتاهوا في أزقتها و انقضّوا عليهم و هزموهم[5].

ولما قدم الملك تورانشاه، اصطدم المماليك بالفرنج مرّة أخرى في فارسكور[6] في المحرم 648 هـ/أبريل 1250م، و هزموهم و قتل منهم الكثير و أسر ملكهم لويس التاسع وسجن بالمنصورة[7]، و تمّ إفشال الحملة الصليبية السابعة على مصر، لكن و رغم هذه الانتصارات الّتي حققها المماليك، فإنّ الملك تورانشاه أعرض عنهم و أساء إليهم و اعتقل الكثير منهم و هدد

---

[1] – الملك لويس التاسع و كان يلقب بريدا فرانس عند المسلمين، ولد سنة 612 هـ/ 1214م، قام بحملة صليبية على دمياط، و أخرى على تونس مات خلالها بالطاعون سنة 669 هـ/1270م. الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 62.

[2] – مدينة بناها الملك الكامل سنة 616 هـ/1218م عندما ملك الفرنج دمياط للمرة الأولى سنة 615 هـ/1218م، و صارت مدينة كبيرة بها الحمامات و الفنادق و الأسواق. المقريزي، الخطط، ج1، ص 231 – ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 71-72- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 212- ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص33.

[3] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 939 – النويري، ج29، ص 337.

[4] – أصلها تركي، كانت محظية عند الملك الصالح و أنجبت منه ابنا اسمه خليل مات صغيرًا. ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 199 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 361 – النويري، نهاية الأرب، ج 29، ص 362- ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، ج6، تح: محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1990، ص219- بدر الدين العيني، **عقدالجمان في تاريخ أهل الزمان**، ج1، تح: محمد أمين،دارالكتب، القاهرة، 1978، ص165.

[5] – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 180 – المقريزي السلوك، ج1، ص 351 – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 356- عبد الفتاح عاشور، **مصر و الشام في عصر الأيوبيين و المماليك**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1972، ص 111 – عبد العزيز سالم، سحر السيد عبد العزيز سالم، **دراسة في تاريخ الأيوبيين و المماليك**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997، ص 176 .

[6] – من قرى مصر قرب دمياط. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 227.

[7] – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 355 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 356 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 367 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 178.

شجرة الدّر و طالبها بمال أبيه الملك الصّالح، فاستاء المماليك من أفعاله الّتي أضرّت بهم كثيرًا، و نفروا منه واتّفقوا على قتله و نفذوا ذلك في 29 محرم 648 هـ/ماي 1250م، و بقتله انقرضت دولة بني أيوب[1].

اتفق المماليك البحريّة على إقامة زوجة الملك الصالح شجرة الدّر عصمة الدّين أم خليل ملكة على مصر، و حلفوا لها في 10 صفر 648 هـ/1250م، و رتبوا الأمير عزّ الدّين أيبك التركماني الصالحي أحد كبراء المماليك مقدما للعسكر و نائبا للسلطنة[2].

وكانت شجرة الدّر تدبّر أمور الدّولة، و توقّع على المناشير، وكان يُخطّب باسمها على منابر مصر والقاهرة، و في 29 ربيع ثاني 648 هـ/1250م، تزوّجت الأمير عزّ الدين أيبك، و تنازلت له على السلطنة بعدما حكمت لمدّة ثمانين يومًا[3]، و كانت فترة حكمها الفاصل بين سقوط الدّولة الأيوبيّة و قيام دولة المماليك، و إن كان بعض المؤرخين يضعها على رأس قائمة سلاطين المماليك بالديار المصرية[4].

3. دولتا المماليك:

تقسم دولة المماليك تاريخيا إلى عصرين أو دولتين، هما دولة المماليك البحرية و دولة المماليك الجراكسة.

أ. دولة المماليك البحرية: 648-784 هـ/1250-1382م :

وتسمى أيضا بالدولة التركية لأن أغلب حكامها كانوا من أصل تركي، و هم الذين اختص بهم الملك الصالح نجم الدين أيوب و اعتمد عليهم في توطيد ملكه و أسكنهم معه في قلعة جزيرة الرّوضة في نهر النيل و سمّاهم البحرية، و كانوا دون الألف مملوك[5].

---

[1] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 38 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 353 – 361 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 360.

[2] – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 362 – 363 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 4.

[3] – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 194-195.

[4] – يقول عنها المقريزي: "و هي أوّل من ملك مصر من ملوك الترك المماليك". انظر : السلوك، ج1، ص 363.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 236 – ابن خلدون، **التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981، ص 1143.

وكـــان عدد سلاطين هذه الدّولة 24 سلطانًا، أولهـــم السلـــطان عز الدين أيبـــك التركماني الصـــالحي الّـــذي تولى سنة 648 هـ/ 1250م، و آخرهم الملـــك السلـــطان الصالح صـــلاح الدين حـــاجي بن شعبـــان بـــن حسين بن النـــاصر محـــمد بن قلاوون الّـــذي خـــلعه الجـــراكسة سنة 784 هـ/1381م[1].

واشتـــهر من سلاطـــين هذه الـــدّولة المظفر سيف الـــدين قطز الّذي تولى الحكم سنة 657 هـ/1259م، و هو ثالث ملوكهم[2] ، و ذكر بعض المؤرخين أنّه ابن أخت خوارزم شاه جلال الدّين و أنّ اسمه الأصلي محمود[3] ، و في عهده وقـــعت معركة عين جالوت بأرض فلسطين، الّتي أوقفت زحـــف التتـــار نحو الدّيار المصرية في يوم الجمعة 25 رمضان 658 هـ/1260م[4]، وتمكن المظفر قطز عقبها من تحرير كثير من أراضي الشام، حتّى دخل دمشق، وعند عودته إلى مصر اغتيل و تولى الحكم مكانه الملك الظّاهر بيبرس البندقداري[5] الّذي يعد المؤسّس الفعلي للدّولة المملوكية و واضع نظمها، و في عهده توسع نفوذ المماليك إلى بلاد الشّام والحجاز، وصار الظّاهر بيبرس يلقّب بسلطان الدّيار المصرية و البلاد الشّـــامية والأقطار الحجازيّة[6]، ولعلّ أهم عمل قام به هو إحياؤه لرسوم الخلافة العـــبّاسية بالقـــاهرة ســـنة 659 هـ/1261م بعد ما اختفت معالمـــها منذ تخـــريب بغداد عـــلى يد المغـــول سنة

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 240 – عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم و الأخبار**، المطبعة العامرية، مصر، 1322 هـ، ص 20.

[2] – ابن العميد، المصدر السابق، ص 48 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 469 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 254 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 72 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 417 – بيبرس الدوادار، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تح: زبيدة محمد عطا، عين للدراسات و البحوث الإنسانيّة و الاجتماعيّة، القاهرة، 2001، ص 71 – 72.

[3] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 453 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 456.

[4] – أسهبت المصادر التاريخية في ذكر هذه المعركة لأهميتها التاريخية. انظر: أبو الفداء الملك المؤيد، **المختصر في أخبار البشر**، ج2، تح: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص 314 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 455 – ابن العميد، المصدر السابق، ص 53 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 79 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 263- المقريزي، السلوك، ج1، ص 427-429 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 220-222 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 472 – ابن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، ج1، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص 306 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 363.

[5] – أصله تركي، أخذ من بلاده وبيع بدمشق و اشتراه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحي ت 684 هـ/1288م و به سمي البندقداري أي الذي يحمل جراوة البندق خلف حضرة السلطان، ثم صار من مماليك الصالح نجم الدين أيوب الذي اعتقه و قدمه على طائفة الجمدارية لما كان له من الفطنة و الذكاء و حضر واقعة دمياط، و هو الذي قتل سيف الدين قطز. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 94-25 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 436 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 222 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 458 – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 307 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 15 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 458- العيني، السيف المهند، ص45.

[6] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 83 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 94.

656 هـ/1258م، وقتل الخليفة العبّاسي المستعصم بالله[1]، وأمسى المسلمون في موقف لم يعتادوه منذ عهد الرّسول صلى الله عليه وسلم، واستغل الظاهر بيبرس فرصة وصول أحد أبناء البيت العبّاسي إلى دمشق و هو الأمير أحمد بن الظّاهر بن النّاصر العبّاسي[2] فأرسل في استدعائه إلى مصر، واستقبله السّلطان بحفاوة كبيرة وإكرام، و عقد له مجلسًا بالقلعة، وجمع القضاة و العلماء و الأمراء ليشهدوا بصحة ثبوت نسب ذلك الأمير إلى آل العبّاس، و بعد إثبات نسبه بايعه السّلطان كخليفة جديد وتلقب بالمستنصر بالله، و تبعه القضاة و العلماء و سائر النّاس، كما قام الخليفة بدوره بتقليد الظاهر بيبرس السلطنة وسط حفل كبير[3]، و بذلك صار للمماليك شرف الزعامة الروحية على العالم الإسلامي بعدما صارت عاصمتهم مدينة القاهرة مقرّ رسميا للخلفاء العباسيين.

ثمّ قام الظّاهر بيبرس بحركة واسعة لتحرير حصون الشّام من بقايا الصّليبيين، و تمكّن من طردهم ومناصفتهم في حصون أخرى و وضع عمّاله و نوابه فيها[4] ، واستمرّ عهده حتّى وفاته سنة 676 هـ/1279م[5].

---

[1] – هو أبو أحمد عبد الله المستعصم بالله آخر خلفاء بني العبّاس بويع سنة 640 هـ/1242م، قتله هولاكو بعدما استولى على بغداد وخرّبها. ابن تغري بردي، المنهل الصافي ، ج7، ص 126-129 – ابن كثير، المصدر السابق، ج13، ص 160 – ابن طباطبا، المصدر السابق، ص 317 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 355-ابن تغري بردي، مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، ح1، تح: نبيل محمد عبد العزيز، مطبوعات، دار الكتب، المصرية، القاهرة، 1997، ص232-235 – رشيد عبد الله الجميلي، حملة هولاكو على بغداد (656هـ)، **مجلة المورد**، مج8، ع4، بغداد 1919، ص 62-64.

[2] – هو أبو القاسم أحمد الظاهر (ت 660 هـ/1263م)، كان معتقلا ببغداد ثمّ نجا إلى الشام، و هو الخليفة الثامن و الثلاثون من خلفاء العباسيين. الذهبي، المصدر السّابق، ج16، ص 432 – السويدي، المصدر السّابق، ص 394- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 365.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 895 – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 86 – ابن دقماق، المصدر السابق، ص 276 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 29. و يرى بعض المؤرخين أنّ إعلان الظاهر بيبرس للخلافة العبّاسيّة بالقاهرة كان كرد فعل على إعلان المستنصر الحفصي للخلافة بتونس و مبايعة شريف مكة له. انظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص 634 – ابن أبي دينار، المصدر السّابق، ص 315-316- أبو عبد الله بن الشماع، الأدلة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص59- أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003، ص 125 – و لم تكن للخلفاء العباسيين بالقاهرة سلطة تذكر سوى ذكرهم في الخطبة و السكة. انظر: السويدي، المصدر السابق، ص 397- ابن تغري بردي، مورد اللطافة، ج1، ص236- 239.

[4] – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 229 و ما يليها – محمد بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات و الذيل عليها**، ج1، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 166 – زين الدين بن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج2، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969، ص320- عزمي عبد أبو عليان، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس، عمان، 1995، ص 27 – 69.

[5] – بيبرس الدوادار المصدر السابق، ص 159-160 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 177 – المقريزي، السلوك، ج1، ص636 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 369.

و يعتبر عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[1] تاسع ملوك البحرية عصر الأوج في الحكم المملوكي بمصر، وكانت فترة حكمه الأطول بين سلاطين المماليك، حيث امتدّت من 693 هـ/1295م حتى وفاته سنة 741 هـ/1341م ، وتخللتها عدّة اضطرابات سياسيّة وثورات[2]. وقد أكثر هذا السلطان من جلب المماليك خاصّة من بلاد الرّوم، و أبطل كثيرًا من النظم خاصّة نيابة السلطنة و تفرّد بالحكم، و امتدّ نفوذه من بلاد المغرب إلى الشام والنوبة والحجاز والسودان، وهاداه و راسله ملوك الهند والصين و الحبشة والتكرور والترك و الإفرنج والرّوم و المغرب[3] ، واستمرّ الحكم في ذرّيته حتى قيام دولة الجراكسة[4].

ب. دولة المماليك الجراكسة: 784-923 هـ/1382-1517م:

سميت هذه الدّولة باسم الجراكسة أو الشراكسة لأنّ سلاطينها كانوا من جنس الجركس، كما تسمى بالبرجية أيضا نسبة إلى أبراج القلعة أين كان يقطن مؤسّسوها[5].

ونشأت فرقة المماليك الجراكسة في عهد السلطان المنصور قلاوون[6] ، الّذي أراد تكوين طائفة جديدة من المماليك تكون موالية له دون غيره من الأمراء المنافسين له، فكوّنها من جنس الجركس الّذين كانوا ينتشرون شمال بحر قزوين و شرقي البحر الأسود، بعدما اشترى أعدادًا كبيرة منهم وأسكنهم بجواره في أبراج القلعة[7] ، و تعهدهم بنفسه، وأشرف على تربيتهم و تدريبهم

---

[1] - ولد سنة 684 هـ/1286م، و حكم و عمره 9 سنوات على 3 فترات بين عزل و عودة . محمد بن علي الشوكاني، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ج2، مطبعة السعادة، القاهرة 1348 هـ، ص 236-235 – النويري، نهاية الأرب، ج31، ص 7- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ الأيوبي و المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1992، ص 250.

[2] - سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر و الشام، المرجع السابق، ص 204-215.

[3] - القلقشندى، صبح الأعشى، ج8، ص 63 -- 119.

[4] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 239-240.

[5] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 241 – العيني، السيف المهند، ص26- السير و ليم موير، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، تر: محمد عابدين، سليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة 1995، ص 40.

[6]- أصله من القفجاق، و بيع بألف دينار في مصر فسمي بالألفي، ثم ملكه الصالح أيوب و ترقى إلى رتبة أتابك العسكر في عهد العادل سلامش بن الظاهر بيبرس، و ازداد نفوذه حتى اختير سلطانا سنة 679 هـ/1280م. انظر: بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 176-178 – ابن تغري بردي، النجوم الزّاهرة، ج7، ص 292 – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 361 – ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص324- العيني، السيف المهند، ص45- محمد إسماعيل الحداد، **السلطان المنصور قلاوون**، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص 15-27 – العبادي، في التاريخ الأيوبي و المملوكي، ص 233.

[7] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 241 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 327 – اسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 42-43.

فنون الفروسيّة، و أغدق عليهم المال و الطعام، والملبس، وبلغ عددهم في نهاية عهده ما بين ثلاثة آلاف و سبعة آلاف مملوك[1].

واقتفى السّلطان الأشرف خليل[2] بن المنصور أثر أبيه، واشترى حوالي ألفي مملوك جركسي، فأصبح الجراكسة قوّة كبيرة وتطلع أمراؤهم إلى السّلطنة ، و ساعدهم على ذلك سماح السّلطان خليل لهم بالنزول من أبراج القلعة إلى القاهرة فاختلطوا بغيرهم من المماليك وشاركوا في الصّراع الذي كان قائما بين الطّوائف المملوكّة حول الحكم[3].

اصطدم الجراكسة بالمماليك الأتراك، وحدث بينهم صراع خطير اتخذ أبعادًا عنصرية وطائفية[4] ، وبرز من بين الأمراء الجراكسة شخصيّة برقوق الجركسي العثماني[5]، الذي كان يمتاز بالذكاء و قوة التدبير، فاستغل الفوضى السياسيّة الّتي حدثت في أواخر عهد المماليك البحريّة، ورسم خطّة مبنية على : العمل في الخفاء على ضرب الأمراء الكبار بعضهم ببعض، وتولي منصب هام يمكنه من التحكم في الجيش، و إخفاء تعصّبه لعنصره[6].

---

[1] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 361- المقريزي، السلوك، ج1، ص 755 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 327.

[2] – حكم من 687 هـ/1288م إلى 693 هـ/1293م، و في عهده فتحت عكا آخر معقل للصليبيين ببلاد الشام و فلسطين في 690 هـ/ماي 1291م. بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 288 – 312.

[3] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 289-300 – الباز العريني، المرجع السابق، ص 85.

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 41-160.

[5] – هو برقوق بن أنص الظاهر أبو سعيد الجركسي العثماني نسبة إلى جالبه من بلاد جركس الخواجا عثمان، واشتراه الأمير يلبغا الناصري، وسمي برقوقا لنتوء في عينيه. شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التّاسع**، ج3، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص 11- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 1 و ما يليها – محمد بن طولون الصالحي الدمشقي، إعلام أهل الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تح: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1964، ص68- العيني، السيف المهند، ص46- 63- أحمد دهمان، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، ط2، دار الفكر، دمشق، 1981، ص 247.

[6] – أنطوان خليل، المرجع السابق، ص 281-283.

وشرع برقوق في تنفيذ مخططه، فترقى إلى أمير طبلخانة[1] ، ثمّ رقّاه الأمير يلبغا الناصري[2] إلى إمرة مائة و تقدمة ألف[3] ، ثمّ صار أتابكا على العسكر وقائد للجيش، و مهّد للقضاء على أصحابه ومنافسيه، و جمع حوله الجراكسة و استغل جميع الفرص المتاحة للوصول إلى الحكم[4].

وفي سنة 783 هـ/1381م، توفي السلطان شعبان، و جمع برقوق الخليفة و الأمراء و أقاموا حاجي ابنه على العرش و كان عمره تسع سنوات[5] ، و تقوّى مركز برقوق، و بدأ يتقرّب إلى المجتمع المصري بإلغاء المكوس فرخصت الأسعار فسرّ الشعب و أعجب به[6] .

وفي 784 هـ/1382م دعا برقوق إلى اجتماع ضمّ الخليفة و الأمراء و القضاة، فتكلّم أحد القضاة قائلاً: "إنّ أحوال المملكة قد فسدت، و زاد فساد العربان و خامر غالب نواب الشام[7]، وخرجوا عن الطاعة، و الأحوال غير مستقيمة، و إن الوقت قد ضاق، و محتاجون إلى إقامة سلطان كبير تجتمع فيه الكلمة و يسكن الاضطراب"[8] ، فخُلِع الصالح حاجي بن شعبان، وتسلطن برقوق مكانه و تلقب بالملك الظاهر[9] ، و بذلك انقرضت دولة المماليك البحريّة، و تولى الحكم مكانهم المماليك الجراكسة.

---

[1] – أمير طبل خانة: من مراتب أرباب السيوف، كان صاحبها يلي في الرّتبة أمير مائة مقدم ألف، و سمي كذلك لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما كان يفعل السلاطين و الأمراء المئين، و يسمّى أيضا أمير 40 لتراسه 40 فارسًا. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 15.

[2] – يلبغا الناصري: كان من كبراء أمراء المماليك، أصبح نائبا للشام في فترة حكم برقوق، و قام بثورة كبيرة و حكم لبعض الوقت ثمّ قبض عليه. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 32-33 – ابن خلدون، التعريف، ص 1139-1163 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 543 – ابن طولون، إعلام أهل الورى، ص19- أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 188.

[3] – أمير مائة مقدم ألف: أعلى رتبة في الجيش بالنسبة للأمراء المماليك، و كانت خاصة بأرباب السيوف، و كان في خدمة صاحبها 100 مملوك، و كان يختار من طبقتها نواب السلطنة و كبار موظفي الدولة. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 14.

[4] – المقريزي، السلوك، ج3، ص 277-405.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 207 – ولي الدين بن العراقي، **الذيل على العبر في خبر من عبر**، ج2، تح: صالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989، ص 506.

[6] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 11.

[7] – كانت بلاد الشام عبارة عن مجموعة نيابات عليها نواب وكان أهمها: دمشق، حلب، حماه. الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 455-543 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 12، ص 199- أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 15-16 – محمود السيد، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، (د.ت)، ص 41.

[8] – المقريزي، السلوك، ج3، ص 474.

[9] – تقي الدين بن قاضي شهبة، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، مج1، ج3، تح: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1977، ص 86 – ابن العراقي، المصدر السابق، ص 532 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 474 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ج2، ص 384.

وبلغ عدد سلاطين هذه الدّولة 25 سلطانا[1]، وأبرز ما ميّز عهد الجراكسة عن عهد البحريّة هو أنّ ملوكها لم يعرفوا نظام وراثة العرش، بل كان الأمراء يصلون إلى السلطة بعد المؤامرات والتصفيات والاقتتال، كما تغيّرت النظم السياسيّة و الاقتصادية بشكل جذري بسبب تفضيل العنصر الجركسي في المناصب العليا للدولة دون مراعاة الأصول القديمة الّتي كانت متبعة في الدولة الأولى من تربية المملوك في الطباق و التدرج في المناصب و الرّتب. و استمرّ الجراكسة في حكم مصر إلى غاية 923 هـ/1517م[2].

[1] – يمكن الرّجوع إلى أسمائهم ضمن مجموعة الملاحق.

[2] – كان آخر ملوكهم قانصوه الغوري (ت922 هـ/1516م) الذي قتل في مرج دابق أمام العثمانيين و طومان باي (ت923 هـ/1517م) شمس الدين بن طولون، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، ج1، تح: محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ص172– محمد بن طولون، إعلام أهل الورى، ص213 – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 54-55.

الفصل الأوّل

الحياة الثقافية لدولة بني زيان

تمهيد

أولا: المؤسّسات التعليميّة والثقافيّة

1. المساجد

2. الكتاتيب

3. المدارس

4. الزّوايا

5. المكتبات

ثانيا: التعليم

1. مراحل التعليم:

أ. المرحلة الابتدائية

ب. مرحلة التّعليم العالي

2. طرق التدريس

ثالثا: الحركة العلميّة ومشاهير العلماء

1. العلوم الدينيّة والتصوف

2. العلوم اللسانية والاجتماعية

3. العلوم العقليّة

تـــــمهيـــــد:

شهد المغرب الأوسط خلال عهد بني زيان نشاطا ثقافيا وحركة علميّة ملحوظة، ميزها اهتمام الملوك بالعلم و العلماء، و بروز مدينة تلمسان كعاصمة و مركز إشعاع ثقافي في بلاد المغرب، و انتشار المؤسّسات التعليمية الّتي كانت تدرّس مختلف العلوم النقلية و العقلية، وبروز عدّة علماء في شتّى التخصّصات العلمية.

لقد كان ملوك و أمراء بني زيان على قدر وافر من العناية بمختلف جوانب النشاط الثقافي في دولتهم، وكان أوّل ملوكهم يغمراسن بن زيان" يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم"[1]، وكان يبحث عن أهل العلم ويستقدمهم إلى تلمسان و يحتفي بهم ويكرمهم، وكاتبَ عالم زمانه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت 680هـ/1280م)، ورغّبه في سكنى تلمسان و التّدريس بها[2] ، و لّما اشتهر اعتناؤه بالعلم وفد عليه من الأندلس الأديب الكاتب أبو بكر بن عبد الله بن داود بن خطّاب المرسي (ت 686هـ/1286م) فأحسن إليه يغمرا سن و جعله كاتبا بديوان الإنشاء[3] ، وكذلك الكاتب ابن وضّاح الأندلسي[4]، كما حرص على عقد المجالس العلميّة في قصره، و أبدى عناية خاصة بالمذهب المالكي[5] .

وكان أبو حمو موسى الأوّل (704-718 هـ/1304-1318م) محبّا للعلم و أهله، ووفد عليه الفقيهان العالمان أبو زيد و أبو موسى ابنا الإمام اللّذان ذاع صيتهما بالمغرب والمشرق فأكرمهما و بنى لهما المدرسة الّتي سميت باسميهما[6].

وكان خليفته عبد الرّحمن أبي تاشفين الأوّل (718-737هـ/1318-1337م) مولعًا بتشييد العمائر من القصور و المباني، و قام ببناء مدرسة بإزاء المسجد الأعظم بتلمسان، و وفد عليه الشيخ أبو موسى عمران المشدالي (ت 745 هـ/1345م) أعرف أهل عصره بمذهب مالك،

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205.

[2] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125– أحمد بابا التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابـــن حزم، بيروت، 2002، ص83.

[3] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 275-276.

[4] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 163.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 321 – ألفرد بل، **الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح حتّى اليوم**، ط3، تر: عبد الرّحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 312.

[6] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 206.

فأكرمه وولاّه التّدريس بمدرسته[1]، كما كان هذا السلطان يحرص على عقد المجالس العلميّة بحضرته، و كانت تدار فيها المناقشات والمناظرات في المسائل الفقهية بين كبار العلماء[2] .

أمّا السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791 هـ/1359-1389م)، فكان عالمًا وظما وناثرًا، ومفكرا و أديبًا، ونال العلماء في عهده مكانة كبيرة، و قد ألف كتابا في السياسة الملوكية سمّاه " واسطة السلوك في سياسة الملوك"، كما قام ببناء مدرسة و مسجد وزاوية[3].

واهتم السلطان أبو زيان محمد (796-801 هـ/1394-1399م) بالدّراسة والإكثار من المعارف، وأنشأ مكتبة وزوّدها ببعض الكتب من نسخه، وكان يحيي حضرته بالمحاضرات والمناظرات العلميّة[4].

وكان السلطان أبو العبّاس أحمد الملقب بالعاقل (834-866 هـ/1430-1462م)[5]، يجالس الصالحين و العلماء، و كان له عناية خاصة بالزّاهد الصّوفي أبي علي الحسن بن مخلوف[6].

كانت مظاهر عناية بني زيان بالحياة الثقافيّة و العلمية في دولتهم تتجلى في إنفاقهم على الطلبة والعلماء، و بناء المؤسسات التعليميّة لهم، و تزويدها بالمكتبات، و تحبيس الأوقاف عليها، وشجّعهم على ذلك توفر الأموال اللازمة للقيام بأعباء النشاط الثقافي وحركة العمران، وكان أهم مورد مالي للدولة الزيانية هو التجارة، حيث وفّر موقع المغرب الأوسط ميزة خاصة وسط الكتل الاقتصادية الّتي كانت تنشط خلال فترة العصور الوسطى، فكانت تلمسان عاصمة بني زيان في منتصف الطريق الرّابط بين بلاد السودان الغربي و أوروبا، و كانت موانئها المشهورة

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 216 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141.

[2] – أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المعرب و الجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة و الأندلس و المغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء، ج11، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1981، ص 383.

[3] – حاجيات، أبو حمو ، المرجع السابق، ص 69-230 – محمد الأمين بلغيث، **النظريّة السياسية عند المرادي و أثرها في المغرب و الأندلس**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989، ص 65-67 – وداد القاضي، النظرية السياسيّة للسلطان أبي حمو الزياني و مكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، **مجلة الأصالة**، ع27، 1975، ص 23-98 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 179.

[4] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211.

[5] – التنسي، المصدر نفسه، ص 247-248.

[6] – هو الحسن بن مخلوف الراشدي الشهير بأبركان (ت 857 هـ/1453م)، كان عالما صالحا و قطبا في التصوف بتلمسان، أخذ عن إبراهيم المصمودي و ابن مرزوق الحفيد، و أخذ عنه الحافظ التنسي و الشيخ السنوسي. محمد بن صعد الأنصاري، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تح: يحيى بوعزيز، منشوراتanep، الجزائر، 2002، ص 125- 142- أبو عبد الله بن مريم التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرّحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986، ص 74-93 – محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ، ص 262.

مثل هنين[1] وهران وتنس، عبارة عن حلقات ربط لإيصال بضائع الصحراء إلى أوروبا، و بضائع الشمال إلى الجنوب، و بذلك جمعت الدّولة الزيانية بين التّجارة الصّحراوية و تجارة البحر المتوسط، و كان الذّهب هو السّلعة الأكثر طلبا في الأسواق[2]، و اشتهرت شركة الإخوة المقّريين في الطّريق التّجاري الرّابط بين تلمسان و السّودان الغربي مرورًا بسجلماسة[3].

واستمر الازدهار التجاري بالمغرب الأوسط إلى غاية أواخر القرن 9 هـ/15م و مطلع القرن 10 هـ/16م حيث قلّ شأن الطّريق الصّحراوي أو طريق الذّهب، و قد أرجع بعض المؤرخين ذلك إلى اكتشاف المماليك لطريق تجاري آخر عبر ممالك كانم و برنو[4] أوصلهم إلى مصادر الذّهب فاستغنوا عن طريق المغرب، و أرجع المقّري سبب كساد شركة أجداده إلى هذا العامل[5]، و لا شكّ أنّ ذلك كان من أسباب الانحطاط الذي أصاب بلاد المغرب الأوسط في نهاية العصور الوسطى.

كان توفر الأموال في خزينة الدّولة الزيانيّة من العوامل الّتي ساعدت على دفع الحياة الثقافيّة إلى الرّقي و الازدهار، و أصبحت تلمسان في عهد بني زيان مركزًا للإشعاع الثقافي بفضل ما أحدث بها من مدارس ومساجد وزوايا، فصارت مقصدًا لطلاب العلم المغاربة والأندلسيين وحتى بعض المشارقة و السّودانيين.

كان موقع تلمسان قد جعل منها حسب تعبير البكري:" قاعدة المغرب الأوسط و دار مملكة زناتة متوسطة قبائل البربر "[6] ، واسمها مركب من تلم وسين[7] أوسان، ومعناها تجمع بين اثنين : البر والبحر أو الصحراء و التّل[8] ، وكانت أراضيها تزخر بموارد زراعيّة وصناعيّة

---

[1] – ميناء صغير شمال تلمسان كان يشهد ازدهارًا تجاريا حتى قام شارلكان سنة937هـ/ 1531م بتخريبه، و كان يقابله في الأندلس ميناء ألمرية. البكري، المصدر السابق، ص 80 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 15 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 254– الحميري، الروض المعطار، ص547.

[2] – بودواية، المرجع السابق، ص 308-333.

[3] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج1، ص 136.

[4] – من ممالك السّودان كانت لها علاقات مع مصر المملوكية و سكان هذه الممالك مسلمون مالكيون، و كان لطلابهم مدرسة بمصر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 279-281.

[5] – أحمد بن محمد المقّري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، ج6، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1998، ص 174.

[6] – البكري، المصدر السابق، ص 77.

[7] – ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص 88.

[8] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 157.

هامّة، إضافة إلى كونها تتوسط طرق التجارة الكبرى الممتدّة بين الشّرق والغرب والشمال والجنوب[1].

و تتركب مدينة تلمسان من ثلاث مدن متجاورة و متتاليّة من الشرق إلى الغرب و تأسّست في فترات تارخيّة مختلفة و هي:

مدينة أغادير: هي النواة الأولى لتلمسان، وسميت في عهد الرّومان بوماريا[2]، و عقب الفتح الإسلامي تأسّست بضواحيها إمارات زناتية من طرف قبائل بني يفرن تحت إمرة أبي قرّة اليفرني[3]، ثمّ دخلها الأدارسة و السليمانيون و أسّسوا بها مسجدًا حوالي 174 هـ/790م[4].

مدينة تاجرارت: بنها يوسف بن تاشفين أمير المرابطين عند دخوله المغرب الأوسط سنة 473 هـ/1080م، و جعلها محطا لعسكره وسماها تاجرارت بمعنى المعسكر بالبربرية، وهدم سور أغادير وضم المدينتين القديمة و الجديدة و قام بتأسيس المسجد الكبير[5].

وخلال عهد الموحدين ازداد توسع المدينة العمراني موازاة مع تزايد النشاط التجاري من جهة وانتشار التعريب والثقافة العربيّة الإسلاميّة من جهة أخرى، و استفادت تاجرارت من عنايتهم وأبقوها عاصمة لولاية المغرب الأوسط و شيّدوا أسوارها، و أدّى امتداد الدّولة الموحديّة إلى سائر أقطار المغرب الإسلامي إلى توثيق العلاقات بين مختلف الحواضر والأقاليم فتكثفت الاتصالات بين سكانها و أصبح الكثير من الطلبة والعلماء يرتحلون إلى تلمسان للأخذ عن علمائها أو للتدريس و الاستقرار بها[6].

ولما قامت دولة بني زيان، أصبحت تلمسان عاصمة لهذه الدّولة النّاشئة و مقرّا للسّلطة المركزيّة في المغرب الأوسط، الأمر الّذي مكّنها من توفير وسائل النمو و الازدهار الثّقافي من خلال بناء المؤسّسات التعليمية و جلب مشاهير العلماء و الأدباء[7].

---

[1] – مارمول كربخال، **إفريقيا**، ج2، تر: محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرباط،1989، ص 289 – بودواية، المرجع السابق، ص313-314.

[2] – Berbruger (M.) Tlemcen, (Pomaria), in : **Reveu Africaine**, n° 2, 1857 – 1858 p.62-65. –محمد بن عمرو الطمار، **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 11.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 24-25 – محمد بن عميرة، المرجع السّابق، ص 86.

[4] – ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 157 – التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، ص 35 – السلاوي الناصري، المصدر السابق، ج1، ص 43 – 155.

[5] – Georges Marçais, **Tlemcen**, Edition de Tell, Blida, 2003, p.18-20.

[6] – عبد الحميد حاجيات، "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، أبريل 1993، ص 37 .

[7] – المرجع نفسه، ص39.

وتعرضت تلمسان لعدّة صدمات عسكرية عنيفة من طرف بني حفص و بني مرين، وأصبحت منذ 695 هـ/1295م هدفا لهجمات المرينيين و بصفة سنويّة، و لغاية699 هـ/1298م عندما قام السلطان يوسف بن يعقوب المريني بحصارها لمدّة 8 سنوات ممّا أضرّ بها وبمنشآتها وبسكانها كثيرًا[1].

مدينة المنصورة: بناها يوسف بن يعقوب المريني وهو محاصر لتلمسان لتصميمه على إسقاط الدولة الزيانية، وشيّد بها قصرًا و جامعًا للصّلاة ومؤسّسات دينية ومدنيّة صحية، وتبعه النّاس ببناء الدّور والمساكن[2]، فتحوّلت المنصورة في وقت وجيز إلى قوّة اقتصادية ومالية، واستحوذت على مكانة تلمسان و أصبحت عاصمة للمغربين الأوسط و الأقصى[3].

وفي سنة 735 هـ/1335م تعرضت تلمسان لحصار جديد من طرف أبي الحسن المريني الذي دخلها في 737 هـ/1337م[4]، و أقام بالمنصورة و منها اتصل بمعظم ملوك المشرق والمغرب والأندلس، و ظلت عامرة حتّى سنة 756 هـ/1354م عندما أخلاها أبو عنان فارس خليفة أبي الحسن بعدما ظلت لمدّة 50 سنة حاضرة كبيرة، لكنّها تعرضت للتخريب والتهديم[5].

رافق التطوّر التاريخي لمدينة تلمسان تطور حضاري هام، ميزه اعتناء الحكام الزيانيين وحتى المرينيين بالمنشآت الثقافية و المعمارية ممّا جعل من تلمسان عاصمة ثقافيّة و مركز إشعاع ثقافي ببلاد المغرب الإسلامي، وكانت تضاهي حواضر المغرب والأندلس و حتّى المشرق، ونظرًا لتلك المكانة قصدها العلماء و الطلبة وأصحاب الحرف والصّناع خاصّة من الأندلس، وفضّلوا الإقامة بها، و أكثر من مدحها الشعراء[6]، ووصفها الوزير الغرناطي لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ/1375م) بقوله:" تلمسان قاعدة الملك وواسطة السلك وقلادة النحر وحاضرة البرّ

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 194 – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 386- Brignon, op.cit, p.142-Bouali, op.cit,p.37.

[2] – عبد العزيز لعرج، حفرية المنصورة بتلمسان، في كتاب: دراسات في آثار الوطن العربي، ج2، القاهرة، 2000، ص 935 – Georges Marçais, Tlemcen, op.cit,p.52.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 199– ابن الأحمر، روضة النسرين، ص21– ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 386- 387.

[4] – Bouali, op.cit, p. 148 –Brignon, op.cit, p. 149

[5] – ابن مرزوق، المسند، ص 403.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 86–90 – المقري، نفح الطيب، ج8، ص 306–355.

والبحر،...أصبحت للغرب بابًا، ولركاب الحج ركابًا...ولدور العلماء والصالحين صدفًا... وتبججت بوفور العمارة ودور الجباية وفازت من الاعتدال وأوصاف الكمال بأوفى نصيب..."[1].

واشتهرت بتلمسان ظاهرة بيوتات العلم، حيث كان كلّ بيت بها يضمّ عدّة علماء، و من تلك البيوتات: أسرة المرازقة[2]، الشّريفيون، العقبانيون، المقّريون والتّنسيون وغيرهم، وكان لهذه الظاهرة أثر كبير في تنشيط الحركة العلمية، حيث نجد جدّ الأسرة وأبناءه وأحفاده كلّهم علماء، ممّا جعل من البيت التلمساني في حدّ ذاته مؤسّسة ثقافيّة عامرة بالنشاط العلمي، وساهمت هذه الظاهرة في الحفاظ على التخصّصات العلميّة والمصنّفات الّتي كان يتوارثها أفراد الأسرة أبا عن جدّ.

أولا: المؤسّسات التّعليمية و الثّقافية:

1. المساجـــــد:

ميّز الحياة الثّقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان الدّور الّذي قامت به المساجد في ترسيخ العقيدة الإسلامية إضافة إلى دورها التّعليمي، حيث لم تكن مجرّد أماكن للعبادة، بل كانت عبارة عن مؤسّسات تعليمية تدرّس بها أصناف العلوم خاصة الدّينية[3].

وكانت المساجد منتشرة بالمغرب الأوسط، و عنيت بتحفيظ القرآن والحديث، وتدريس النحو والفقه واللّغة والأدب، أمّا المساجد الجامعة فكانت شبيهة بالمعاهد العليا، و كانت تلقّن العلوم الدّينية من الفقه وعلوم القرآن والحديث والعلوم اللّسانّة[4]، واشتهرت بتلمسان المساجد التالية:

---

[1] – لسان الدين بن الخطيب، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تح: كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القـاهرة، 2003، ص 85-86- ابن الخطيب، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تح: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص184.

[2] – ابن مرزوق الخطيب، **المجموع**، مخطوط، ورقة 2- ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 15- نصر الدين بن داود، **علماء أسـرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من ق 7 – 10 هـ/13-16م**، مذكرة ماجيستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002 – 2003، ص 1- 6.

[3] – كان المسجد يقوم بدور التعليم منذ العهود الأولى للإسلام إضافة إلى دوره الديني .عبد الحي الكتاني الفاسي، **التراتيب الإدارية أو كتـاب نظام الحكومة النبويّة**، ج2، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت)، ص 217.

[4] – بودواية، المرجع السابق، ص 66-67.

مسجـــــد أغاديـــــر :

أسّس هذا المسجد حوالي سنة 174 هـ/790م من طرف الأدارسة بعد دخولهم تلمسان[1]، و كتب على حجر تأسيسه: "بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما أمر به إدريس بن عبد الله بن حسن بن ا لحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه"[2]، و حظي هذا المسجد بعناية يغمراسن بن زيان الّذي قام ببناء مئذنته[3].

المسجد الأعظم بتاجرارت:

بناه المرابطون عند تأسيس مدينة تاجرارت سنة 473 هـ/1080م، وقام الأمير علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي سنة 530 هـ/1135م بترميمه وتزيينه[4].

وفي عهد بني زيان قام يغمراسن بإضافة المئذنة والجزء الشمالي من بيت الصلاة و القبّة والصحن[5]، كما قام خلفاؤه بتزويده بخزائن للكتب، فصار هذا الجامع يضاهي الجامعات الكبرى بفاس وتونس[6]، وكان له دور ثقافي كبير، وأصبح معدّا للتّدريس منذ أن استقدم يغمراسن إليه الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي (ت:680 هـ/1280م) لعقد مجالسه العلمية به[7]، وكان يغمراسن يحضر هذه المجالس رفقة الفقهاء[8].

---

[1] - ابن الخطيب، أعمال الأعلام (تح.العبادي)، ص 192- أحمد بن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص40.

[2] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 90.

[3] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125- صالح بن قربة، **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 85 – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 252-253- دهنية، الدولة الزيانية في عهد يغمرا سن، المرجع السابق، ص 362.

[4] - RACHID Bourouiba, l'Art religieux Musulman en Algérie, SNED, Alger, 1973, p.71-72, رشيد بورويبة، "جولة عبر مساجد تلمسان"، **مجلة الأصالة** ،ع 26، 1975، ص 172 – الطمار، تلمسان، المرجع السابق، ص 44-45. Georges Marçais, Tlemcen, op.cit, p.19-20.

[5] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 125 – دهنية، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، المرجع السابق، ص 362 – صالح بن قربة، المرجع السابق، ص 85 – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 229.

[6] - أي جامعة القرويين بفاس و جامعة الزيتونة بتونس، انظر حولهما: محمد خرماش، "نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع1، 1993، ص 119- احسان حقي، **تونس العربية**، دار الثقافة، بيروت، (د.ت)، ص 208.

[7] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 90.

[8] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126.

مسجد أبي الحسن:

يقع هذا المسجد قرب الجامع الأعظم، و قد أسّسه السّلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة 696 هـ/1296م[1]، و أخذ اسم أحد الأعلام في الفقه و هو الشّيخ أبو الحسن التّنسي (ت706 هـ/1306م)[2]، الّذي كان يلقي به دروسه.

مسجد أولاد الإمام:

أنشأه السلطان أبو حمو موسى الأوّل حوالي سنة 710هـ/1310م[3]، ليكون ملحقا بالمدرسة القديمة التي بناها لابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمن و أبي موسى عيسى اللّذين وفدا عليه من برشك[4] فأكرمهما.

مسجد إبراهيم المصمودي:

أسسه أبو حمو موسى الثاني إلى جانب قبة و مدرسة و زاوية، و كانت هذه المجموعة المعمارية تحمل اسم المدرسة اليعقوبية، و قد اندثرت معالم الزاوية و المدرسة و بقي المسجد[5]، وأخذ اسم الشيخ إبراهيم المصمودي (ت 804 هـ/1400م)[6].

---

[1] – رشيد بورويبة، الحياة الفنية في عهد الزيانيين و المرنيين، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، ج3، المرجع السابق، ص 496 Georges Marçais, Tlemcen, op.cit, p. 43,44 -

[2] – هو أخو أبي إسحاق التنسي، كان من كبار علماء المغرب الأوسط ، و كان معظما عند الملوك و العامة. يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114.

[3] – رشيد بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 497 – Dhina, les Etats, op.cit, p. 126

[4] – برشك: مدينة قديمة على الساحل الغربي للمغرب الأوسط بين شرشال و تنس كان سكانها يشتغلون بالحياكة و كانت خارجة عن سلطة بني زيان .الادريسي، المصدر السابق، ص 158 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 32 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 83.

[5] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 181-182- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 119.

[6] – هو إبراهيم بن موسى المصمودي، أصله من صنهاجة المغرب قرب مكناسة، أخذ علومه عن الآبلي و غيره، ثم نزل تلمسان، و لازم أبا عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبيّة، و بعد وفاته أخذ عن سعيد العقباني بالمدرسة التاشفينية، ثم انقطع للعبادة و للتدريس، و دفن بعد وفاته بضريح الأمراء الزيانيين بجانب المدرسة اليعقوبيّة.انظر: ابن مريم، البستان، ص 64-66.

مـــــسجـــد أبي مدين بالعبّاد:[1]

أسّسه السلطان المريني أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق سنة 739 هـ/1339م بقرية العبّاد، وأخذ اسم القطب أبي مدين شعيب الأشبيلي (ت:594 هـ/1197م)[2]، و تميز هذا المسجد بدقة بنائه وزخارفه، وهو من محاسن الفن المغربي الأندلسي[3].

مـــــسجـــد سيدي الحلوي:

أسسه السلطان المر يني أبو عنان بن أبي الحسن سنة 754 هـ/1353م[4] بعد استيلائه على مدينة تلمسان، و هذا المسجد يشبه في تصميمه وزخارفه مسجد أبي مدين[5]، وهو منسوب للشيخ الزاهد أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي الملقب بالحلوي[6].

لم تكن إقامة المساجد وعمارتها مقتصرة على العاصمة تلمسان فقط، بل كانت معظم مدن المغرب الأوسط تضم مساجد تؤدي وظيفة العبادة و التعليم و من تلك المساجد: المسجد الكبير بندرومة الذي بناه المرابطون[7]، والمسجد الكبير بالجزائر[8]،ومساجد وهران ومستغانم والمدية[9]،ومسجد هنين الذي أسّسه المرينيون[10].

---

[1] – العبّاد، قرية صغيرة قرب تلمسان و هي مدفن القطب أبي مدين، الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 24.

[2] – هو أبو مدين شعيب بن حسين الأندلسي، جال و ساح و استوطن بجاية مدّة، و توفي قرب تلمسان أين دفن بالعبّاد، و هو شيخ أهل المغرب في التصوف، انظر ترجمته في: أبو العباس الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 55-65- أبو العبّاس أحمد بن قنفذ القسنطيني، **أنس الفقير و عز الحقير**، تح: محمد الفاسي – أدولف فور، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النّشر، الرباط، 1965، ص 11 و ما يليها – عبد الوهاب الشعراني، **الطبقات الكبرى أو لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، ج1، المطبعة العامرية، مصر، 1315 هـ، ص 131-132 – سراج الدين بن الملقن، **طبقات الأولياء**، تح: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 437 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 125 – ابن مريم، البستان، ص 108.

[3] – ابن مرزوق، المسند، ص 403 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 65 – بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 500-503.

[4] – بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 503.

[5] – عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ج1، ص 148.

[6] – هو أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان، تولى قضاء اشبيلية في أواخر عهد الدّولة الموحدية ثم فرّ من القضاء و آوى إلى تلمسان في زي المجانين، انظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 127-128 – ابن مريم، البستان، ص 68-70.

[7] – البكري، المصدر السابق، ص 80 – رشيد بورويبة، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية**، تر: إبراهيم شبوح، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 59.

[8] – البكري، المصدر السابق، ص 66.

[9] – بودواية، المرجع السابق، ص 71.

[10] – ابن مرزوق، المسند، ص 403.

وكانت معظم المساجد التي أنشئت في عهد بني زيان متأثرة بالفن المعماري الأندلسي نظرًا للتأثير الفني الكبير الّذي أدخله الأندلسيون إلى المغرب الأوسط، كما أن بعض سلاطين بني زيان كانوا يطلبون و يستقدمون الصنّاع من الأندلس لإقامة مشاريعهم العمرانية كأبي تاشفين الأول[1].

2. الكتاتيـــــب:

تعتبر الكتاتيب من أقدم أنواع المؤسّسات التعليمية في العالم الإسلامي، و هي جمع كتاب، وهو مشتق من التكتيب و تعليم الكتابة[2]. ودخل هذا النظام إلى بلاد المغرب مع الفاتحين، وكانت كتاتيب القرون الأولى للإسلام عبارة عن بناءات بسيطة لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وقد ازداد عددها بتوسع العمران و كثرة إنشاء المدن الجديدة[3].

وكانت الكتاتيب منتشرة بالمدن والقرى بالمغرب الأوسط، وكانت مخصّصة لتعليم الصبيان بعض المبادئ في الكتابة و القراءة و خاصة تحفيظ القرآن[4]، وكانت عبارة عن غرف بسيطة أثاثها مكوّن من حصير، و كانت أدوات الكتابة عبارة عن لوحٍ خشبي مصقول ودواة وقلم من القصب وإناء للمحو[5].

وكان إنشاء هذه المؤسّسات خاصا في الغالب، أو كانت تبنى من قبل مجموعة من أولياء الصبيان[6]، وخلال القرن 8-9 هـ/14-15م ازدهرت الكتاتيب من حيث التنظيم والمواد المدرسة، وكان يشرف عليها مؤدّبون و مقرءون[7].

---

[1] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 140 – عبد العزيز سالم، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، ج2، دار النهضة العربيـــة، بـــيروت، 1972، ص60.

[2] – حسن عزوزي،"التأليف في القراءات في المغرب و الأندلس"، **مجلة الحضارة الإسلامية**، ع1، 1993، ص 241.

[3] – الكتاني، التراتيب الإدارية، ج2، ص 293 – محمد بن سحنون، **كتاب آداب المعلمين**، تح: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعـــة: محمـــد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية، تونس، 1972، ص 31-35.

[4] – نقولا زيادة، "المعلـــــم"، **مجـــلة العـــربي**، ع516، نوفمـــبر 2001، ص 57.

[5] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 160.

[6] – الونشريسي، المعيار، ج 11، ص 156.

[7] – الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 261.

3. المـــــــــــــدارس:

تعد المدارس من المنشآت الثقافية و التعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، و أوّ ل مدرسة بنيت في الإسلام هي المدرسة البيهقية[1] بمدينة نيسابور[2] أوائل القرن 5 هـ/11م، و في 457 هـ/1065م قام الوزير السلجوقي نظام الملك[3] ببناء المدرسة النظامية ببغداد[4].

أمّا في بلاد المغرب فقد أسّست أوّل مدرسة في مدينة سبتة[5] سنة 635 هـ/1237م[6] ، وفي تونس أسّس السّلطان أبو زكرياء الحفصي المدرسة الشّماعية و الّتي تسمّى أمّ المدارس فيما بين 633 و 647 هـ/1235 – 1249م[7] ، وانتشرت حركة بناء المدارس بالمغربين الأدنى والأقصى، أمّا بالمغرب الأوسط فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية مطلع القرن الثامن الهجري/14م، و قلّد ملوك بني زيان ملوك المغرب والمشرق في بناء المدارس والاعتناء بها والإشراف الشّخصي عليها و تعيين طاقمها للتدريس[8].

---

[1] – نسبة إلى الشيخ الإمام أبي بكر أحمد البيهقي أحد أقطاب الحديث و الفقه و الأصول في زمانه و بيهق بلدة في خراسان: انظر: القاضي أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج1، المطبعة الميمنية، مصر 1310 هـ، ص 20-21- القزويني، المصدر السابق، ص 339.

[2] – نيسابور: أشهر مدن إقليم خراسان، كانت ذات عمارة كثيرة و فضائل جمة . القزويني، المصدر السابق، ص 473.

[3] – هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس قوام الدين الطوسي، كان محبا للعلماء و رجال التصوف و بنى المدارس و الرّبط و المساجد ببغداد و اقتدى به الناس في ذلك، توفي سنة 485 هـ/1102م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 143-144.

[4] – تقي الدين ابن زيد الجراعي، **تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد**، تح: طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981، ص 196-197 – المقريزي، الخطط، ج 62، ص 363.

[5] – سبتة : مدينة على البحر الرومي أو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، و كانت مدينة كبيرة مسوّرة يجاز منها إلى الأندلس. البكري، المصدر السابق، ص 102-104.

[6] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 325- إسكان الحسن، **جوانب من التعليم في المغرب الوسيط من ق7هـ/13م إلى ق9هـ/15م**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الغنسانية، الرباط، 1987- 1988، ص70.

[7] – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 156-157 – Dhina, les Etats, op.cit,p.310.

إبراهيم بلحسن، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط و الأدنى من ق 7-9 هـ/13-15م**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2005، ص 87.

[8] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 325.

وكان الهدف من وراء حركة بناء المدارس بتلمسان من طرف الدّولة هو نشر التعليم والثقافة من جهة، و من جهة أخرى توجيه الرّعية لخدمة السياسة المذهبية لبني زيان وهي نصرة المذهب المالكي والعمل على نشره، وكانت المدارس إحدى الوسائل المتاحة لتحقيق تلك الغاية[1].

وكان سلاطين بني زيان يحرصون على تعيين كبار الفقهاء المالكية في عصرهم للتدريس في مدارسهم الّتي أنشؤوها، و قد اشتهرت بتلمسان المدارس التالية:

مـــــدرســـــة ابني الإمـــــــام:

هي أوّل مدرسة بنيت بتلمسان، أسّسها السلطان الزياني أبو حمو موسى الأوّل، و عين للتدريس بها ابني الإمام أبي زيد عبد الرّحمن (ت:743هـ/1342م) وأبي موسى عيسى (تـــ:749 هـ/1349م)، و صارت المدرسة تعرف باسميهما، كما تعرف بالمدرسة القديمة، وكانت تقع قرب باب كشوطة غرب تلمسان[2].

المـــــدرســـة التّاشفينيـــــــة:

أسّسها السلطان أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل بجانب المسجد الكبير بتلمسان، و عيّن للتّدريس بها الفقيه أبا موسى عمران المشدالي (ت 745 هـ/1345م)، و اهتم الصّنّاع بتجميلها وزخرفتها، و احتفل السلطان بتدشينها رسميا بحضور مشيخة تلمسان و الأدباء . و ظلت هذه المدرسة تقوم بوظيفتها التعليميّة طوال عهد الدّولة الزيانية[3].

مـــــدرســـة أبي مدين شعيب الغوث بالعبّاد:

بنيت هذه المدرسة ضمن مركّب معماري خصّه السلطان المريني أبو الحسن بقرية العبّاد قرب تلمسان للولي أبي مدين شعيب (ت 594 هـ/1197م) [4]، و كان يضم الضّريح و المسجد،

---

[1] – المرجع نفسه، ج2، ص 325-326.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج 7، ص 206 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130 – التنسي، تـاريخ بـني زيـان، ص 139 – Georges marçais, Tlemcen, op.cit, p. 47
William et Georges Marçais, les monuments Arabes de Tlemcen, Librairie Thorin, Paris, 1903, p. 185.

[3] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141، حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 61 – عبد العزيـز فـيلالي، المرجـع الـسابق، ج1، ص Georges Marçais, Tlemcen, op.cit,p.50 – Dhina, les Etats, op.cit, p.316 -142

[4] – العربي لقزيز، **مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة سيدي أبي مدين نموذجا دراسة أثريّة و فنيّة**، رسالة ماجيستر، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص 55-84.كما كانت تعرف باسم المدرسة الخلدونية نسبة إلى عبد الرّحمن بن خلدون الّـذي درس بهـا حوالي سنة 776 هـ/1376م – لقزيز، المرجع السابق، ص 56.

ثمّ أضيفت المدرسة سنة 747 هـ/1347م غرب الجامع، وكانت مكونة من طابقين سفلي وعلوي، كان بهما غرف للطلبة و حجرات للتدريس، و تميزت بزخارفها الفنية ومرافقها المتعدّدة، الّتي كانت مسخرة لخدمة المدرّسين والوافدين من الطلبة[1].

مـــــدرســـة سيدي الحلوي :

بناها السلطان أبو عنان فارس المريني إلى جانب مسجد و زاوية و ضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الاشبيلي، سنة 754 هـ/1354م، و لم تكن لها شهرة مثل باقي المدارس[2].

المـــــدرســـة اليعقوبية:

أسّسها السلطان أبو حمو موسى الثاني، و سميت باليعقوبيّة نسبة إلى أبيه يعقوب الّذي كان حاكما بمدينة الجزائر و توفي سنة 763 هـ/1362م، و استغرق بناء هذه المدرسة حوالي السّنة ونصف السنة و انتهى من إنجازها في 765 هـ/1364م، و أوكل للتدريس بها الشيخ أبا عبد الله الشريف (ت 771 هـ/1370م)، و كانت ملحقة بزاوية و مقبرة مخصّصة للأسرة الحاكمة من بني زيان[3].

وقد وصفها أحد المؤرخين بقوله: " و أنشأ مدرسة القرآن و العلوم، و أنفق فيها من الحلال المعلوم، فأقيمت مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء بنيت بضروب من الصناعات و وضعت في أبدع الموضوعات، سمكها بالصبغة مرقوم، و بساط أرضها بالزّليج مرسوم، غرس بإزائها بستانين يكتنفها ، و صنع فيها صهريجا مستطيلاو على ظرفيه من الرّخام خصتان يطردان مسيلا، فيالها من بنية ما أبهجها"[4].

---

[1] - ابن مرزوق، المسند ص 403 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 64-69 – بورويبة، الحياة الفنية، المرجع السابق، ص 503 – فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص Marçais, Tlemcen, op.cit, p.73-143

[2] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص Marçais, Tlemcen, op.cit, 75-65- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

[3] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 179-180- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 182- Dhina, les Etats, op.cit, p. 316 عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

[4] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 182 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 144.

مـــــدرســـة الحسن بن مخلوف الراشدي:

أنشأها السّلطان الزياني أبو العبّاس أحمد الملقّب بالعاقل فيما بين عامي 834-865 هـ/1431-1462م، للولي الحسن بن مخلوف أبركان، و ذكرها التّنسي بقوله: " وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، و أوقف عليها أوقافا جليلة، ووجد كثيرا من ربع الأحباس قد دثر والوظائف بها انقطعت فأحي رسمها وجرد مادثر وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل...." [1].

لكن الغموض يلف هذه المدرسة وربّما كان التّنسي يقصد بالمدرسة الجديدة المدرسة التّاشفينية[2].

4. الزّوايـــــــــــــــــا:

الزّاوية عبارة عن مؤسّسة ذات طابع ديني و ثقافي و اجتماعي، تقام فيها العبادات والدّروس، و إطعام عابري السّبيل، و عبّر عنها ابن مرزوق الخطيب بقوله، " والظّاهر أنّ الزّوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدّة لإرفاق الواردين و إطعام المحتاجين من القاصدين "[3]، وبالتالي فهي تختلف عن الرّباط الذي كان يتخذ للمرابطة و الجهاد[4].

وكان يشرف على الزّاوية شيخ، وهو الّذي كان يتولى التعليم بها أو الإشراف على أساتذتها، وكان يساعده في إدارتها وكيل وعدد من المتطوعين، أمّا مواردها المالية فكانت من مداخيل وغلاّت الأوقاف الّتي كانت تتبعها، ومن الزّكاة والهدايا و التبرعات[5].

وقد انتشرت الزوايا بالمغرب الأوسط، و اشتهرت منها بتلمسان:

- الزاوية اليعقوبية الّتي أنشأها أبو حمو موسى الثاني إضافة إلى المدرسة على ضريح والده أبي يعقوب[6].

- زاوية سيدي أبي مدين بالعبّاد و الّتي كانت تهتم بالتّعليم و استقبال الطّلبة الوافدين وكان لها عدّة أوقاف مغلة من البساتين و الضّياع[7].

---

[1] - التنسي، تاريخ بني زيان، ص 248.

[2] - التنسي، المصدر نفسه، ص 248 (هامش 680).

[3] - ابن مرزق، المسند، ص 413.

[4] - فيلالي مختار الطاهر، **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني**، دار الفن القرافيكـــي، باتنـــة، (د.ت)، ص 27-28.

[5] - المرجع نفسه، ص 27.

[6] - حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 183.

[7] - بودواية، المرجع السابق، ص 77.

و لم تخل المدن الزيانية الأخرى من الزّوايا، و اشتهرت بوهران الزاوية التازية الّتي أسّسها الشيخ إبراهيم التّازي (ت 866 هـ/1462م) [1]، و كانت عبارة عن مركب معماري ضمّ عدّة مرافق و كانت مجهّزة بخزائن للكتب و غرف للزّوار و أبناء السّبيل، كما أودع بها آلات جهادية، و أوقف عليها عدّة أوقاف[2].

5. المكتبـــــــــــات:

اعتنى ملوك بني زيان بإنشاء المكتبات العامّة و تزويدها بالكتب اللازمة لإقامة النشاط التعليمي و العلمي، و من تلك المكتبات:

- المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى الثاني سنة 760 هـ/1359م بالجامع الأعظم بتلمسان و كانت تزخر بالكتب[3].

- المكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني سنة 796 هـ/1394م بالجامع نفسه، و كان هذا السلطان مولعًا بنَسْخ الكتب، و كانت المكتبة تضم عدّة كتب من نسخه كالقرآن الكريم، و صحيح البخاري، و كتاب الشفاء للقاضي عياض[4].

و لم يقتصر الأمر على المكتبات العامّة، بل وجدت المكتبات الخاصّة الّتي كان يملكها العلماء في بيوتهم، خاصة لدى الأسر وبيوتات العلم المشهورة بتلمسان، كما اهتمّ الورّاقون بجمع الكتب و نسخها، و كان لأبي عبد الله بن مرزوق الخطيب دكان بالقيصرية يبيع فيه السّلع وينسخ به المصاحف، وكان جدّ الخطيب ابن مرزوق ينسخ الكتب الدّينية و المصاحف في بيته[5]، واشتهر الشيخ محمد السنوسي بنسخ الكتب، فنسخ نحو ثلاثين كتابا بخطه[6]. وكان الخطّاطون والورّاقون

---

[1] – هو إبراهيم محمد بن محمد بن علي التازي الّلنتي نزيل وهران، أصله من المغرب الأقصى، ولد أوائل ق9 هـ/15م، و أخذ عن شيوخ المغربين الأقصى و الأوسط و ساح في الأقطار ثمّ استقر بوهران و نشر فكره في التصوف و تعد مدرسته امتدادًا لمدرسة سيدي الهواري في التصوف، انظر: ابن صعد، المصدر السابق، ص143- 183- ابن مريم، البستان، ص 58-63 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 187 – أحمد بن عبد الرّحمن الراشدي، **القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط**، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص 59-62 – ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، ص 188 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 263.

[2] – محمد المنوني، "إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال ق 9 هـ/15م"، **مجلة الثقافة**، ع 91، 1986، ص 150 – ابن سحنون الراشدي، الثغر الجماني، ص 185.

[3] – محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1995،ص400.

[4] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211.

[5] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة3.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

المموّل الرّئيسيّ لسوق الكتب بتلمسان و المغرب الأوسط، فكثر تداول الكتب المغاربية والأندلسية والمشرقية، وامتلأت بها المكتبات التّلمسانية، ما مكّن الطّلاب والعلماء من مزاولة نشاطهم العلمي والتّعليمي، وساعدهم في تأليف مصنفاتهم في مختلف التّخصّصات العلمية.

كان ملوك بني زيان ينفقون الأموال الجزيلة على المؤسّسات التّعليمية وطاقمها من المدرسين والموظفين وطلبتها المحليين والوافدين، وكانت الأوقاف المحبّسة على هذه المؤسّسات هي المصدر الرّئيسي لتلك الأموال، لذلك عنيت الدّولة بالأوقاف وجعلت لها ناظرًا يشرف عليها قد يكون من القضاة أو ناظر المدرسة، وكانت مداخيلها تسير حسب حاجات المؤسّسة التّعليمية، وكانت هناك جملة من القواعد والشّروط نظّم بموجبها تسيير الوقف عادة ما كان يحدّدها صاحب الوقف حتى يتسنّى للطّلبة و العلماء الاستفادة بشكل جيّد من المداخيل المحصّلة[1].

ثـــــانـــــيا: التّـــــعليـــــــم:

يعد التعليم من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافيّة والحركة العلميّة، و في الوقت نفسه مظهرًا من مظاهر الإزدهار الثقافي و العلمي، وكان يتم في المؤسّسات التعليميّة الّتي أنشئت بتلمسان و مدن المغرب الأوسط من كتاتيب و مساجد و مدارس و زوايا، وكان يمرّ عبر مراحل تدرّجية يتم فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسيّة للعلوم و المعارف، ثم التعمق في المسائل الفرعية.

1. مراحل التّعليم:

أ – المرحلة الإبتدائية:

في هذه المرحلة، كانت الغاية من التّعليم تحفيظ القرآن الكريم وبعض مبادئ اللّغة والحساب و الخطّ[2]، وكان يتم في الكتاتيب، حيث كان الصّبيان يدخلون الكتاب في سنّ محدّدة

---

[1] – للمزيد من التفصيل حول الأوقاف و الأحباس أنظر: الونشريسي، المعيار، ج7، ص 3 و ما يليها– محمد بن عبد الله، **الوقـــف في الفكـــر الإسلامي**، ج1، مطبعة فضالة، المغرب، 1996، ص 131– إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 96–69.

- Brosselard (CH.), Habous des Mosquées – Sidi-Senouci, in : Revu Africaine, n° 29, Septembre 1861, p.321.

- Berbrugger (M.), Notes Historique sur les mosquées et autres édifier religieux d'Alger : revu Africaine, n° 4, 1859- 1860, p. 467.

[2] –ابن خلدون، المقدّمة، ص 1038.

بين الخامسة والسابعة، ويتبعون برنامجًا منظمًا عبر أيام الأسبوع، وكانوا يفتتحون يومهم بحفظ القرآن منذ الصّباح حتى وقت الضّحى، ويتعلّمون الكتابة من الضّحى إلى الظّهر، وكانت حصة المساء مخصّصة لتدريس بقية المواد حسب المقرّر الدّراسي[1].

وكان يقوم بالتعليم في هذه المرحلة المعلّم أو المؤدّب، و قد قرّر العلماء و الفقهاء جملة من القواعد كان على المؤدبين التزامها عند قيامهم بوظيفتهم، منها أن يحتمل أخلاق الصبيان بالصبر والاحتمال و أن تكون همّته مصروفة إلى نفع المتعلمين، و أن يكون على علم بأحوالهم من النباهة و البلادة، و أن يتّصف بالأخلاق الحميدة و الخبرة بالقرآن و علومه[2].

وكان المؤدّبون يعلمون القرآن للصبيان من تلقاء أنفسهم، و عملا بنصوص القرآن والحديث في الحض على تعليم القرآن و تعلّمه، و كانوا يلقون مشقة في ذلك، وكان البعض منهم يأخذ أجرة على ذلك[3].

كما اعتنى المؤدّبون بتعليم أخلاق الدّيانة الإسلامية من الحياء و السّخاء والتّواضع، وكانوا يلجؤون أحيانًا إلى حكايات العباد و الصّالحين و العلماء لتحبيبهم عند الصّبيان، كما كان يجوز لهم تنبيههم إلى كيفيات الوضوء و الصّلاة ونحو ذلك من الأعمال المتعلّقة ببعض الفرائض[4].

ونبّه العلماء على ضرورة عدم تعنيف الصّبيان بشدّة حتّى لا ينعكس ذلك سلبًا على تحصيلهم الدراسي، وحتّى لا ينفروا من الكتّاب فيُضيّعون بذلك فرصة حفظ القرآن في صباهم وهي الفترة الّتي يكون فيها الطّفل أكثر استعدادًا لاستقبال المعلومات وحفظها وترسيخها[5].

ب. مرحلة التّعليم العالي:

بعدما يتمكن الطلاب من حفظ القرآن و الإلمام بمبادئ الخط والكتابة و اللّغة العربيّة والقراءات في المرحلة الابتدائية، ينتقلون إلى مرحلة التعليم العالي، وكانت تتم في المساجد والمدارس، و فيها كان الطّلبة يتوجّهون لدراسة مختلف التخصّصات العلمية و أصناف العلوم[6].

---

[1] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 91-92.

[2] – ابن عبّاد الرندي، **الرّسائل الصّغرى**، تح: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974، ص 116 – ابن سحنون، المصدر السابق، ص 45.

[3] – ابن عباد، المصدرالسابق، ص 217 – الونشريسي، المصدر السابق، ج 11، ص 16 – 17.

[4] – ابن عبّاد، المصدر السابق، ص 221-222.

[5] – ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص 1042– ابن سحنون، المصدر السابق،ص 88-93– ابن مريم، المصدر السابق، ص242.

[6] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 94.

وتميّزت الدّراسة في هذه المرحلة بحريّة اختيار الطّلاب للمواد الّتي يريدون دراستها، وعدم التقيد بالمقرّرات الدّراسية[1]، وكانت العلوم الدينيّة و الاجتماعيّة و العقليّة و الآداب تدرس بعمق وتفصيل[2].

وكان يقوم بتدريس الطّلاب في المساجد و المدارس أساتذة متخصصون في مختلف المواد العلمية النقلية والعقلية، وكان سلاطين بني زيان يشرفون شخصيّا على تعينهم و دفع أجورهم، وكان هؤلاء المدّرسون يمتازون بغزارة العلم و المعارف، وغالبًا ما كانوا من العلماء الرّحالة الّذين جابوا الأقطار في سبيل تحصيل علومهم[3].

2. طرق التّدريس:

اختلفت طرق التّدريس من مرحلة إلى أخرى، ومن مدرّس إلى آخر و يمكن تحديدها كالتّالي:

1. الإلقاء و الإملاء: كانت هذه الطّريقة معتمدة في الكتاتيب، حيث كان المعلّم يجلس في وسط الكتّاب والصّبيان حوله، وكان يكتب القرآن على لوح خشبيّ مصقول بواسطة الدّواة والقلم، ويتم تحفيظ السور القرآنية واستظهارها، وعند إكمال كلّ القرآن حفظًا يمتحن الطّفل فيما يسمى بالختمة، وخلالها كان التلميذ يخير بين الانصراف إلى طلب العلم أو الانقطاع عنه[4].

2. اختيار كتاب معيّن في أحد أصناف العلوم و شرحه: وكانت هذه الطّريقة تستعمل للمراحل العليا من التعليم، و كان الأستاذ يتولّى بالشّرح و التّسيط مفردات النّصوص بعد ما يتم قراءتها من طرف أحد الطّلاب[5].

3. السؤال و الجواب أو المحاورة: و قد انتقلت هذه الطريقة من إفريقية إلى المغرب الأوسط عن طريق ابني الإمام و عمران المشدالي[6] ، وكانت طريقة شيوخ تلمسان تعتمد على البحث وإعمال الفكر في المسائل العلميّة إضافة إلى الحفظ، وكان الطالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات، و كان الأساتذة يقومون بالتوجيه، و إدارة المناقشات و المناظرات [7].

---

[1] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السّابق، ج2، ص 347.

[2] – عبد الحميد حاجيات،" الحياة الفكريّة في عهد بني زيان"، مجلّة الأصالة، ع 26، 1975، ص 138.

[3] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 351.

[4] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 97.

[5] – اسكان الحسن، المرجع السابق، ص114.

[6] – ابن خلدون، المقدّمة، المصدر السابق، ص 772-773.

[7] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.

وقد شاع استخدام المختصرات في التدريس لتسهيل تلقين العلوم، لكن بعض علماء هذه الفترة أبدوا معارضتهم الصريحة لهذه الطريقة و اعتبروها مخلّة بالتعليم[1].

ثالثا: الحركة العلمية و مشاهير العلماء:

1. العلوم الدّينية و التّصوف:

تأثّرت الحركة العلميّة في الدّولة الزيانية بالحياة الدينية تأثرا ملحوظا، وكان المذهب المالكي هو المذهب الرّسمي للدّولة، و كان المغرب الأوسط قبل قيام دولة بني زيان تحت حكم الموحدين الّذين ذاعت في عهدهم كتب الإمام أبي حامد الغزالي و غيره من الأشاعرة[2]، ورغم سياستهم تجاه المذهب المالكي[3]، إلاّ أنّ المغاربة كانوا أشدّ تمسّكًا به، ولّما قام يغمراسن بن زيان باستقدام الفقيه المالكي أبي إسحاق بن يخلف التنسي إلى تلمسان لتدريس العلوم الدينيّة، كان هدفه تثبيت قواعد المذهب المالكي و دعمه[4] ، وكان هذا المذهب يلقى القبول من الفقهاء وعامّة النّاس منذ القرون الأولى للإسلام ببلاد المغرب، وذكر البكري في وصفه لتلمسان: " ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدّثين و حملة الرأي على مذهب مالك بن أنس رحمه الله"[5]، لذلك كانت العلوم الدينية تدرّس وفق هذا المذهب، وكذلك كانت تصدر الفتاوى و تصنف المصنّفات.

كما اصطبغت الحياة الدّينية والعلمية بالمغرب الأوسط بظاهرة التّصوّف[6]، وظهر الكثير من المتصوّفة و الزّهاد و العلماء الذين صنّفوا في هذا المجال.

واعتنى علماء المغرب الأوسط بأصناف العلوم الدينيّة من التّفسير وعلم القراءات والفقه وعلوم الحديث، واشتهر من العلماء في هذا المجال:

---

[1] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 1028 – 1029.

[2] – عبد الحميد حاجيات، "ملاحظات حول تطور الحريات الدينية بالجزائر في عهد الموحدين"، **مجلة كلية الآداب**، مج 2، ع1، نوفمبر 2000، ص 105.

[3] – تذكر بعض المصادر أن الموحدين كانوا يضطهدون الفقهاء المالكية و كانوا ينبذون علم الفروع، انظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 202-204.

[4] – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 86-87.

[5] – البكري، المصدر السابق، ص 76-77 – حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص 37.

[6] - Abdelhadi Ben Ridouan, Etude sur le Soufisme, T.M Arnaud, in : **revue Africaine**, n° 32, 1898, p.338-383. -

أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السّلام التّنسي (680 هـ/1282م) [1] :

نشأ بتنس، و أخذ العلم ببجاية و تونس، ثمّ ارتحل إلى المشرق فزار مصر و الحجاز والشام، و أخذ عن علمائها، ثمّ عاد إلى بلاد المغرب و قد انتهت إليه رئاسة الفتوى والتدريس، و استقدمه يغمراسن بن زيان إلى تلمسان لتدريس العلوم الدينيّة، فانتفع به الطلبة، ومن مؤلفاته : شرح كبير على كتاب التّلقين في فروع الفقه المالكي ضاع أثناء الحصار الطويل.

أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت681 هـ/1283م) [2]:

ولد و نشأ بتلمسان، و أخذ عن أبي زكرياء بن عصفور و أبي إسحاق التنسي وغيرهما، و كان من العلماء الزّهاد، و لما توفي دفن بإزاء يغمراسن بن زيان بوصية من هذا الأخير تركها لابنه أبي سعيد عثمان، تبركًا بجواره.

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يخلف التلمساني (ت690 هـ/1290م): [3]

ولد و نشأ بتلمسان و أخذ العلم عن علمائها، ثمّ ارتحل إلى المغرب الأقصى و استقر بسبتة و بها توفي، و من تآليفه أرجوزته المشهورة في الفرائض التي ألّفها سنة 630 هـ/1230م.

أبو الحسن التنسي (ت706 هـ/1306م) [4]:

هو أخو أبي إسحاق التنسي، تولى وظيفة التدريس بعد أخيه، و كان معظما عند الملوك الزيانيين و المرينيين، و لما توفي شهد جنازته أبو يعقوب المر يني و دفن بالعبّاد.

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126-127 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 66-68 – أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، طبع على هامش الديباج لابن فرحون، مصر، 1351 هـ ، ص 35-37 – محمد مخلسوف، المصدر السابق، ص 218 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 42.

[2] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة3- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – 115.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص109- حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان،في: **الجزائر في التاريخ**، ص 440.

[4] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 43.

أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن عبد الله و أبو موسى عيسى ابنا الإمام[1]:

أصلهما من برشك، ارتحلا إلى تونس لطلب العلم، و أخذا العلوم الدينيّة على تلامذة ابن زيتون، و أبي عبد الله الدكالي، ثمّ درّسا بعدّة مدن بالمغرب الأوسط، و وفدا على السلطان أبي حمو موسى الأوّل الّذي أكرمهما وبنى لهما المدرسة الّتي أخذت اسميهما. ثمّ صحبا السلطان أبا الحسن المريني بعد استيلائه على تلمسان سنة 737 هـ/1337م، و حضرا معه معركة طريف بالأندلس ضدّ النصارى، ثمّ عادا إلى تلمسان و بها توفي الأخ الأكبر أبو زيد عبد الرّحمن سنة 743 هـ/1343م في حين توفي أخوه أبو موسى عيسى سنة 749 هـ/1349م. و كانت لابني الإمام مكانة كبيرة في الأوساط العلميّة بالمغرب و المشرق، و تخرّج بهما عدّة علماء أمثال : الآبلي و المقّري الكبير و أبي عبد الله الشّريف و سعيد العقباني و ابن مرزوق الجدّ و غيرهم، و ألّف أبو زيد شرحًا على مختصر ابن الحاجب في الفروع.

أبو موسى عمران المشدالي (ت745 هـ/1344م) [2]:

أصله من زواوة ببجاية، انتقل إلى مدينة الجزائر و منها إلى تلمسان، حيث ولاّه السلطان أبو تاشفين الأوّل التدريس بمدرسته، فدرّس بها الحديث و الفقه و الفرائض، و من تآليفه: اتخاذ الركاب من خالص الفضّة، و له فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار.

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130– ابن مريم، المصدر السابق، ص 123-126– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 166-168– ابن خلدون، التعريف، ص 821-824– المقري، نفح الطيب، ج6، ص 181– محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 219– برهان الدين بن فرحون، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، مصر، 1351هـ، ص152– أحمد بن القاضي، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات**، تح: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1976، ص 195– 204– بدر الدين القرافي، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تح: أحمد الشتيوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص144– الونشريسي، **وفيات الونشريسي في كتاب ألف سنة من الوفيات**، تح، محمد حجي، مطبوعات دار المغرب، الرباط، 1976، ص112– 119– أبو القاسم محمّد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط2، ج1، مؤسّسة الرّسالة، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص 210 – عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 164.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 187 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 215-217 – القرافي، توشيح الديباج، ص160– الونشريسي، وفيات، ص114– الحفناوي، المرجع السابق، ص 78-80 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص220– عثمان الكعاك، "البجائيون"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، مارس – أبريل، 1974، ص 510.

أبو عبد الله المقّري (ت759 هـ/1359م) [1] :

ولد بتلمسان، و درس على علمائها أمثال ابني الإمام و أبي موسى عمران المشدالي، ارتحل إلى المشرق و لقي مشاهير العلماء أمثال ابن ا لقيم الجوزية و أبي حيّان وغيرهما، ثمّ عاد إلى تلمسان و منها انتقل إلى فاس و تولى قضاءها. و من أشهر تلامذته: لسان الدين بن الخطيب وعبد الرّحمن بن خلدون و ابن زمرك. و من تآليفه: كتاب الحقائق والرّقائق في التّصوّف وكتاب القواعد وكتاب المحاضرات.

أبو عبد الله الشّريف التّلمساني (ت771 هـ/1370م) [2]:

ولد ونشأ بتلمسان وأخذ العلم عن علمائها و اختص بابني الإمام ولزم الشّيخ الآبلي. ارتحل إلى تونس و لقي الكثير من العلماء، ولما استولى أبو عنان المريني على تلمسان ألحقه بمجلسه العلمي بفاس، ثمّ عاد إلى تلمسان أيام السّلطان أبي حمو موسى الثاني الّذي ولاّه التّدريس بالمدرسة اليعقوبيّة حتى وفاته. من تآليفه : مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول و شرح جمل الخونجي في المنطق.

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمّد بن مرزوق الخطيب (ت781 هـ/1379م) [3]:

ولد و نشأ بتلمسان و بها تعلّم مبادئ العلوم، و ارتحل مع أبيه إلى الحجاز في سنّ مبكّرة فحجّ و جاور، ثمّ ارتحل منفردًا و دخل الشام و مصر و أخذ عن علمائها، و تولى الخطابة

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 172-258 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 136-165 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 249-254 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 154-164 – أبو الحسن النباهي، **تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن ما يستحق القضاء والفتيا**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983، ص 169-170 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 121 و ذكر وفاته سنة 756 هـ/1356.

[2] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 255 -264 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 164-184 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 234 – الونشريسي، المعيار، ج 12، ص 224-225 – ابن قنفذ القسنطيني، **الوفيات**، تح: هنري بيريس، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (د.ت)، ص 59 – الونشريسي، وفيات، ص126- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 162-163.

[3] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة91-96- ابن فرحون، الديباج، ص305-307- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 323-346 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 267-270 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 184-190 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 60-61 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 236 – ابن خلدون، التعريف، ص 848 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 – ابن القاضي، لقط الفرائد، ص219- ابن القاضي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، ج2، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث- المكتبة العتيقة، القاهرة- تونس، 1970، ص144- الحفناوي، المرجع السابق، ص 143- ماريا خسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 22 -حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 165-168- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص 45-71.

بعدّة مساجد بمصر و المغرب و الأندلس، و شارك في الأحداث السياسيّة لعصره حتى وفاته بمصر. من تآليفه: معجم شيوخه سماه: عجالة المستوفز المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب و الشام و الحجاز، و له: شرح الشفاء للقاضي عيّاض ، إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب كتاب الإمامة، شرح صحيح البخاري، شرح البردة، المسند الصحيح الحسن في مآثر و مفاخر مولانا أبي الحسن.

أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني (ت 811 هـ/1408م) [1]:

ولد بتلمسان و أخذ بها العلم عن ابني الإمام و الآبلي، و نبغ في المنقول و المعقول، تولى القضاء ببجاية و تلمسان و وهران و سلا و هنين . من تلاميذه: ابن مرزوق الحفيد و إبراهيم المصمودي و ابن زاغو، و من مؤلفاته: شرح الحوفية في الفرائض، تفسير سورتي الأنعام و الفتح، شرح البردة، شرح جمل الخونجي، شرح على ابن الحاجب الأصلي، شرح أرجوزة ابن الياسمين في الجبر و المقابلة.

محمّد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842 هـ/1438م) [2]:

ولد بتلمسان و أخذ بها عن والده و عمّه و عن سعيد العقباني، رحل إلى تونس و فاس، ودخل القاهرة و لقي عدّة أعلام كابن خلدون و الفيروزبادي وغيرهما، و أخذ عنهم العلم، وحجّ عدّة مرّات و لقي الحافظ ابن حجر العسقلاني وأخذ عنه. وكان متضلّعًا في الفقه المالكي والأصول، وحافظا للحديث ومفسّرًا ونحويا وناظمًا. ومن تآليفه: تفسير سورة الإخلاص، نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين، أرجوزة الروضة في الحديث ، المفاتيح المرزوقية في حلّ أقفال وخبايا الخزرجية، إسماع الصّم في إثبات الشرف من قبل الأمّ، وثلاثة شروح على البردة الأكبر والأوسط الأصغر، و رجز في الميقات سماه المقنع الشافي ومؤلفات أخرى.

---

[1] – ابن فرحون، الديباج، ص124– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 123 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 125-126 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 106-107 – ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص298– محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 250 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 208-209 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 170.

[2] – أبو الحسن علي القلصادي، **رحلة القلصادي**، تح: محمّد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص 97 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 347-358 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 201-214 – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 119-120 – السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص 50-51 – القرافي، توشيح الديباج، ص171– ابن القاضي، لقط الفرائد، ص248– ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص275– مخلوف، المصدر السابق، ص 252-253 – عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971، ص 141-143 – حاجيات، الحياة الفكرية بالجزائر، ص 443.

أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري (ت 843 هـ/1439م)[1]:

أصله من مغراوة،أخذ العلم عن علماء بجاية وفاس وبلاد المشرق، وجاور بمكة،ثمّ زار بلاد الشام، ثمّ عاد إلى المغرب واستقر بوهران زاهدًا ومتصوفًا، ومن مؤلفاته:تبصرة السائل،التبيان، والتّسهيل.

أبوالعبّاس أحمد بن محمد بن عبد الرّحمن بن زاغو المغراوي التّلمساني (ت845 هـ/1441م)[2]:

أخذ عن سعيد العقباني وغيره من علماء تلمسان، وكان مدرّسا بالمدرسة اليعقوبيّة، وتخرّج على يديه عدّة أعلام منهم: القلصادي والحافظ التنسي وابن زكري، و من تآليفه: تفسير سورة الفاتحة، شرح التلمسانية في الفرائض، فتاوى أوردها الونشريسي في المعيار.

قاسم بن سعيد العقباني (ت 854 هـ/1450م)[3]:

أخذ العلم عن والده، و حصّل من العلوم الدينيّة حتّى بلغ رتبة الاجتهاد، حجّ و أخذ بمصر عن ابن حجر العسقلاني و أجازه، ومن تلاميذه: ابن مرزوق الكفيف و أبي العباس الونشريسي وابن زكري، و القلصادي، ولي قضاء تلمسان ثمّ عكف على التدريس حتّى وفاته. من مؤلفاته: تعليق على مختصر ابن الحاجب،أرجوزة في التصوّف.

---

[1] – ابن صعد، المصدر السابق، ص48– 55– السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص272– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص303– ابن مريم، المصدر السابق، ص 228 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254 – الراشدي، الثغر الجماني، ص 443 – بودواية، المرجع السابق، ص 120-121 – خير الدين الزركلي، **الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، بيروت، 1969،ج7، ص206.

- Boualga (H.A), Sidi-El-Houari, Saint Patron de la ville d'Oran, Bulletin de la Société de Géographie d'archéologie d'Oran, 1977-1978, p.1-3.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص 102-106 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 41 – ابن القاضي، درة الحجـــال، ج1، ص63– محمـــد مخلوف، المصدر السابق، ص 254 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 46.

[3] – ابن القاضي، لقط الفرائد، ص253– الونشريسي، وفيات، ص144– السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص152– التنبكتي، كفاية المحتـــاج، ص189– القرافي، توشيح الديباج، ص169– التنبكتي، نيل الابتهاج ، ص223– القلصادي، المصدر السابق، ص 106-107 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 117 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 147-149 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 444 – محمد بوشقيف، **العلوم الدينيّة بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، قسم التاريخ، 2004، ص 156.

أبو زيد عبد الرّحمن بن محمد بن مخلوف الثّعالبي (ت 871 هـ/1467) [1]:

ولد ونشأ بناحية يسّر، وانتقل إلى بجاية أخذ عن علمائها ثمّ انتقل إلى تونس وانتفع بمشيختها، سافر إلى مصر وأخذ عن وليّ الدّين العراقي وعبد الله البساطي وغيرهما، ثمّ قصد الحجاز حاجًا، ثمّ رجع إلى مدينة الجزائر وصار من كبار علمائها و صلحائها. من تآليفه : الجواهر الحسان في تفسير القرآن، روضة الأنوار ونزهة الأخيار في الفقه، الذّهب الإبريز في غريب القرآن العزيز ، شرح على مختصر خليل، المختار من الجوامع في محاذاة الدّرر اللّوامع في القراءات، شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي، قطب العارفين في التّصوّف.

محمد بن يوسف السّنوسي (ت 895 هـ/1490م) [2]

ولد ونشأ بتلمسان، وبرع في المنقول والمعقول، واختص في علم التوحيد والعقائد، وألّف فيهما عدّة كتب منها : عقيدة التوحيد الكبرى، شرح صحيح البخاري، مختصر في القراءات السبع، شرح قصيدة الحبّاك في علم الأسطرلاب، شرح إيساغوجي في علم المنطق.

أبو العبّاس بن محمد بن زكري التّلمساني (ت 900 هـ/1493م) [3]:

أخذ عن ابن زاغو و غيره، و برع في العلوم الدّينية و ألّف فيها: بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب – أرجوزة في علم الكلام – شرح الورقات للجويني في الأصول.

---

[1] – القراقي، توشيح الديباج، ص120– ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص84– الونشريسي، وفيات، ص149– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 173-175 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 264 – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 152 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 444 – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 88-89 – عبد الرزّاق قسوم، **عبد الرّحمن الثعالبي والتّصوف**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1978 –الزركلي، الأعلام، ،ج4، ص107.

[2] – محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، **دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تح: محمد حجي، الرباط، 1977، ص121– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 325-329 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 237-248 – أحمد المنجور، **فهرست أحمد المنجور**، تح: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1976، ص74– محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 266 – حاجيات، الحياة الفكريّة بالجزائر، ص 445 – جمال الدين بوكلي حسن، **الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985، ص 55 و ما يليها.

[3] – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص84– ابن مريم، المصدر السابق، ص 38-41 – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 303 – الشفشاوني، المصدر السابق، ص119– القراقي، المصدر السابق، ص61– محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 267 – المنجور، فهرست، ص74– الحفناوي، المرجع السابق، ص 42-43 – أبو العباس بن زكري التلمساني، **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تح: محند أو إيدر مشنان، دار التراث ناشرون – دار ابن حزم ، الجزائر، 2005، ص 150 – 241 (مقدمة المحقق).

محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت 909 هـ/1503م)[1]:

نشأ بتلمسان ودرس بها، ثمّ غادرها مدّة و استقر بتوات واشتهر بفتواه في قضية يهود توات. من تأليفه: تفسير الفاتحة، البدر المنير في علوم التفسير، مصباح الأرواح في أصول الفلاح.

أبو العبّاس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد الونشريسي (ت 914 هـ/1508م)[2]:

أخذ العلم عن علماء تلمسان، ثمّ غادرها سنة 878 هـ/1474م واستقرّ بفاس ودرّس بها حتّى وفاته. أشهر تأليفه:المعيار المغرب والجامع المعرب عن فتاوي علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب.

2. العلوم اللّسانية و الاجتماعية:

اعتنى طلاّب و علماء المغرب الأوسط بالدّراسات اللّغوية و الآداب نثرا و شعرًا، و كانت اللّغة العربيّة تلقى الاهتمام من طرف الدّارسين، و كذلك العلوم الّتي ارتبطت بها كالنّحو والبلاغة، وذلك لضرورة هذه العلوم في فهم النّصوص الدّينيّة من القرآن و الحديث. كما لقيت العلوم الاجتماعيّة خاصّة التّاريخ العناية من طرف بعض العلماء و المؤرّخين الّذين صنّفوا فيها عدّة مؤلّفات، و اشتهر من العلماء في هذا المجال:

---

[1] - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص330- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص455- ابن مريم، المصدر السابق، ص 253 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 155 – مبخوت بودواية، "دور علماء تلمسان الزيانية في ترسيخ الحضارة الإسلاميّة بالسودان الغربي (ق 15-16م)"، **مجلة الواحات**، ع 1 ديسمبر 2006، جامعة غرداية، ص 1-2 - بكري البكري، تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، ع1، 1993، ص 64 – عبد القادر زبادية، **الحضارة الزيانية و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات و نصوص**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 153-154 - محمد بن عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1968، ص 7-22 (مقدمة المحقق)- الحفناوي، المرجع السابق، ص170-173.

[2] - ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص156- القرافي، توشيح الديباج،ص65- الشطّاوني، دوحة الناشر، ص47- ابن القاضي، درة الحجال، ص91- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص73- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص87- ابن مريم، المصدر السابق، ص 53 – المنجور، فهرست، ص 50- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 181-185- الحفناوي، المرجع السابق، ص62.

أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطّاب المرسي (ت 686 هـ/1285م) [1]:

أصله من الأندلس حيث نشأ بمرسية وقرأ العربيّة والنّحو والأدب على أشهر علماء الأندلس مثل أبي بكر محمد بن محمد المعافري، وأخذ الحديث والفقه على أبي بكر الزّهري، ثمّ ارتحل إلى غرناطة وعمل بها كاتبا للسلطان، ولمّا كثرت الفتن أجاز البحر و نزل تلمسان، ووفد على يغمراسن بن زيان الّذي أكرمه و جعله كاتبًا بديوان الإنشاء، و صدرت عنه مجموعة كبيرة من الرّسائل في مختلف الأغراض الأدبية، كالبشائر والفتوحات والمجاملة والمهاداة والإخوانيات والتوسل والاستعطاف والتهاني والتعازي[2]، وكان كاتبًا بارعًا،قال عنه الحافظ التّنسي: " وبوفاته انقرض علم الكتابة"[3].

أبو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التّلمساني (ت 708 هـ/1308م) [4]:

ولد بتلمسان و نشأ بها و أخذ عن علمائها الأدب و اللّسانيات، و عمل بديوان الإنشاء و غادر المدينة أثناء الحصار الطويل و نزل سبتة، ثمّ انتقل إلى غرناطة و توفي بها مقتولاً.

كان ابن خميس شاعرًا متميزًا ووصف "بشاعر المائة السّابعة"[5] ، وكان يميل إلى الزّهد والتّصوف، و ترك ديوان شعر مليئًا بمختلف الأغراض الشّعرية خاصة الشّوق و الحنين إلى موطنه الأصلي تلمسان و من قوله في ذلك:

تلمسان لو أنّ الزّمان بها يزهـــو ❖ منى النّفس لا دار السلام و لا الكرخ

وداري بها الأولى الّتي حيل دونهـا ❖ منار الأسى لو أمكن الحنق اللبـــخ

---

[1] – ابن الخطيب، الإحاطة، ج2، ص 275-278 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 129 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 127 -128 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 227- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 50 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 188.

[2] – أبو بكر بن خطاب، **نثر الفقيه أبي محمد بن خطاب فصل الخطاب**، مكروفلم بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، رقم: 1916. d773.

[3] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 128.

[4] – أبو عبد الله العبدري، **الرحلة العبدرية إلى الوجهة الحجازية**، دراسة وتحقيق: زين العابدين بنطاهر، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1992- 1993، ص31- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 109 – المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 295 -311 – طاهر توات، **ابن خميس شعره ونثره**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 41 – 111 – فرحات الشريف خوالد، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني حياته و أدبه**، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيـة، 1993، ص 29-64 – محمـد رمضان شاوش: الغوثي بن دحمان، **الأدب العربي الجزائري عبر النصوص**، ج1، دار بريكسي، تلمسان، 2001، ص 236 – حاجيات، أبو حمو، ص 51.

[5] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 109 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 225.

وعهدي بها والعمر في عنفوانـــه ❖ و ماء شبـــابي لا أحين و لا مطخ[1]

و من شعره:

سل الرّيح إن لم تبعد السفن أنـــواء ❖ فعند صباها من تلمســـــان أبناء

وفي خفقان البرق منها إشـــــارة ❖ إليك بما تنمي إليك و إيـــمـــاء

وهل لي زمـــــان أرتجى فيه عودة ❖ إليك و وجوه البشر أزهر و ضيـــاء[2]

وأحدثت إحدى قصائده صدى كبيرًا في بلاد المشرق، و ذكر المقّري في نفح الطّيب أن السّلطان أبا عنان المريني قال: " أخبرنا شيخنا الإمام العالم العلامة وحيد زمانه أبو عبد الله بن إبراهيم الأبلي قال: لما توجه الشّيخ الصالح أبو إسحاق التّنسي من تلمسان إلى بلاد المشرق واجتمع هناك بقاضي القضاة تقيّ الدّين بن دقيق العيد[3]، فكان من قوله: كيف حال الشّيخ العالم أبي عبد الله بن خميس؟ و جعل يحلّيه بأحسن الأوصاف و يطنب في ذكر فضله، فبقي الشيخ أبو إسحاق متعجبا و قال: من يكون الّذي حليتموه بهذا الحلي و لا أعرفه ببلده فقال: هو القائل عجبا أيذوق طعم وصالها[4]، قال: فقلت له: إنّ هذا الرّجل ليس عندنا بهذه الحالة الّتي وصفتم إنّما هو عندنا شاعر فقط، فقال له: إنّكم لم تنصفوه و إنّه لحقيق بما وصفناه به"[5].

وكان القاضي ابن دقيق العيد يضع القصيدة المذكورة في خزانة كانت تعلو موضع جلوسه للمطالعة، و كان يخرجها من تلك الخزانة و يكثر تأملها والنّظر فيها، و كانت القصيدة لما وصلت إليه لم يقرأها حتى قام إجلالاً لها[6].

وقد تعرض ابن خميس بسبب ميله إلى التصوّف إلى عدّة مضايقات و اهم بالاشتغال بالفلسفة و الزّندقة و حوكم قضائيا، و كان قائد هذه الحملة ضدّه القاضي ابن هدية القرشي[7].

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 306، و القصيدة من البحر الطويل.

[2] – الطمار، تلمسان عبر العصور، المرجع السابق، ص 107-108.

[3] – انظر ترجمته ضمن علماء مصر.

[4] – تكملة البيت: عجبا أيذوق طعم وصالها * من ليس يأمل أن يمر ببالها و القصيدة من بحر الكامل. المقري، نفح الطيب، ج 6، ص 303-305.

[5] – المقري، المصدر نفسه، ج 6، ص 305.

[6] – المقري، المصدر نفسه، ص 305 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 215 – الفناوي، المرجع السابق، ص 384-385.

[7] – طاهر توات، المرجع السابق، ص 47-48 – فرحات خوالد، المرجع السابق، ص 37 – بودواية، المرجع السابق، ص 135-142.

أبو عبد الله محمد بن منصور بن علي بن هدية القرشي (ت 735هـ/1735م) [1]:

هو من نسل عقبة بن نافع الفهري و" كان من أئمة اللّسان و الأدب و ذو بصر بالوثائق " كما وصفه يحي بن خلدون، و اشتغل كاتبا للرّسائل بديوان الإنشاء في البلاط الزّياني، كما تولى قضاء تلمسان، وكان يشتغل بعلوم اللّغة و التاريخ، و شرح رسالة ابن خميس التلمساني الّتي افتتحها بقوله:

❖ عجبا لها أيذوق طعم وصالها ... من ليس يأمل أن يمر ببالها

❖ و أنا الفقير إلى تعلة ساعة ... منها وتمنعني زكاة جمالها[2]

ومن نظم ابن هدية:

❖ إلهي مضت للعمر سبعون حجّة ... جنيت بها ممّا جنيت الدّواهيا

❖ و عبدك قد أمسى رهين ذنوبه ... فجدلي برحمي منك نعم الدّواهيا[3]

عبد الرّحمن بن خلدون و أخوه أبو زكرياء يحي[4]:

من أسرة عريقة في العلم، شغل بعض أفرادها مناصب سامية في الدّولة الحفصيّة، و ولد عبد الرّحمن سنة 732هـ/1332م، و ولد أخوه سنة 734هـ/1334م، و درسا على علماء تونس

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 116 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 225 – النباهي، المصدر السابق، ص 134 – الخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 193-194.

[2] – النّباهي، المصدر السابق، ص 135.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص 116.

[4] – ابن خلدون، التعريف، ص 796-1224 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 227-228 – السخاوي، الضوء اللامع، ج 4، ص 145 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص169- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص205- 209- المقريزي، السلوك، ج4، ص24- الشوكاني، البدر الطالع، ج 1، ص 273-339 – ابن حجر العسقلاني، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ج1، تح: حامد عبد المجيد وآخرون، دون مكان وتاريخ طبع، ص343- القرافي، توشيح الديباج، ص118- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص54- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص182- لسان الدين بن الخطيب، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، ج2، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص144- حاجيات، أبو حمو، ص 174 – حاجيات، تقديم كتاب بغية الرواد، ج 1، ص 7-44.

و بجاية وتلمسان، كالمقّري و الآبلي، و عملا في مناصب الحجابة و الكتابة في دول المغرب والأندلس، وبرع عبد الرّحمان في العلوم النقلية و العقلية و ألّف المقدّمة و تاريخه الّذي سمّاه "ترجمان العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، و ألّف أخوه يحي تاريخا لبني عبد الواد سمّاه :" بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد"، و توفي هذا الأخير مقتولاً سنة 780هـ/1379م و توفي أخوه عبد الرّحمن بالقاهرة سنة 808 هـ/1406م.

أبو عبد الله محمد بن العبّاس العبّادي التلمساني (ت 871 هـ/1461م) [1]:

عالم في الفقه والنّحو، من تآليفه: العروة الوثقى في تنزيه الأنبياء عن فرية الإلقا، شرح جمل الخونجي،تحقيق المقال و تسهيل المنال في شرح لامية الأفعال، و له عدّة فتاوي.

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل التنسي (ت 899 هـ/1494م) [2]:

حافظ و مؤرخ و أديب، نشا بتلمسان و أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و قاسم بن سعيد العقباني و ابن زاغو و غيرهم، و تولى التدريس و انتفع به الطلاب. من تآليفه: نظم الدّر والعقبان في بيان شرف بني زيان، راح الأرواح فيما قاله أبو حمو و قيل فيه من الأمداح، الطّراز في شرح الخرّاز.

3. العلوم العقليّة:

كانت العلوم العقليّة بالمغرب الأوسط تشمل العلوم العددية كالحساب والجبر والمقابلة والطب والمنطق وعلم الفلك وغيرها، وعرفت هذه العلوم اهتمام بعض العلماء الّذين اختاروا التخصّص فيها والتعمق في دراستها وتدريسها، واشتهر من العلماء في هذا المجال:

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي (ت757هـ/1356م) [1]:

---

[1] - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص118- ابن مريم، المصدر السابق، ص223- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص226.

[2] - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص329 – السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص248 – ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص143- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص267 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص173 – محمود بوعياد، مقدمة تحقيق كتاب تاريخ بني زيان، ص9 – 21.

أصله من آبلة بالأندلس، ولد و نشأ بتلمسان و تعلّم بها على يد أبي الحسن التنسي، وغادر موطنه أثناء الحصار الطويل، و ارتحل إلى المشرق ثمّ عاد إلى تلمسان، و أخذ عن أبي موسى بن الإمام و بالمغرب الأقصى عن ابن البناء، ثمّ اندمج في طبقة العلماء في بلاط أبي الحسن المريني، و تولى التّدريس و تخرّج على يديه كبار علماء القرن الثامن الهجري/14م أمثال : عبد الرّحمن بن خلدون، ابن مرزوق الخطيب، المقرّي الكبير، أبو عبد الله الشّريف و سعيد العقباني وغيرهم، و كان له موقف من بناء المدارس وتأليف المختصرات في العلم و اعتبر ذلك من أسباب انحطاط العلوم، و لم يترك الآبلي مؤلفات لكن آراءه ظهرت من خلال كتابات تلامذته خاصّة عبد الرحمن ابن خلدون.

أبو عبد الله محمد بن علي بن النّجّار التلمساني (ت 749 هـ/1349م) [2] :

أصله من مرّاكش، ولد ونشأ بتلمسان وأخذ عن الآبلي، كما درس بسبتة، ونبغ في المعقولات و التعاليم، ثمّ عاد إلى موطنه واشتغل بالتدريس، ثمّ التحق بأبي الحسن المريني، وتوفي بالطاعون في تونس، ومن تلامذته: أبو عبد الشريف، المقّري الكبير و أبو الحسن بن الفحّام.

أبو الحسن علي بن أحمد بن الفحّام (توفي أواخر القرن 8 هـ/14م) [3]:

أخذ العلم عن ابن النّجّار، واشتهر بمنجانته الّتي صنعها وهي عبارة عن ساعة عجيبة حسب المؤرّخين، وكان يزدان بها قصر أبي حمو موسى الثاني، وكانت تعرض أيام الاحتفال بالمولد النّبوي[4].

أبو عبد الله محمد بن أحمد الحبّاك (ت 867 هـ/1463) [1]:

---

[1] – ابن خلدون، التعريف، ص 825 – 831 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – القرافي، توشيح الديباج، ص243- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص319- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 245 – 248 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 214 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 202 – 205 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 53 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 236 – 238 – Bouali Sidi-Ahmed, un maître Maghrébin méconnu du XIII siècle, Al-Abili, Bulletin de la Société de Géographie d'Archéologie d'Oran, 1977 – 1978, p 8- 21.

[2] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة32- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص 119 – ابن خلدون، التعريف، ص 840 – الونشريسي، وفيات، ص118- حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 53 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 235.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 119 – حاجيات، أبو حمو، ص 179.

[4] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 162-163.

عالم في الفلك والحساب والفرائض، وهو أحد شيوخ الإمام السنوسي، ومن تآليفه: أرجوزة في علم الأسطرلاب سمّاها: بغية الطلاّب في علم الأسطرلاب، وله أيضا شرح تلخيص ابن البنّاء، وشرح التلمسانية في الفرائض.

[1] – الونشريسي، وفيات، ص147– ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص94– التنبكتي، نيل الابتهاج، ص316– ابن مريم، المصدر السابق، ص 219-220.

الفصل الثاني

الحياة الثقافيّة لدولة المماليك بمصر

تمهيـــــد

أولا: المؤسّسات التعليميّة والتعليـم

1. الجوامع والمساجد

2. الكتاتيب

3. المدارس

4. الخوانق والرّبط والزوايا

5. مؤسّسات أخرى:

أ. البيمارستانات

ب. الترب والقباب

6. المكتبات

7. التعليـم:

أ. التعليـم بالكتاب

ب. التعليـم العالي

ثانيا: الحركة العلمية ومشاهير العلماء

1. العلوم الدينيّة

2. التصوف

3. الآداب واللغة

4. التاريخ

5. العلوم العقلية

تمهيـــــــــد:

شهدت مصر خلال عصر سلاطين المماليك نشاطا ثقافيا كبيرًا، و أصبحت المدن المصرية خاصّة القاهرة مراكز إشعاع فكري و ديني، ومقصدًا للطّلاّب و العلماء من المشرق والمغرب، وازدهرت حركة بناء المؤسّسات الثّقافية والتّعليمية من المساجد والكتاتيب والمدارس والخانقاوات والرّبط و الزوايا، و الّتي كانت تؤدّي الدّور الدّيني والتّربوي و التّعليمي.

وكان مردّ ذلك الازدهار إلى جملة من العوامل ساهم فيها المماليك الذين كانوا من أصول غير عربية، و رغم ذلك فقد شاركوا في النشاط الثّقافي لدولتهم، حيث كانوا ينفقون بسخاء على العلماء و الطّلبة، و كانوا يحبّسون الأوقاف المغلّة على المؤسّسات التّعليمية، كما شارك السّلاطين و الأمراء في الحياة العلمية مشاركة فعّالة، فاشتهر عن السّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري ميله إلى التاريخ و أهله، و كان يقول أنّ سماع التاريخ أعظم من التّجارب[1].

وكان السّلطان المؤيّد شيخ المحمودي (815-824هـ/1412-1421م) يحمل إجازة برواية صحيح البخاري من حافظ عصره الشّيخ سراج الدّين البلقّيني، و كان يصحبها معه في سفره و كان يفتخر بها[2].

وكان السّلطان الأشرف أبو النّصر قايتباي الجر كسي (824-841 هـ/1421-1438م)، الحادي و الأربعون من سلاطين المماليك ذا ميل إلى مطالعة كتب العلم و الرّقائق والسّير، و كان له اعتقاد في الصالحين من العلماء، فأثّر ذلك في منشآته الثّقافية والعلمية، وكان عصره من أزهى العصور بمصر من حيث النشاط الثقافي والعمراني[3].

وحرص السّلطان الغوري على عقد المجالس العلمية والدّينية بالقلعة عدّة مرّات في الأسبوع، وكان يبحث فيها مع العلماء مختلف المسائل العلميّة و يناقشها، و كثيرًا ما كان السلطان نفسه هو الموجه للمناقشة، فتبْدأ كلّ مسالة بعبارة "قال حضرة مولانا السلطان" ثمّ يجيب العلماء على سؤاله[4].

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 182.

[2] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 283-284 – ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج7، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ص 164 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص 7-8.

[4] – سعيد عبد الفتاح عاشور، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 142.

واشتغل بعض الأمراء المماليك بالعلوم على مختلف أصنافها، و تصدى بعضهم للتّدريس والإقراء، ومنهم الأمير الكبير علم الدّين سنجر بن عبد الله البرنلي التّركي الصّالحي النّجمي (ت:699 هـ/1300م)، الّذي كان مشاركًا في الفقه و الحديث، و كان الفضلاء يحضرون مجلسه فيذاكرهم و يكرمهم، و سمع الحديث بالحرمين و القدس و مدن الشام ومصر، وخرّج لنفسه معجما في أربعة عشر جزءًا[1].

وكان أحد الأمراء من مقدّمي الألوف و هو سودون بن عبد الله (ت 830 هـ/1427م) أحد مماليك الظّاهر برقوق يعرف بالفقيه و كان حنفيّ المذهب[2].

وكان الأمير تغري برمش سيف الدّين الجلالي النّاصري ثم المؤيّدي الحنفي (ت:852 هـ/1449م) الّذي تولى نيابة القلعة بالقاهرة معتنيا بعلم الحديث، وطلبه على الحافظ ابن حجر العسقلاني، و كان مشاركًا في كثير من العلوم و الآداب[3] ، وكان الأمير تغري بردي بن أبي بكر الناصري الحنفي (ت 895 هـ/1492م) يقرئ صغار المبتدئين[4].

كما اشتهر من أبناء المماليك من ذاع صيتهم في التأليف التاريخي بالخصوص، نذكر منهم أبو المحاسن بن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة، و بيبرس الدوادار صاحب زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.

لقد تمكن المماليك من دفع الحركة الثقافية إلى الرّقي و الازدهار بفضل ما توفر لهم من مداخيل مالية خاصة من التّجارة، و ازداد اهتمامهم بها منذ أواسط القرن 8هـ/14م، حين حاولوا إيجاد مصادر دخل غير الّتي كانوا يعتمدون عليها[5]، فاحتكر السّلاطين تجارة الشّرق المتمثّلة في مادّة التوابل لحسابهم الخاص، و حوّلوا التجار من ميناء عدن اليمني إلى ميناء جدّة الّذي كان خاضعا لسيادتهم، فكثرت المداخيل المالية[6]، ما مكن من الإنفاق على المنشآت الثقافية، وانعكس ذلك إيجابًا على نمو الحركة العلميّة وازدهارها.كما اهتم المماليك بتجارة الذّهب مع

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص 193 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 905 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 69 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 449.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 164.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 33-34.

[4] – السخاوي، المصدر نفسه، ج3، ص 27.

[5] – كانت المصادر الماليّة للمماليك متعدّدة منها: الضرائب التي كانت تؤخذ على التّجّار الأجانب، و الضّرائب المحصّلة من أفراد المجتمع من ذوي المهن والحرف، إضافة إلى أموال الزكاة و غيرها. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 448-466.

[6] – أحمد مختار العبادي، عبد العزيز سالم، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر و الشام**، دار النهضة، بيروت، 1984، ص 265.

بلاد السّودان الغربي وربطوا طريقا من مصر إلى مصادر التبر في التّكرور[1] وغيرها، وربطتهم علاقات تجارية وثيقة مع الجمهوريات الإيطالية و أوروبا عامّة عبر البحر الرومي[2] . لكن الازدهار التّجاري بمصر المملوكية تأثر باكتشاف البرتغاليين أواخر القرن 9 هـ/15م طريقا ملتفا حول إفريقيا عن طريق رأس الأعاصير و وصلوا إلى شواطئ الهند، و تحول النشاط التجاري إلى هذا الطريق بدلا من طريق بحر القلزم أو البحر الأحمر، فحرمت دولة المماليك من مداخليها الرّئيسية خاصة ضريبة العشر[3]، و لا شكّ أن ذلك كان ضربة للإقتصاد المملوكي، و تأثّرت الحياة الثقافية جرّاء ذلك بشكل كبير.

لقد جعل المماليك من عاصمتهم مدينة القاهرة مركزًا إشعاعيًا عالميًا، حيث استقطبت مختلف التّيارات الفكرية و الأجناس من مختلف الأقطار المشرقية و المغربية. و كان تشكيل مدينة القاهرة قد مرّ بعدّة فترات تاريخية متتالية، من الفاطميين إلى الأيوبيين إلى المماليك الذين بلغت في عهدهم أوجها العمراني.

وكان عمرو بن العاص[4] قد أسّس عند فتحه لمصر سنة 20 هـ/641م مدينة الفسطاط[5]، ثم قام أحمد بن طولون ببناء مدينة القطائع[6] ، و لما قدم جوهر الصقلي[7] بجيوشه من المغرب قام بوضع أساس مدينة القاهرة المعزية حاضرة الفاطميين في 17 شعبان 358 هـ/969م بعد استيلائه على مصر.

---

[1] – مدينة كبيرة في السودان الغربي، كانت مركزا تجاريا و ثقافيا خلال فترة العصور الوسطى. القزويني، المصدر السابق، ص 26 – مبخوت بودواية، المرجع السابق، ص 56.

[2] – أنطوان خليل ضومط، المرجع السابق، ص 229-240.

[3] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 355 – العبادي، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 266 .

[4] – عمرو بن العاص بن وائل من أصل قرشي، تولى حكم مصر عقب فتحها حتى وفاته بها سنة 61 هـ/679م – أبو نعيم الأصبهاني، **معرفة الصحابة**، ج3، ص 389-392- ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ج3، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1939، ص 2-3.

[5] – الفسطاط هوبيت الشعر أو الخيمة، و مدينة الفسطاط هي مصر نفسها. الكندي، ولاة مصر، ص 32-33 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 224 – المقدسي، المصدر السابق، ص 197 – المقريزي، الخطط، ج1، ص 236- صارم الدين بن دقماق، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، ج4، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1893، ص2.

[6] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 331 – 332 – المقريزي، الخطط، ج1، ص 313 – 362 – عبد الرزاق أحمد، **تاريخ وآثار مصر الإسلامية**، دار الفكر العربية، القاهرة، 1999، ص 109.

[7] – هو مولى المعز لدين الله الفاطمي، قدم من المغرب في جيوشه و دخل مصر و استولى عليها و نقل إليها الخلافة الفاطمية. المقريزي، المقفى الكبير، ص 331-342 – محمد بن عبد الملك الهمذاني، **تكملة تاريخ الطبري**، تح: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961، ص212.

وفي سنة 480 هـ/1087م، وسع الوزير الفاطمي بدر الجمالي (466-487 هـ/1073-1094م) رقعة المدينة شمالا و جنوبا وسمح للناس بالسّكن فيها، فامتدّ عمرانها خارج سورها[1].

وفي عهد صلاح الدين الأيّوبي أحيطت الفسطاط و القاهرة بسور واحد بنيت قلعة الجبل[2]. وفي عصر المماليك امتد عمران القاهرة، وكثرت المنشآت بها خاصة في عهد السّلطان المنصور قلاوون، والنّاصر محمد بن قلاوون، و عدّت هي و الفسطاط مدينة واحدة[3].

وقد وفّر موقع القاهرة على نهر النّيل تدفّق المنتجات الزراعية، و ربطها عبر الطّرق النّهرية بباقي المدن المصرية، فازدهرت بها الأسواق والتّجارة[4]، و انعكس ذلك إيجابًا على الحركة العمرانية التي كانت تصب في خدمة النّشاط الثّقافي.

وازدادت أهمية المدينة من الجانب الثّقافي لكثرة ما أنشئ بها من المؤسّسات التّعليمية، وكذلك بعد سقوط عاصمة الخلافة العبّاسية بغداد سنة 656 هـ/1258م على يد المغول، فهاجر من نجا من العلماء العراقيين إليها، و اختاروها لنشر علومهم و مزاولة نشاطهم الفكري[5].

وكان لإعلان الخلافة العبّاسية بالقاهرة على يد الظّاهر بيبرس البندقداري سنة 659 هـ/1261م، قد هيّأها بحقّ لأن ترث مدينة بغداد، و تصبح المركز الدّيني و العلمي الأوّل في العالم الإسلامي[6].

ولا أدلّ على ازدهار القاهرة خلال عصر المماليك من شهادة عبد الرّحمن بن خلدون الّذي حلّ بها قادما من تونس سنة 784 هـ/1382م، إذ يقول:"فانتقلت إلى القاهرة أولي ذي القعدة، فرأيت حضرة الدّنيا و بستان العالم، و محشر الأمم و مدرج الذّرّ من البشر و إيوان الإسلام، و كرسي الملك تلوح القصور و الأواوين في جوّه، و تزهر الخوانق والمدارس بها بآفاقه وتضيء البدور والكواكب من علمائه...."[7].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج1، ص 364 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 238-239.

[2] – أبو شامة المقدسي، المصدر السابق، ص 201-203 – محمد حسن زكي، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 69.

[3] – محمد حسام الدين إسماعيل، **الأصول المملوكية للعمائر العثمانية**، دار الوفاء، الإسكندريّة، 2002، ص 193 – حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 533 – الحداد، المرجع السابق، ص 75-87.

[4] – القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص 285-307.

[5] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 750 – سحر السيد عبد العزيز سالم، **العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1991، ص 46.

[6] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 141.

[7] – ابن خلدون، التعريف، ص 1058-1059.

ووصفها القلقشندى بقوله :" و لم تزل القاهرة في كلّ وقت تتزايد عمارتها و تتجدد معالمها، خصوصا بعد خراب الفسطاط و انتقال أهله إليها... حتّى صارت على ما هي عليه في زماننا: من القصور العلية، و الدّور الضّخمة، و المنازل الرحيبة، و الأسواق الممتدّة، والمناظر النزهة، والجوامع البهجة والمدارس الرائقة، والخوانق الفاخرة مما لم يسمع بمثله في قطر من الأقطار، ولا عهد نظيره في مصر من الأمصار"[1].

وبذلك صارت القاهرة مقصدًا للمشارقة والمغاربة، وامتزجت فيها الفئات الاجتماعيّة، وازدهرت العلوم.

أوّلا: المؤسّسات الثقافيّة و التعليميّة:

1 – الجوامع و المساجد:

استخدم المسلمون منذ فجر الإسلام المسجد كمركز للتعليم، فكانت تعقد فيه مجالس العلم و الحلقات الدراسيّة، و كان يتحلق فيه العلماء و الفقهاء والدارسون. و في مصر انتشرت حركة بناء المساجد على نطاق واسع في عصر المماليك. و عبّر عن ذلك القلقشندى بقوله في مساجد القاهرة:" فأكثر من أن تحصى و أعز من أن تستقصى، بكلّ خط منها مسجد أو مساجد لكلّ منها إمام راتب و مصلون"[2].

وذكر المقريزي أن عدد المساجد الّتي كانت تقام بها الجمع بالقاهرة بلغت 130 مسجدًا[3].

و كانت مساجد مصر تؤدي وظيفتها المعهودة و هي إقامة الصلوات و الجمع، إضافة إلى الدّور التّربوي و التّعليمي، حيث رتّب السّلاطين و الأمراء المماليك بالمساجد الّتي أنشؤوها دروسًا في مختلف العلوم، و زودوها بخزائن للكتب و أوقفوا عليها الأوقاف[4].

و أشهر الجوامع و المساجد بمصر:

---

[1] – القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص 366.

[2] – القلقشندى، صبح الأعشى، ج3، ص 365.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 245.

[4] – محمد عبد الستار عثمان، **نظرية الوظيفة بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة**، دار الوفـاء، الإسـكندرية، 2000، ص 208-209.

الجـــامع العتيق بالفسطاط:

و يقال له تاج الجوامع، و جامع عمرو بن العاص، و هو أوّل مسجد أسّس بالدّيار المصرية بعد الفتح وكان به زوايا يدرس فيها الفقه[1]، و عمل على إصلاحه المماليك[2].

جامـــع ابن طولـــون:

أنشأه الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بناء مدينة القطائع سنة 263هـ/877م[3]، وأوقف عليه عدّة أوقاف وزوده بخزانة للكتب، وظلّ هذا الجامع محل اهتمام من أتى بعد الطولونيين، وفي عصر الفاطميين زوّده الخليفة الحاكم بأمر الله بمجموعة من المصاحف واشتملت خزانة كتبه على المؤلّفات في العلوم الدينيّة و العقليّة و التاريخ[4].

وفي عصر المماليك قام السلطان حسام الدين لاجين (696-698 هـ/1296-1298م) بتجديده، وكلّف الأمير سنجر بن عبد الله البر نلي الدواداري بشدّ عمارته، فعمّره و قرّر فيه دروس الفقه و الحديث و الطبّ[5].

كما قام الأمير يلبغا العمري الخاصكي سنة 767 هـ/1367م بتعيين سبعة مدرّسين للحنفية بهذا الجامع بعد ما رمّمه، و قرّر لكلّ فقيه و طالب 40 درهما و قدرًا من الطعام[6].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 246-255 – ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص59- 100- المقدسي، المصدر السابق، ص 199 – ابـــن كثير، البداية النهاية، ج11، ص 45-47.

[2] – جلال الدين السيوطي، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، ج2، تح: محمود أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القـــاهرة، 1967، ص239- 245- ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص70- حسن عبد الوهاب، **تاريخ المساجد الأثرية في القاهرة**، ج1، أوراق شـــرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993، ص 47.

[3] – الكندي، ولاة مصر، ص 245 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 252- ابن دقمـــاق، الانتصار، ج4،ص251- 252.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص267- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص246- 250- السيد السيد النشار، **تاريخ المكتبات بمصر العـــصر المملوكي**،الدار المصرية،اللبنانية، القاهرة،1993، ص 82.

[5] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 72.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 269.

الجـــامع الأزهـــر:

يعتبر أعظم مسجد جامع بمصر، بناه القائد جوهر الصّقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي بعد بناء القاهرة سنة 358 هـ/969م، و فرغ منه سنة 361 هـ/971م، و كان أوّل مسجد عمّر بالقاهرة[1].

وبعد 20 عاما من بنائه أسّست مكتبته سنة 381هـ/991م، بعدما صار في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله مؤسّسة تعليمية، ونقل إليه الكثير من المصاحف و الكتب، و أضاف إليه الخليفة الحاكم بأمر الله الكثير من المجلدات كانت بدار العلم[2]، وعهد الفاطميون أمر الإشراف على مكتبة الأزهر إلى داعي الدّعاة صاحب أعلى منصب ديني في عهدهم[3].

وتعرّض الأزهر لتعطيل صلاة الجمعة به منذ عهد صلاح الدّين الأيّوبي[4]، و في عهد السّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري عمل على إصلاحه و ترميمه و عين له الفقهاء والمحدّثين والقراء وأقيمت به الجمعة منذ 18 ربيع أوّل 665 هـ/1266م[5].

وكان يقيم بالجامع الأزهر الكثير من الطلبة المغتربين من أنحاء العالم الإسلامي، قصدوا مصر طلبا للعلم، و كان لكلّ طائفة منهم رواق خاص بهم يعرف باسمهم، وكانت هذه الأروقة عامرة بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه، والاشتغال بعلوم الفقه والتفسير والنحو، ومجالس الوعظ وحلقات الذكر، وكان أهل المال ينفقون عليه[6].

---

[1] – تقي الدين الجراعي، المصدر السابق، ص 198 – المقدسي، المصدر السابق، ص 200 – ابن خلكان، وفيات الأعيـــان، ج1، ص 120 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 131– السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص251- 252- حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 534 – عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص 219.

[2] – دار العلم: أسست في عهد الخليفة الحاكم سنة 395 هـــ/1004م، اشتهرت بكونها ضمت أضخم مكتبة بمصر، و كانت تؤدي دورًا تعليميا و تربويًا. و استمرت حتى هدمها صلاح الدين سنة 567 هـــ/1171م – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 179.

[3] – السيد النشار، المرجع السابق، ص 83.

[4] – ابن خلدون، العبر، ج4، ص 172-174 – ج5، ص 626 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص 257-268 – ابـــن طباطبـــا، المصدر السابق، ص 258.

[5] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 273-276 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 135.

[6] – المقريزي، المصدر نفسه، ج2، ص 275-277.

الجـــامع الحاكمـــي:

هو ثاني مسجد أسس بالقاهرة زمن الفاطميين، أنشأه العزيز بالله بن المعز الفاطمي ســـنة 380هـ/980م و أتمه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة 393 هـ/1003م[1].

وفي عهد المماليك انتدب السلطان النّاصر محمد بن قلاوون الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير[2] لتجديده و ترميمه وعمارته سنة 703 هـ/1303م بعد زلزال ضرب مدينة القاهرة و أضرّ بكثير من المباني الدينية و التعليمية[3].

وتمّ تجديد الجامع و أوقف عليه عدّة أوقاف، و رتّب فيه دروسًا أربعة لإقراء الفقه على المذاهب السنية الأربعة و هي المذهب المالكي و الشافعي و الحنفي و الحنبلي، و درسًا للحديث وجعل لكلّ درسٍ مدرّسًا و عدّة طلبة و زوّده بخزانة للكتب[4].

الجـــامع المـــؤيّدي:

أنشأه السّلطان المؤيد أبو نصر شيخ المحمودي الظّاهري رابع ملوك الجراكسة بجوار باب زويلة بالقاهرة سنة 819هـ/1416م، و كان جامعًا فخمًا، قال عنه ابن تغري بردي:"ما عمّر في الإسلام أكثر زخرفة و أحسن ترخيما منه، بعد الجامع الأموي بدمشق"[5].

وأوقف عليه عدّة أوقاف في مصر و الشام، وكانت تقام فيه دروس الشافعية والمالكية والحنابلة، و دروس الحديث و القراءات السّبع[6]، وزوّده ناصر الدّين محمد بن البارزي كاتب السرّ بـــخمسمائة مجلّد قيمتها ألف دينار[7].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 277 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 360 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 177 - حـــسن إبراهيم، المرجع السابق، ص 539 – أحمد عبد الرزّاق، المرجع السابق، ص 237 .

[2] – ركن الدين بيبرس الجاشنكير (ت709 هـــ/1309م): كان من كبار الأمراء المماليك على عهد الملك الناصر، تسلطن مدة ثم انقلبت الأمور ضده و قتل. الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 408-409.

[3] – جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة، ص 253 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 33 – السيوطي، تاريخ الخلفـــاء، ص 370-371.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 278.

[5] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310.

[6] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 194 – ابن إياس، المصدر السابق ، ج2، ص 6-7.

[7] – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 329.

2 – الكتاتيـــــب:

كانت الكتاتيب أو المكاتب في مصر ملحقة بالمنشآت الدّينية و التّربوية الأخرى، وكانت تؤدي وظيفة تعليمية و اجتماعيّة لصالح الأيتام من أبناء المسلمين. و كان الكتّاب في الغالب يبنى في الطابق الثاني من المنشأة الدينية، وارتبط ذكره بالسّبيل[1]، لذلك كانت الكتاتيب تسمى: مكاتب السبيل[2].

وكانت هذه المكاتب متسعة لاحتمال أعداد الأيتام الذين كانوا يقررون بها، و المؤدب أو العريف اللذان يقومان بالتعليم. كما ألحق ببعضها مرافق أخرى كبعض الخزانات لحفظ أدوات الكتابة و الألواح[3].

وكان التّخطيط الدّاخلي للمكتب يتلاءم مع الوظيفة التي يؤديها، فقد كان الكتاب يعلو السبيل ممّا جعله شبه مستقل عن المنشأة الّتي كان ملحقا بها، وكان يصعد إليه عبر سلم دون الحاجة إلى المرور داخل المنشأة خاصة مواضع الصلاة، لأنّ الصغار لا يتحرزون من النّجاسات وهو أمر أشار على كراهته الفقهاء[4]، كما أن هذا الاستقلال جنّب المنشآت الدينية التي كانت تؤدي وظيفة الصّلاة و الدّروس و التّصوف، الضّوضاء التي كان يثيرها الصّبيان غالبا، خاصّة عند قراءتهم بصوت مرتفع[5].

وكان يتولى التّدريس في الكتاتيب المصرية المؤدّب أو العريف، ففي مدرسة خوند تتر[6] كان للأيتام بها مؤدّب يعلمهم القرآن الكريم، و كان يجري لهم كلّ يوم من الخبز النقي خمسة أرغفة، ومبلغا من المال، و يقام لكلّ منهم بكسوتي الشّتاء و الصّيف، وكانت مصادر ذلك من غلاة الأوقاف الّتي كانت محبّسة على المدرسة[7] .

وكانت الكتاتيب تلقى العناية من السّلاطين و الأمراء المماليك، و من الأغنياء من أفراد المجتمع المصري، وكان إنشاؤها رغبة في الثّواب واستجلابا للحسنات و الخير، خاصة وأنّها كانت مخصّصة لأيتام المسلمين، لذلك كان انتشارها واسعًا، وكان بعضها يضم أعدادًا كبيرة من

---

[1] – السبيل و جمعها أسبلة عبارة عن منشأة كانت ملحقة بالمنشآت المعماريّة المملوكية لتزويدها بالمياه. جمال الغيطاني، "أسبلة القـــاهرة"، **مجلـــة العـــربي**، ع 308، جويلية 1984، ص 162.

[2] – الحداد، المرجع السابق، ص 54.

[3] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 347.

[4] – ابن سحنون، المصدر السابق، ص 114.

[5] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 349.

[6] – هي خوند تتر الحجازية ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، قامت ببناء المدرسة الحجازية. المقريزي، الخطط، ج2، ص 382.

[7] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 383.

الصّبيان، وذكرت المصادر أن منارة لإحدى المساجد بمصر لما سقطت أودت بحياة 300 من الأيتام كانوا في كتاب سبيل[1] ما يدل على دور الكتاتيب في إيصال التّعليم لأكبر عدد ممكن من الصّبيان داخل المجتمع المصري.

3 – المـــــــــدارس:

كان المصريون في عصر الفاطميين يستخدمون دار العلم والجامع الأزهر كمؤسّسات تعليمية، و كانت هذه المؤسّسات بمثابة مراكز استخدمها الخلفاء الفواطم لنشر وترسيخ مذهب الشيعة داخل المجتمع المصري، و في عصر الأيّوبيين قام صلاح الدين الأيوبي بإبطال مذهب الشيعة من مصر، و بدأ حربا فكرية ومذهبية ضدّهم بإنشاء مدرستين سنة 566هـ/1170م بجوار جامع عمرو بن العاص، خصّص إحداهما وهي المعروفة بالناصرية للفقهاء الشافعية، وخصّص الثّانية المعروفة بالقمحية للفقهاء المالكية[2].

وقد اقتدى صلاح الدين في سياسته في بناء المدارس بالعادل نور الدين محمود زنكي[3] الّذي أسّس ببلاد الشّام عدّة مدارس للشّافعية والحنفية[4]، وكان بدوره قد أخذ هذه التّقليد من السّلاجقة الذين يعدون أوّل من استعمل المدارس لنصرة المذهب السّني و محاربة مذهب الشّيعة[5].

وسار المماليك على نهج الأيّوبيين في تدعيم مذهب السّنّة، وحركة بناء المدارس خدمة لذلك الغرض، واستقرت المذاهب السّنية الأربعة رسميا عندما قام الظّاهر بيبرس البندقداري بتعيين القضاة من المذاهب الأربعة[6]، فأتاح هذا القرار نوعا من المساواة بين هذه المذاهب، وكان ذلك من

---

[1] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 21.

[2] – أبو شامة، المصدر السابق، ص 688 – ابن خلدون، التعريف، ص 1099 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 363 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 363.

[3] – هو الملك نور الدين أبي القاسم محمود بن الملك الأتابك قسيم الدين أبي سعيد زنكي ولد سنة 511هـ بحلب و توفي سنة 569هـ/1173م، فتح دمشق و بنى لأهلها المدارس و المساجد و الربط و كان حنفي المذهب. ابن كثير، البداية و النهاية، ج12، ص 277 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص169.

[4] – حول مدارس الشام يمكن الرجوع إلى : عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**، تح: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1956، ص 199 – عبد القادر النعيمي الدمشقي، **الداوس في تاريخ المداوس**، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990، ص 3 و ما يليها.

[5] – ابن كثير، البداية و النهاية، ج13، ص6 – الجراعي، المصدر السابق، ص 196-197- منى محمت، المرجع السابق، ص 129-131.

[6] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 35.

الدوافع الهامّة لبناء المدارس و كذلك الحاجة الماسة إلى تخريج الشّيوخ والقضاة والعلماء في المذاهب السّنية الأربعة لتدعيم موقف الدّولة ضد مذهب الشّيعة[1].

وأقبل سلاطين المماليك و الأمراء وأصحاب الأموال على بناء المدارس في القاهرة والمدن المصرية الأخرى، و عبّر القلقشندي عن هذه الحركة بقوله: "ابتنوا من المدارس ما ملأ الأخطاط و شحنها"[2] ، وذكر ابن بطوطة:" و أمّا المدارس بمصر فلا يحيط بحصرها لكثرتها"[3]، وأحصى المقريزي في خططه ستا وعشرين مدرسة بناها الأيوبيون كانت جلها لا تزال قائمة في عهده[4] فضلا عن التي بنيت في عهد سلاطين المماليك منذ عهد السلطان عز الدين أيبك التركماني (648-654 هـ/1250-1256م) وانتهاءًا بالسلطان قانصوه الغوري (906-922 هـ/1501-1516م)، حيث لم يخل عهد سلطان أو أمير من إنشاء مدرسة أو مؤسّسة تعليمية واعتبرت المدارس المملوكيّة من مظاهر السلطة و شعارها[5].

وكانت هذه المدارس أشبه بالجامعات، وكانت بعضها مخصّصة لمذهب فقهي معيّن، بينما كانت الأخرى تشتمل على المذاهب السنية الأربعة، و كانت تدرس بها العلوم الدينيّة، ثمّ تطورت و صارت تدرّس العلوم اللسانيّة و العقليّة، و ألحقت بكلّ مدرسة خزانة كتب كان المدرسون والطلاب يرجعون إليها للبحث و الاستقصاء[6].

وقد اشتهرت الكثير من المدارس في مصر المملوكية، وسنقتصر على ذكر البعض منها مركزين على المدارس الّتي كانت مخصّصة للمذهب المالكي أو الّتي كان الفقه المالكي مدرجًا في برنامجها الدّراسي و مقرّرًا رفقة المذاهب السنية الأخرى، خاصة و أنّ علماء المغرب الأوسط كانوا على مذهب مالك، وكانوا في تنقلاتهم إلى مصر يتجهون إلى هذه المدارس لتولي الوظائف العلميّة أو لطلب العلم.

---

1 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 143.

2 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 364.

3 – ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار**، ج1، تح: محمد عبد المنعم العريان، مراجعة: مصطفى القصاص دار إحياء العلوم، بيروت، 1996، ص 56.

4 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 363 و ما يليها.

5 – السيد النشار، المرجع السابق، ص 89.

6 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 467.

المدرسة القمحية:

أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي للفقهاء المالكية بجوار الجامع العتيق بمصر سنة 566 هـ/ 1170م [1]، وأوقف عليها قيسارية للورّاقين و أراضي من الفيوم تغل القمح فسُميت لذلك القمحية[2] ، ورتب فيها أربعة مدرّسين عند كلّ مدرّس عدّة طلبة و كانت أجل المدارس المالكية، وكان محصول القمح مصدر تمويلهم الرئيسي[3]، وكان عبد الرّحمن بن خلدون ممّن تولى التدريس بها لما ارتحل إلى مصر[4].

المدرسة العادلية:

أنشأها الملك العادل أبو بكر بن أيوب (ت 615 هـ/1218 م)[5]، وكانت عامرة و خصّصها للفقهاء المالكية[6].

المدرسة الفاضلية:

بنيت سنة 580 هـ/1196م بالقاهرة، و أوقفت على الفقهاء الشّافعية و المالكية، وكان فيها قاعة للإقراء، و ممّن أقرأ فيها الإمام أبو القاسم بن الشّاطبي ناظم الشّاطبية[7]. وكانت تضمّ مكتبة ضخمة في سائر العلوم ذهبت كلّها لأنّ الطّلبة باعوها في غلاء سنة 694هـ/1298م، كما كان ملحقا بها كتاب للأيتام[8].

---

1 - أبو شامة، المصدر السابق، ص 688 – النويري، نهاية الأرب، ج 28، ص 363 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص257.

2 - ابن خلدون، التعريف، ص 1099- ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص95.

3 - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 364.

4 - ابن خلدون، الرّحلة، ص 1099.

5 - ابن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص 28 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 79 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 406 – النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 9.

6 - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 365.

7 - هو أبو القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضرير، مصنف الشاطبية في القراءات السبع، ولد سنة 530 بالأندلس و ارتحل إلى مصر و ولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته. توفي سنة 590 هـ. ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 10 – ابن أيبك الصفدي، **نكت الهميان في نكت العميان**، دار المدينة، مصر، 1911، ص 228 – 229.

8 - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 366.

المدرسة الصّاحبية:

أنشأها بالقاهرة الصّاحب[1] صفيّ الدّين عبد الله بن شكر[2] بالقاهرة، و جعلها وقفا على الفقهاء المالكية، و رتب لها درسًا للنحو و جعل لها خزانة كتب، و قد جدّدت سنة 758هـ/ 1357م أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، و صارت تقام بها صلاة الجمعة[3] وكان أبو العباس أحمد بن محمد بن مرزوق يداوم على حضور الدروس الفقهية والمجالس العلمية بهذه المدرسة[4].

المدرسة الظّاهرية:

بناها بالقاهرة السلطان الظاهر بيبرس البندقداري، بدأ فيها سنة 660 هـ/1263م، وكان السلطان قد رتب وقفها قبل بنائها[5].

وفي يوم الأحد 15 صفر 662هـ/1263م، اجتمع أهل العلم و حضر القراء، و جلس أهل الدّروس كلّ في إيوانه الذي خصّص له، و افتتحت المدرسة رسميا من قبل السّلطان في يوم مشهود، و أنشد لذلك الشعراء كثيرا من القصائد، من ذلك قول الشّاعر أبي الحسن الجزّار[6]:

ألا هكـــذا يبني المدارس من بنى ❖ ومن يتغـالى في الثواب و في الثنا[7].

---

[1] – الصاحب: أصله في اللّغة الصديق و هو من ألقاب الوزراء المدنيين الّذين اختصوا بـه دون العـسكريين. النـويري، نهايـة الأرب، ج 30، ص422.

[2] – ولد سنة 548 هـ و توفي سنة 622 هـ، و كان فقيهًا مالكيا في عهد الأيوبيين ثم تولى الـوزارة. المقريـزي،الخطط، ج2، ص 371-372.

[3] – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 371- ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص95.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 395.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 120 – 121 – بيبرس الدوادر، المصدر الـسابق، ص 177 – المقريـزي الـسلوك، ج1، ص504 – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 378 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 13، ص 242 – النويري، نهايـة الأرب، ج 30، ص 93- السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص264.

[6] – أديب و شاعر، كان أحد فحول شعراء العصر المملوكي الأوّل، ولد سنة 601هـ/1203م و توفي سنة 695 هـ/1296م و ترك ديوان شعر. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 345 – 346.

[7] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 118.

وكان يدرّس بهذه المدرسة الفقه و الحديث و القراءات، و كان بها خزانة كتب شملت مختلف العلوم، وبني بجانبها مكتبا لتعليم الأيتام كتاب الله، و كانت من أجل مدارس القاهرة، لكن تقادم عهدها وساء حالها خلال القرن 9هـ/15م، و كان نظرها بيد الحنفية تارة و بيد الشافعية تارة أخرى[1].

المدرسة المنصورية:

أنشأها السلطان المنصور قلاوون الألفي الصالحي بين سنتي 682-684هـ/1283-1285م ضمن مركب معماري كان يضم البيمارستان والقبة إضافة إلى هذه المدرسة[2]، ورتب بها دروسا على المذاهب الأربعة[3]، و عين لكلّ درس مدرسا له كلّ شهر مائتا درهم وثلاثة معيدين لكلّ منهم خمسة و سبعون درهما، وخموسا طالبا لهم كلّ شهر سبعمائة وخمسون درهمًا[4]، ونظم بها التدريس بموجب وثيقة وقفية، و كان لكلّ مذهب إيوان خاص به، واختص الرواق الأيمن من إيوان القبلة (الرواق الجنوبي الشرقي) بجلوس الفقهاء المالكية[5]، وزودها بخزانة للكتب.

المدرسة النّاصريـــة:

أنشأها السّلطان العادل زين الدّين كتبغا المنصوري[6]، وأكملها السّلطان النّاصر محمد بن قلاوون سنة 703هـ/ 1303م، و كانت للفقهاء على المذاهب الأربعة، و جعل بها خزانة كتب و وقف عليها عدّة مواضع بمصر، و كانت من أجل المدارس العامرة بالقاهرة[7].

---

[1] – المقريزي، السلوك، ج 1، ص 544 – الخطط، ج2، ص 379.

[2] – للمزيد من التفصيل حول التركيبة المعماريّة لهذه العمائر انظر دراسة: إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 109-182.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 379-380 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 264 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 867.

[4] – إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 49.

[5] – الحداد، المرجع نفسه، ص 50.

[6] – كان من كبار المماليك المنصور قلاوون، حكم مدة ثم عزل. ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14، ص 27-28.

[7] -المقريزي، الخطط، ج 2، ص 380 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 8، ص 208-209 – السيوطي، حسن المحاضـــرة، ج 2، ص 190 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 3، ص 363.

المدرسة المنكوتمرية:

بناها الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامي الذي كان من مماليك المنصور حسام الدين لاجين، وتولى نيابة السلطنة سنة 696هـ/ 1296م و توفي سنة 698هـ/ 1298م، و قرّر بها درسا للمالكية و أسند التدريس فيه للشيخ شمس الدين محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام التونسي المالكي[1]، كما جعل بها درسا للحنفية و خزانة كتب، و جعل عليها وقفًا ببلاد الشّام[2] وممن درّس بها فقه المالكية الإمام العلامة الفرضي الحسّاب أبي الجود داود بن سليمان بن حسن التّلمساني (ت 863هـ/ 1461م)[3].

المدرسة المسلمية:

أنشأها أحد كبار التجار و هو ناصر الدين محمد بن مسلم البالسي (ت 776هـ/ 1375م)، و لم يتمّها، فوصّى بتكملتها، و أفرد لها مالا و أوقف عليها دورًا و أرضا و اشترط أن يكون فيها مدرّس مالكي و مدرّس شافعي و مؤدب أطفال[4].

المدرسة الجمّالية:

أنشأها بالقاهرة الأمير جمال الدين يوسف الإستدار[5] فيما بين 810-811 هـ/1407-1408م، و قرّر لتدريس المالكية بها الشيخ شمس الدين محمد بن البساطي[6]، كما كان بها دروس للحنفيّة والحنابلة، و درس للحديث و التفسير، و كان لكلّ مدرّس طائفة من الطلبة، و أجرى لكلّ واحد ثلاثة أرطال من الخبز يوميا و ثلاثون

---

1 - محمد بن أبي القاسم بن عبد السلام التونسي، ولد سنة 639هـ/1240م وتوفي سنة 715هـ/1315م، إمام ومفسر وفقيه، تولى قضاء الإسكندرية سنة 709هـ/1309م. ابن فرحون، الديباج، ص323.

2 - المقريزي، الخطط، ج 2، ص 387-388.

3 - ولد بتلمسان سنة 822هـ/1418م و أخذ عن قاسم العقباني ثم ارتحل إلى مصر و أفتى و درس. التنبكتي، المصدر السابق، ص116- ابن مريم، المصدر السابق، ص 101.

4 - المقريزي، الخطط، ج2، ص 401- ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص99.

5 - الاستادار: لفظ من أصل فارسي مقسم إلى أستاذ و دار، و كان موضوع الاستدارية التحدث في أمر بيوت السلطان كلّها. القلقشندى، صبح الأعشى، ج4، ص 20.

6 - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البساطي، من كبار علماء المالكية بمصر، تخرج به الكثير من المشارقة والمغاربة، توفي سنة 842هـ/1440م. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص466- السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص5- السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، ج1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1964، ص32-33- ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص287- التنبكتي، المصدر السابق، ص300- مخلوف، المصدر السابق، ص241- 242.

درهما شهريا، وجعل لكلّ مدرّس 300 درهم شهريا، و رتّب بها إماما و قومة و مؤذنين [1] وفراشين، وأوقف عليها عدّة أوقاف، و كانت بها مكتبة من أشهر المكتبات المدنية في العصر المملوكي . وفي سنة 812هـ/1409م هدمها الناصر فرج بن برقوق و أقام على أنقاضها مدرسته الناصرية[2].

المدرسة الظّاهرية البرقوقية:

أنشأها السلطان الظاهر برقوق بين عامي 786-788 هـ/1384-1386م، وكانت فريدة في ضخامتها، وقرّر فيها أربعة من المذاهب، وشيخ تفسير وشيخ إقراء، وشيخ حديث وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة، و جعل بها خزانة كتب[3] ، و عيّن فيها لتدريس المالكية عبد الرّحمن بن خلدون[4] ، كما درّس بها داوود بن سليمان بن حسن التلمساني[5].

المدرسة الأشرفية برسباي:

أنشأها السلطان برسباي الدقماقي الظاهري سنة 826-829هـ/1423-1426م بالقاهرة، وكانت ضمن مركب ضمّ تربة و جامعًا، و كان هذا السلطان محسنا للطلبة والقراء و الفقهاء، و اشترط أن من غاب أكثر من مدّة أشهر الحج تخرج وظيفته في المدرسة عنه. وزودت هذه المدرسة بخزانة للكتب[6]، و عين لتدريس المالكية بها الشيخ عبادة بن علي المالكي (ت 846هـ/1442م) أحد أقطاب المذهب المالكي بالديار المصرية في عصره.

المدرسة الأشرفية قايتباي:

بناها السلطان الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي، الّذي كان كثير الإنشاءات المعمارية، وبنى عدّة مدارس عبر عدّة مدن مصريّة، وأوقف عليها خزائن للكتب[7].

---

[1] – كانت المدرسة المملوكية متعددة الوظائف، و من بينها وظيفة الصلاة، و قد أدّت بعض المدارس وظيفة المسجد أو المسجد الجامع عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 139-143.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 401-402 – السلوك، ج4، ص 175-176.

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 113 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 12 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 193.

[4] – ابن خلدون، الرحلة، ص 1107.

[5] – التنبكتي، المصدر السابق، ص116– ابن مريم، المصدر السابق، ص 101.

[6] – ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص124– السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9.

[7] – ابن العماد، المصدر السابق، ج8، ص 7-8 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310-311 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص393 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق،ج1، ص 251.

المـــدرسة الغـــوريـــة:

أنشأها السلطان قانصوه الغوري أواخر عصر المماليك بين عامي 908-922هـ/1501-1516م، وكان بها خزانة كتب ضمت الكثير من المؤلفات و المصاحف[1].

ولم يقتصر إنشاء المدارس على القاهرة فحسب، بل أنشأت الكثير منها في معظم المدن المصرية، ففي الإسكندرية وحدها سجل بناء 25 مدرسة منها: المدرسة السلفية والعمادية والسراجية و العادلية[2]، وكان بأسوان[3] ثلاث مدارس هي: البانياسية والنجمية والسيفية، وفي إدفو[4] خمس مدارس، و في قوص[5] 16 مدرسة، و جدّدت بدمياط عدّة مدارس[6].

4-الخـــوانق و الرّبـــط و الزّوايـــا:

كان انتشار التّصوّف بمصر في عصر المماليك من المميّزات و الظّواهر الّتي اتّصفت بها الحياة الدّينية، وساعدت عدّة ظروف في انتشار هذه الظاهرة واتّساع نطاقها، وكان صلاح الدّين الأيّوبي قد عمل على إدخال نظام الخانقاوات إلى مصر واستغل التّصوف في مشروعه للقضاء على المذهب الشّيعي، غير أنّ التّصوّف ظلّ هادئا ولم يشتدّ تياره إلاّ في عصر المماليك[7]، وأدّت أحداث العالم الإسلامي في المشرق والمغرب إلى هجرة كثير من مشايخ الصّوفية إلى مصر أين وجدوا مناخًا مناسبًا خاصّة رعاية و اهتمام سلاطين المماليك بهم[8]، و الاستعداد الذي كان عند

---

1 - ابن إياس، المصدر السابق، ج4، ص 52-68.

2 - محمود زيتون، **الحافظ السلفي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 138-141 - ابن كثير، البدايـــة و النهايـــة، ج12، ص 307-308 - و بنى ابن الدماميني (ت 731 هـــ/ 1331م) المحدث و الفقيه بالإسكندرية مدرسته ووقف عليها أوقاف كثيرة . ابـــن تغـــري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 410.

3 - إحدى مدن الصعيد على ضفة نهر النيل الشرقية، وكانت من المراكز التجارية المهمة على حدود النوبة وبلاد السودان. الإدريـــسي، المـــصدر السابق، ص55- المقريزي، الخطط، ج1، ص197-199- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص241.

4 - من مدن صعيد مصر في الصحراء. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص71.

5 - من أكبر مدن الصعيد ومركز تجاري وزراعي، وكانت مقر ولاة الصعيد. المقريزي، الخطط، ج1، ص236- ابن بطوطة، المصدر الـــسابق، ج1، ص70.

6 - ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 28-49.

7 - عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 163.

8 - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 263 و ص 367.

أفراد المجتمع المصري لتلقي تعاليم الصّوفية و تقبل آرائهم و مذاهبهم المختلفة فاندفع الكثيرون إلى الدّخول تحت لواء المشايخ[1].

وكان الصّوفية في مصر يتخذون من الخوانق و الرّبط و الزّوايا مراكز لنشاطهم وتعليم مذاهبهم لأتباعهم، والخوانق أو الخانقاوات جمع خانقاه، وهي لفظ فارسي الأصل معناه بيت الصّوفية، وقد أحدثت في العالم الإسلامي خلال القرن 4-5هـ/10-11م[2].

وكانت الخوانق عبارة عن دور عبادة و علم، حيث كان يدرّس فيها الفقه والحديث و القراءات والتّصوف، كما كانت مأوى للوافدين من الغرباء على مصر، و مراكز إشعاع ثقافي بما حَوَته من مكتبات وكتب في شتى العلوم[3].

كما كان لها طاقم إداري مكوّن من شيخ الخانقاه وإمامها وناظرها ومدرّسو المذاهب، والمعيدون وخازن الكتب، وغيرهم من القائمين على خدمة الطلبة والوافدين، وكان لكلّ موظف منهم أجره[4].

وكانت أوّل خانقاه أسّست بمصر هي خانقاه سعيد السّعداء بالقاهرة، وتعرف أيضا بالصّلاحية، أنشأها السّلطان صلاح الدّين الأيّوبي سنة 569 هـ/1173م، وولّى عليها شيخا ووقف عليها بستانا وقيسارية[5].

وكانت هذه الخانقاه مخصّصة لدراسة المذهب الشّافعي، وممّن تولى التدريس بها: تقيّ الدّين بن رزين، وتقيّ الدّين بن دقيق العيد، و برهان الدّين الخضر السّنجاري، و تقيّ الدّين بن بنت الأعز وبهاء الدّين بن تقيّ الدّين السّبكي وابن حجر العسقلاني[6]، وكان هؤلاء المشايخ من أقطاب العلماء بمصر في عصر سلاطين المماليك، ممّا يدل على أهمية هذه الخانقاه وأن إسناد مشيختها وتدريسها كان لا يصح إلاّ للمبرزين من العلماء.

وفي عهد المماليك انتشرت الخوانق انتشارًا واسعًا، و ذكر المقريزي بالقاهرة وحدها 22 خانقاه، وكان أشهرها:

---

[1] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 162-163.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 414.

[3] – عاصم محمد رزق، **خانقاوات الصوفية في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي**، ج1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص 21-23.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 415.

[5] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 415 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 364 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 256-257 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 364- عاصم رزق، المرجع السابق، ص 231

[6] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 257-261.

الخـــانقاه البيبـــرسية:

أنشأها الأمير ركن الدّين بيبرس الجاشنكير سنة 707-709هـ/1306-1309م، ووصفها المقريزي بأنّها أجلّ خانقاه بالقاهرة بنيانًا و أوسعها مقدارًا و أتقنها صنعة و بنى بجانبها رباطًا كبيرًا و قبّه لضريحه، و قرّر فيها 400 صوفي، و بالرّباط 100 من الجند، ورتّب بالقبّة درسا للحديث النبوي، وكانت لهذه الخانقاه عدّة أوقاف بمصر و الشام[1]، و كان عبد الرّحمن بن خلدون ممّن تولى مشيختها[2].

خـــانقاه سريـــاقوس:

تقع هذه الخانقاه خارج القاهرة ناحية الشمال، أنشأها السلطان النّاصر محمّد بن قلاوون، وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي، وبنى بجانبها جامعًا، وبنى بها حماما ومطبخا في 723هـ/1323م، وكمُلَت في 725هـ/1325م، وافتتحها السّلطان مع الأمراء و القضاة و مشايخ الخوانق، و سكن النّاس حولها حقّ صارت بلدة كبيرة[3]، و لقّب شيخ هذه الخانقاه بشيخ الشّيوخ[4].

الخـــانقاه الشّيخونـــية:

أنشأها الأمير الكبير شيخو العمري النّاصري سنة 756هـ/1355م[5]، وكان يقام بها درس الحديث والتفسير و القراءات والفقه على المذاهب الأربعة، وكان لكلّ درس شيخ و طلبة، واشترط عليهم حضور الدرس و وظيفة التّصوف[6].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 416-417 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص265- حسن عبد الوهاب، المرجـــع الـــسابق،ج1، ص 131-135.

[2] – ابن خلدون، التعريف، ص 1138.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 420 – أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص 441 – ابن بطوطة، المـــصدر الـــسابق، ج1، ص61- ابـــن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص397- ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص49.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 38 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 84.

[5] – هو شيخو بن عبد الله النّاصري (ت 758 هـــ/1357م) كان من كتابية الملك النّاصر، و كان له دور كبير في الأحداث السياسيّة في أواخر عهد المماليك البحرية – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 257 – المقريزي السلوك، ج3، ص 33 – ابن العماد، شذرات الـــذهب، ج6، ص 183.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 420 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج2، ص 266- 267.

الخـــانقاه الظّـــاهـــرية:

أنشأها الملك الظاهر برقوق سنة 786-788هـ/1384-1386م، وكان لها عدّة أوقاف، وكانت تزخر بالكتب والشّيوخ والمدرّسين و المعيدين و الطّلاب في فقه المذاهب الأربعة و علوم التّصوف و القراءات و التّفسير و الحديث[1].

الخـــانقاه النّاصرية فرج:

أنشأها السّلطان فرج بن برقوق سنة 801-813هـ/1398-1460م، وكانت أضخم خانقاه بمصر مساحة وأكثرها نفقة، وبنيت على شكل مسجد فسيح الأرجاء لإقامة الصّلوات، وكمدرسة للعلوم الشّرعية وخانقاه للصّوفية وتربة للعائلة البرقوقية وكتاتيب لتعليم الأيتام، وأصبحت نواة مدينة ناشئة[2].

الخانقاه الأشرفية برسباي:

أنشأها السّلطان الأشرف برسباي[3] بالقرافة الشرقية سنة 835هـ/1431م، وكانت تلي الخانقاه النّاصرية فرج من حيث الأهمية، وكانت مزودة بمكتبة زاخرة بالمصنفات الدّينية والفقهية واللّغويّة و التاريخيّة والمصاحف والربعات الشريفة، وكانت تقام بها دروس الفقه على المذاهب الأربعة[4].

الخـــانقاه الغـــورية:

أنشأها السّلطان قانصوه الغوري أواخر عهد المماليك سنة 909-910هـ/1503-1504م، وكانت بها خزانة كتب ضمّت الكثير من المصنفات و المصاحف[5].

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 12 – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 486.

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 168 – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 538.

[3] – سيف الدين أبو النصر برسباي، حكم من 824 إلى 841 هـ/1421-1438م، و في عهده فتح المماليك جزيرة قبرص. السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9.

[4] – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 603-617 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 229.

[5] – ابن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص 268 – عاصم رزق، المرجع السابق، ج2، ص 742-744.

أمّا الرّبط فهي جمع رباط، و هو دار كان يسكنها أهل طريق الله، و هو بيت الصّوفية أيضا، وهو من المرابطة أي لزوم الثّغر[1].

وكانت الرّبط منتشرة على ثغور الدّول الإسلامية خاصة في بلاد الشام والمناطق الّتي كانت في جهاد مستمر ضدّ الصليبيين، وكانت تجمع بين حياة الحرب و الحياة الروحيّة، لكن وبعد أن ضعف الخطر الصليبي بالمشرق أخذ الرّباط يفقد طابعه الجهادي وتغلبت عليه الصّفة الدينية، وساعد انتشار التّصوف في عصر المماليك على إيجاد المبرّرات لبقاء الرّبط وتحويلها إلى دور للصّوفية[2].

وقد اهتم سلاطين المماليك بإنشاء الرّبط، و تبعهم في ذلك الأمراء و حتّى بعض السيدات الصّالحات، و وجدت أربطة للرّجال و أخرى للنساء، و أحصى المقريزي بالقاهرة 12 رباطا منها:

ربـــاط البغدادية:

بالقرب من خانقاه سرياقوس، بنته السّت الجليلة تذكار باي خاتون ابنة الملك الظّاهر بيبرس سنة 684هـ/ 1285م للشّيخة الصّالحة زينب بنت أبي البركات المعروفة ببنت البغدادية، فأنزلتها به ومعها النساء الخيرات، وكان به شيخة تعظ النّساء و تذكّرهن و تفقّههن[3].

رباط ابن سليمان:

خارج باب زويلة بالقاهرة، وعرف باسم أحمد بن سليمان بن أحمد بن إبراهيم بن أبي المعالي بن العبّاس الرّحبي البطائحي الرّفاعي شيخ الفقراء الأحمدية الرّفاعية بديار مصر (ت:691هـ/1292م)[4].

رباط ابن أبي منصور:

بقرافة مصر، نسبة إلى الشّيخ صفيّ الدينّ الحسين بن علي بن أبي منصور الصّوفي المالكي (ت:682هـ/ 1283م)، سلك طريقة أهل الله على يد الشيخ أبي العبّاس أحمد بن أبي بكر الجزّار التّجيبي المغربي[5].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 427.

[2] – عاصم رزق، المرجع السابق، ج1، ص 100 – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 182-183 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 168.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 428.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 428 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 417.

[5] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 428.

رباط الآثار:

خارج مصر، كان مطلاّ على نهر النيل، وقرّر فيه الملك الأشرف شعبان بن حجي بن محمد بن قلاوون[1] درسا للفقهاء الشّافعية، و جعل له مدرّسا و عدّة طلبة كان لهم نفقة ووقف، وكان به خزانة كتب[2].

أمّا الزّوايـــا فهي الركن من البيت أو المسجد، و كان أصلها مسجدًا صغيرًا للصّلوات ثمّ تطور مفهومها في المغرب و صارت توازي الخانقاه بالمشرق[3]، و هي على العموم دار الصّوفية، كما تداخلت تعاريف كلّ من الخانقاه و الرّباط و الزّاوية لاسيما بعد ما أصبحت وظائفها في مصر المملوكية متشابهة، و لم تعد التّفرقة واضحة بين هذه المصطلحات[4].

وقد انتشرت الزوايـــا في العصر المملوكي كنوع من منشآت التّصوف، و كانت الزاوية تنشئ في الغالب برسم شخص معين لينقطع فيها للعبادة، مثال ذلك **زاوية الشّيخ خضر** التي أنشاها الظّاهر بيبرس البندقداري خارج القاهرة، و أنزل بها الشّيخ خضر بن أبي موسى المهراني العدوي، الّذي توفّي سنة 676هـ/1277م، و كان للظّاهر بيبرس اعتقاد كبير فيه[5]، و **زاوية الرّكراكي** خارج القاهرة، و هي منسوبة للشّيخ المعتقد أبي عبد الله محمد الرّكراكي المغربي المالكي، لإقامته بها وكان فقيها مالكيا متصديا لأشغال المغاربة (ت:794 هـ/ 1393م)[6]، **وزاوية الجعبري** نسبة إلى الشّيخ برهان الدين إبراهيم بن معضاد بن شدّاد بن ماجد الجعبري المعتقد الواعظ (ت:687هـ/ 1288م)، وكان يجلس فيها للوعظ و رواية الحديث ويشارك في الطب، كما كان ينظم الشعر[7].

---

[1] – حكم من 764 إلى 778 هـ/1363-1376م و كان محبا للعلماء و الفقهاء و أهل الخير. ابن تغري بردي، النجـــوم الزاهـــرة، ج11، ص24 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 83 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 234-248.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 429.

[3] – ابن مرزوق، المسند، ص 413.

[4] – عاصم رزق، المرجع السابق، ج1، ص 102-103 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 169.

[5] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 276-277 – المقريزي، الخطط، ج 2، ص 431 – الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 10- ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص431 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص278 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص376- ابـــن تغـــري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص218- المقريزي، السلوك، ج1، ص608- ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص351-352.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 433 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص134.

[7] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 374-376 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 163 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 30 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص399 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص 31 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 434 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 173-174 – ابن الملقن، طبقات الولياء، ص 412.

5- مؤسسات أخـــرى:

أ- البيمارستانـــات:

البيمارستانـــات جمع بيمارستان وهي كلمة فارسية معرّبة تعني دار المرضى، واختصرت فصارت مارستان[1]، و كانت بمثابة كليات الطّب الحديثة، و لم تكن هذه المؤسّسات خاصة بعلاج المرضى فقط، بل كانت تدرس الطّب على أيدي أساتذة متخصّصين، فكانت في الوقت ذاته مكانا للدّراسة النّظرية و التّطبيقية[2].

وقد حرص سلاطين المماليك على إنشاء البيمارستانات و تزويدها بطاقم طبّي، وبالأدوية و الكتب اللاّزمة في إطار اهتمامهم برعاية الصّحة العامّة للمجتمع المصري[3].

و من أشهر البيمارستانات بمصـــر:

البيمارستـــان الطّـــولونـــي :

هو أوّل بيمارستـــان أنشئ في مصر، أنشأه أحمد بن طولون عام 259هـ/871م[4]، وأوقف عليه عدّة أوقاف و زوده بخزانة كتب لإقامة دروس الطّب، و استمر في وظيفته حتّى عصر المماليك الجراكسه[5].

البيمارستـــان المـــنصوري:

أنشأه السّلطان المنصور قلاوون الألفيّ الصّالحي، بدأ فيه سنة 683هـ/1284م، وأوقف عليه أوقافا كثيرة، و جعل به خزانة كتب و مكانًا يجلس فيه رئيس الأطبّاء لإلقاء درس الطّب[6]، وكان له طاقم إداري يضبط مصاريفه و ما يحتاجه من الأدوية، و موظفّون يقومون بصيانته فضلا

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 405 – أحمد عيسى بك، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 4.

[2] – السيد النشار، المرجع السابق، ص 101 – سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 92-93.

[3] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 93.

[4] – الكندي، المصدر السابق، ص 243 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 343 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 101 – أحمد عبد الرزّاق، المرجع السابق، ص 112- محمد زكي حسن، **الفـــن الإسلامـــي**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 66.

[5] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 405.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 406 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 326-327 – القلقـــشندي، صـــبح الأعـــشى، ج3، ص365 – عيسى بك، المرجع السابق، ص 83.

عن الأطبّاء المعالجين، و كان به قاعات حسب الأمراض، و قاعة خاصة بالنّساء، وألحق به مطبخا و صيدلية لصناعة الأدوية و الأشربة[1].

واشترط السّلطان المنصور عند بنائه الانشغال فيه بعلم الطّب، وتعيين شيخ مدرّس من الحكماء الأطبّاء يكون عالما بالطّب[2].

وقد وصف الكثير من المؤرّخين و الجغرافيين هذا المارستـــان و أشادوا به، و قال عنه الكتبي: " المارستان العظيم الذي لم يكن مثله"[3]، و وصفه الحسن الوزان بقوله: " وفي القاهرة بيمارستان كبير... و هو مفتوح للجميع يجد فيه المريض كلّ التسهيلات والعلاجات الطبيّة وجميع ما يحتاج إليه"[4]. و وصفه ابن بطوطة بقوله: " و أمّا المارستان ... فيعجز الواصف عن محاسنه و قد أعدّ فيه من المرافق و الأدويّة ما لا يحصر، يذكر أنّ مجباه ألف دينار كلّ يوم"[5].

البيمارستان المؤيدي:

أنشأه السّلطان المؤيّد شيخ سنة 821-823 هـ/ 1418-1420م، وجعل له أوقافا، ولما مات المؤيّد سنة 824 هـ/1421م تعطّل، ثمّ سكنته طائفة من العجم، ثمّ تحول إلى جامع[6].

ب- التّـــرب و القبـــاب:

وهي الأماكن الّتي كان يخصصها سلاطين المماليك لدفنهم بعد موتهم، و قد حرصوا كثيرًا على إقامة هذه المنشآت، و الّذي ميّز الترب و القباب بمصر هو أنّها لم تكن مجرّد مدافن، بل تم استغلالها للتعليم، حيث كان منشئوها يقصدون من وراء ذلك جلب الثواب، لذلك عملوا على جعلها مكانًا لقراءة القرآن بشكل متصّل، و أن تكون في خدمة العلم و الدّين، لذلك كانت تلحق بها مكتبات تشتمل على بعض الكتب الدّينية[7].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 406-407.

[2] – انظر وثائق وقف السلطان المنصور قلاوون على البيمارستان المنصوري في: الحسن بن عمر بن حبيب، **تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيـــه**، ج1، تح: محمد أحمد أمين، دار الكتب، القاهرة، 1976، ص496- 312.

[3] – الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 270.

[4] – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 206-207.

[5] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 56.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 408 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 310-311.

[7] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 380 – السيد النشار، المرجع السابق، ص 107- زكي محمد حسن، فنـــون الإســـلام، ص 153- ولفـــرد جوزف دللي، **العـــمارة العـــربية بمـــصر**، تر: محمود أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2000، ص 39.

ومن أشهر القباب والتّرب المملوكية الّتي أدّت وظيفة التّعليم: **القبّة المنصورية** الّتي أنشأها السّلطان المنصور قلاوون سنة 683-684هـ/1284-1285م، و خصّها بدرس للحديث وآخر في التّفسير و ميعاد للتّصوف[1]، و **تربة السّلطان برسباي الدّقماقي الظّاهري** الّتي أوقف عليها خزانة كتب [2] ، و **قبّة النّاصر محمد بن قلاوون** الّتي أنشأها بجوار مدرسته النّاصرية[3].

6-المكتبـــــــات:

ازدهرت حركة إنشاء المكتبات في مصر المملوكية، فوجدت المكتبات الخاصّة والمكتبات العامّة و مكتبات المؤسّسات التّعليمية.

وكان سلاطين المماليك حريصين على الاحتفاظ بخزانة كتب جليلة القدر بقلعة الجبل مقرّ السّلطة المركزية، كانت تضمّ مجموعة كبيرة من الكتب في المعارف و العلوم المختلفة[4]، وكان معظم الأمراء يمتلكون خزائن كتب في قصورهم، مثل الأمير تغري برمش سيف الدين الجيلالي النّاصري (ت: 852هـ/1449م)[5].

كما كان لدى العلماء و الفقهاء و القضاة وحتّى عامّة الشعب المصري أحيانا مكتباتهم الخاصّة يرجعون إليها للقراءة و التأليف.

وكانت المؤسّسات التعليمية على اختلاف أنواعها مزودة بالمكتبات، فقد تطلبت وظيفة التّعليم توفير الكتب اللّازمة الّتي يحتاجها الأساتذة و الطّلاب للدّراسة و البحث، لذلك كانت الجوامع و المساجد و المدارس و الزوايا و الرّبط و الخوانق و البيمارستانات وحتّى التّرب والقباب مزودة بخزائن للكتب، و لم تخل مؤسّسة تعليمية من مكتبة مزودة بالمراجع العلمية والفقهية الموجّهة للاستفادة منها في إطار النّشاط الثّقافي الكبير الّذي كانت تشهده مصر في عصر سلاطين المماليك[6].

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 325-327 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 380- السلوك، ج1، ص 725- الحداد، المرجع السابق، ص 53.

[2] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 9.

[3] – المقريزي، السلوك، ج1، ص 1043.

[4] – السيد الدشار، المرجع السابق، ص 73.

[5] – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 33-34.

[6] – السيد الدشار، المرجع السابق، ص 80 و ما يليها.

وكان للمكتبات المملوكية نظم خاصّة و موظّفون، منهم خازن الكتب الّذي كان يضطلع بالإشراف على اقتناء الكتب و حفظها و تسيير طاقم المكتبة وفق شروط معيّنة للإعارة[1].

7- التّعليـــــم:

كان التّعليم في مصر المملوكية متاحًا لعامّة أفراد الشّعب المصري، و حتّى المماليك أنفسهم كانوا يحضون بنصيب من التّعليم قبل التحاقهم بالخدمة في الجيش أو في البلاط، و كان المكان المخصّص لذلك هو الطّباق، و فيه كانوا يتعلّمون القرآن و الخطّ و الشّرائع في المرحلة الأولى، ثمّ يتعلّمون الفروسية و فنون الحرب لاحقا، وكان يشرف عليهم الفقيه أو المؤدّب الّذي يعلّم الكتابة و التّنشئة الدّينية[2].

أ-التّعليم بالكتّـــاب:

كانت الكتاتيب المملوكيّة مخصّصة للأيتام من أولاد المسلمين فقط، وكان يشرف على تعليمهم المؤدّب أو العريف[3]، أمّا عن طريقة التّدريس بالكتاتيب فقد أشار ابن خلدون إلى اختلافها في الأمصار بين المغرب و المشرق، و قال عن تعليم الولدان في مصر:"... والّذي ينقل لنا أنّ عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشّبيبة، ولا يخلطونه بتعليم الخطّ، بل لتعليم الخطّ عندهم قانون و معلمون له على انفراده، كما تتعلّم سائر الصنائع، ولا يتداولونها في مكاتب الصّبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخطّ قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلّم الخطّ فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويبتغيه من أهل صنعته "[4].

وقد اشترط على المؤدّب أن يترفق بالصّغير و أن يعلمه السّور القصار من القرآن بعد أن يتعلّم الحروف ويضبطها بالشكل، ثمّ يتعلّم عقائد السّنن ثمّ أصول الحساب و ما يستحسن من المراسلات، كما يتعلّم الصبيان بعض العادات و الأخلاق الحميدة إضافة إلى الصّلاة، كبرّ الوالدين، و ينهون عن العادات السيئة دون إفراط في التّأنيب لمضرته[5].

---

[1] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 132-135 – النشار، المرجع السابق، ص 113.

[2] – عبد المنعم ماجد، دولة سلاطين المماليك، ص 16- 18.

[3] – نقولا زيادة، "المعلم"، **مجلة العربي**، ع 516، نوفمبر 2001، ص 57.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص 1040.

[5] – ابن خلدون، المقدمة، ص 1042- 1043 – سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص 151– عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 145-149– أحمد بن قدامة المقدسي، **مختصر منهاج القاصدين**، المكتب الإسلامي، بيروت، 1394هـ، ص 14-15.

وإذا أتمّ الصبيّ حفظ القرآن احتفل به احتفالا كان يسمى "الإصرافة"، وهو ما يقابل الختمة في المغرب، فتزين أرض المكتب وكذلك الصبيّ، و يركب على فرس، و يسير أمامه بقية الصبيان منشدين حتّى يصلون إلى بيته فيدخل المؤدب و يسلم اللوح لأم صاحب الإصرافة ويتقاضى قدرًا من المال[1].

وكان الصبي الّذي يظل بالمكتب حتّى البلوغ دون أن يحفظ القرآن يصرف ليحلّ محلّه أحد صغار الأيتام[2].

ب- التّـــعليم العالـــــــي:

كان يتم في المؤسّسات التّعليمية الكثيرة الّتي أنشئت بمصر في عهد المماليك، و نقصد بها الجوامع والمساجد والمدارس والخانقاوات والبيمارستانات، وكان طلّاب العلم يقصدون هذه المؤسّسات لما كانت توفّره من أساتذة متخصّصين في الميادين العلمية التي كانوا يريدون التّخصّص فيها، وكذلك لتوفرها على المسكن والطّعام والكسوة[3]، وقد حدد علماء عصر المماليك مجموعة من التّخصّصات العلمية التي كانت تدرّس بالمعاهد التّعليمية العليا، وتمثّلت على الخصوص في أصول سبعة هي: العلوم الشرعية، العلوم اللغوية، العلوم الطبيعية، علم الهندسة، علم الهيئة، علم العدد والأرتماطيقي، العلوم العملية كالسياسة والأخلاق[4].

وكان الطّلبة يتمون أحد التّخصّصات العلمية بالإجازة التي كانت تمكّنهم من التّصدي لتدريس الفنّ الّذين أجيزوا فيه[5].

وكان يشرف على الطّلبة في المعاهد العليا طاقم تدريس كان يختاره السّلطان شخصيا، وكانت وظيفة التّدريس جليلة القدر، وكان يخلع على صاحبها بالخلع، وعني المماليك بالعلماء من ذوي الكفاءة والفضل والعلم من أهل المذاهب السّنية الأربعة المعتمدة[6].

---

1 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص 152.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص136-139.

4 - القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص470-480.

5 - القلقشندي،صبح الأعشى،ج1، ص481.

6 - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص387- عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص144-145.

ثانيا : الحركة العلمية ومشاهير العلماء:

انعكست حركة إنشاء المؤسّسات الثقافيّة و التعليميّة و رعاية السلاطين المماليك للعلم والعلماء إيجابيا على الحركة العلميّة بمصر، فازدهرت أصناف العلوم خاصة الشرعية منها، وكثرت التآليف و برزت ظاهرة تأليف الموسوعات، و اشتهر الكثير من العلماء في عدّة تخصصات علميّة فيما يعرف بالموسوعية.

1 – العلـــوم الدّينيـــة:

كانت العلوم الدّينية تلقى رعاية الطّلاب و العلماء في مصر نظرًا لما كانت توفره لصاحبها من مركز في المجتمع والدّولة، وتقلّد مناصب القضاء و الفتيا والتّدريس، كما أنّها كانت تعتبر من الضروريات الّتي على الفرد تعلّمها لأهميتها في الحياة الدّينية والاجتماعية والاقتصادية وحتّى السّياسية.

وكانت العلوم الدّينية أو الشّرعية مقسّمة إلى عدّة تخصّصات تكمّل بعضها بعضا وهي: علوم القرآن وما يتبعها من التّفسير والقراءات، علوم الحديث، علوم الفقه وأصوله، علم الكلام والجدل[1].

وتأثّر تدريس هذه المواد والتّخصّصات بالجو العام للحياة الدّينية، و كانت الدّيار المصرية مركزًا لنشاط ديني كبير، خاصّة بعدما أصبحت قاعدة للخلافة العبّاسية، ومقصدًا للمسلمين من المشرق و المغرب.

وكانت آثار التّشيّع لا زالت قائمة أوائل عصر المماليك رغم الجهود الّتي بذلها الأيوبيون قبلهم لتدعيم مذهب السّنة عقب إسقاط الخلافة الفاطمية[2].

---

[1] –ابن خلدون، المقدمة، ص 782-838 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 470-474 – أبو حامد الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، ج1، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937، ص 3-4 – جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج1، تح: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، 1996، ص 25-30 - جلال الدين السيوطي، **ألفية السيوطي في علم الحديث**، تصحيح و شرح: أحمد محمد شاكر، دار الرجاء، الجزائر، 1934، ص2 و ما يليها – ابن قدامة، المصدر السابق، ص9- بدر الدين بن جماعة، **المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي**، ط2، تح: محي الدين عبد الرحمان، دار الفكر دمشق، 1986، ص 29.

[2] – أبو شامة، المقدسي، المصدر السابق، ص 688 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 343 – الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ص 380-385 – النويري، نهاية الأرب، ج28، ص 362- ابن واصل، مفرج الكروب، ج2، ص470.

واتبع سلاطين المماليك سياسة واضحة المعالم للقضاء على آثار المذهب الشّيعي، ففي سنة 665هـ/1264م قام السّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري بتحريم أي مذهب ما عدا المذاهب السّنية الأربعة، و لم تعد تقبل شهادة و لا يرشّح للقضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التّدريس إلاّ إذا كان الشّخص من أتباع أحد المذاهب السّنية المعتمدة[1] و هي :

المذهب المالكي: نسبة إلى الإمام مالك بن أنس (ت: 179هـ/795م)[2]، و كانت مصر أولاً على مذهب مالك قبل أن يدخلها الإمام الشّافعي[3].

المذهب الشّافعي: نسبة إلى الإمام أبي عبد الله الشّافعي الذي توفي بمصر سنة 204هـ/819م[4].

المذهب الحنفي: نسبة إلى الإمام أبي حنيفة النّعمان بن ثابت (ت: 150 هـ/767م)[5]، و الّذي دخل مذهبه مصر في عهد الدّولة الإخشيدية[6].

المذهب الحنبلي: نسبة إلى الإمام أحمد بن حنبل (ت: 241 هـ/854م)[7]،و الّذي كان مذهبه منشرًا بقوّة في بلاد الشام و لم يكن له
أتباع كثيرون بمصر، حيث لم يظهر بها إلاّ في القرن السابع الهجري [8].

وكان الفقه يدرّس على هذه المذاهب، و تطورت العلوم الدّينية بفضل تشجيع الحوار الفكري و المناظرات العلمية بين الفقهاء و العلماء من جميع المذاهب، و برز العديد من الفقهاء والمحدّثين والمفسّرين و المشتغلين بالقراءات، وكثرت التآليف المتداولة، وكان منها الكتب المبسوطة

---

[1] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 7، ص 134.

[2] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 439 – ابن فرحون، الديباج، ص17 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص 289 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 96 – مخلوف، المصدر السابق، ص 48-55 – فؤاد سزكين، **تاريخ التراث العربي**، ج2، تر: محمود فهمي أبو الفضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1978، ص 120.

[3] – المقدسي، المصدر السابق، ص 202-203.

[4] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 447 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص 9 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج 10، ص 251 – ابن فرحون، الديباج، ص 227 – فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 165.

[5] – ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، ج7، دار صادر – دار بيروت، بيروت، 1958، ص 322 – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص 163 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج10، ص 107 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج1، ص 227 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج2، ص 12- محمد أبو زهرة، أبو حنيفة، ط3، دار الفكر العربي، 1960، ص 12 وما يليها – فؤاد سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 31.

[6] – عبد اللطيف حمزة، **الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأوّل**، ط8، دار الفكر العربي، 1968، ص 196-197.

[7] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 17 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج2، ص 96 – إبراهيم بن محمد بن سالم بن ضويان ، **كتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل**، ج1، منشورات مؤسّسة دار السلام، دمشق، 1378 هـ، ص 7- الزركلي، الأعلام، ج1،ص 192 – سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 196.

[8] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص480- عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 196-197.

والكتب المختصرة، وكان الهدف منها تسهيل و تبسيط المصطلحات للطّلاب حتّى يتمكّنوا من فهم أصول العلم، ثمّ يتعمّقوا فيه عن طريق المصّنفات الأساسية[1]. وبرز من علماء مصر في العلوم الدّينية:

عزّ الدين بن عبد السّلام(578-660 هـ/1182-1261م) [2]:

يلقّب بسلطان العلماء، وهو عزّ الدّين أبي محمد عبد العزيز بن عبد السّلام بن أبي القاسم بن حسن السّلمي الدّمشقي الشّافعي، ولد بدمشق وقدم مصر وأقام بها، وحضر دروس أبي الحسن الشّاذلي، وقد أدرك الأيّوبيين والمماليك، وبرع في علوم العربية وأصول الفقه، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وانتهت إليه معرفة المذهب، حدّث ودرّس وأفتى وصنّف، وكان علم عصره جامعًا لعدّة علوم، وكان له هيبة عند سلاطين المماليك، ولما توفّي شهد جنازته الظّاهر بيبرس البندقداري، ومن تأليفه: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن، أمالي في تفسير القرآن، الإمام في أدلة الأحكام، بحار القرآن، شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب، العقائد، القواعد الصغرى في الفروع، القواعد الكبرى، الفتاوى المصرية.

شرف الدّين الدّمياطـــي: (613-705 هـ/ 1231- 1305م)[3]:

هو الإمام العلّامة الحافظ الفقيه النّسابة شيخ المحدّثين شرف الدّين أبي محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التّوني الشّافعي، تفقّه وبرع في الحديث و ارتحل في طلبه، و صنّف معجم شيوخه وكان واسع الفقه جيد العربيّة، كما ألّف كتاب الخيل وكتاب الصّلاة الوسطى، وكتاب في قبائل الخزرج و الأوس و السّيرة النّبوية.

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 470.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 286-289 – النجوم الزاهرة، ج7، ص 208 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 15-17 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 66 – ابن حجر، رفع الإصر، ج1، ص350- ابن قنفذ، الوفيات، ص 51 – حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ج1، استانبول، 1941، ص 438، 453.

[3] – جلال الدين السيوطي، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1983، ص 515 – الشوكاني، المصدر السابق، ج1، ص 403-404 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 12- الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 383-385 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 367-373 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 357.

تقيّ الدّين بن دقيق العيد (625-702 هـ/ 1226- 1302م)[1]:

هو الإمام الفقيه الحافظ المحدث المجتهد تقيّ الدّين أبي الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشري المنفلوطي المالكي الشّافعي، تولى قضاء القضاة بمصر، ومن تآليفه: شرح العمدة، الإمام في أحاديث الأحكام، الإقتراح في علوم الحديث، الأربعين التّساعية.

تقيّ الدّين بن تيمية (661-728 هـ/ 1262- 1328م):

تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرّاني الحنبلي، كان أحد أعلام عصره في العلوم الدّينية، اعتنى بطلب علم الحديث و الفقه و علم الكلام و برع فيها. امتحن مرارًا وعذّب بسبب آرائه في الكثير من قضايا الفقه و الحكم. من تآليفه الّتي بلغت 300 مجلدا: إثبات الصفات والعلو في الاستواء ، الاجتماع و الافتراق في مسائل الأيمان والطلاق، الفرقان بين أولياء الرّحمن و أولياء الشيطان، تعارض العقل والنقل، الجواب الباهر في زوار المقابر، جوامع الكلم، الرّد على الفلاسفة ، السياسة الشرعيّة في إصلاح الرّاعي و الرّعية، الصارم المسلول على شاتم الرّسول، فضائل أبي بكر وعمر، المحنة المصرية، كشف حال المشايخ الأحمديّة و أحوالهم الشيطانية، مناسك الحج، منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعه و القدرية[2].

تقيّ الدّين السُّبكـــي (683-756هـ/ 1284- 1355م):

الإمام الفقيه المحدّث الحافظ المفسّر الأصولي النّحوي اللّغوي و الأديب المجتهد تقيّ الدّين أبي الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن سليم، ولد بسُبَك من أعمال المنّوفية بمصر، و تفقّه على ابن الرّفعة في الفقه الشّافعي، و أخذ الحديث عن شرف الدّين الدّمياطي و التّفسير عن علم الدّين العراقي و النّحو على أبي حيّان الغرناطي، وصحب في التّصوف

---

[1] - السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 516 – ابن فرحون، الديباج، ص324-325- الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 229 - السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 317 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 5 - الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 126- ابن القاضي، لقط الفرائد، ص162- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 189 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 158.

[2] - الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 62-71 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 541-542 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص336 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 80 – بن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج9، ص 271 – ابن تيمية، **القاعدة المراكشية**، تح: دغش بن شنب العجمي، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص 17-19 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 520 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج14، ص 163 – ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، ج1، القاهرة، 1966، ص 154 – محمد بن أحمد بن عبد المهادي، **العقود الدّريّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، (د.ت)، ص2 و ما يليها.

ابن عطاء الله السّكندري، وانتهت إليه رئاسة العلم في مصر. أقبل على التّصنيف و الفتيا، و صنّف أكثر من 150 مصنّفا، منها: الدّر النّظيم في تفسير القرآن العظيم، و الابتهاج في شرح المنهاج[1].

العزّ بن جـــماعة 694-767هـ/ 1295- 1365م)[2]:

الحافظ الإمام قاضي القضاة عزّ الدّين أبي عمر عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدّين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الأصل الدّمشقي المولد ثم المصري الشّافعي، سمع من الدّمياطي و غيره، و بلغ عدد شيوخه ألفا و ثلاثمائة، من تآليفه: تخريج أحاديث الرّافعي، المناسك الكبرى و الصغرى، وكان أكثر تمكنا في الحديث وعلومه.

سراج الدّين ابن الملقّـــن (723-804هـــ/ 1323-1401م)[3]:

الإمام الفقيه سراج الدّين أبي حفص عمر بن نور الدّين أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشّافعي، أحد شيوخ و أئمة الحديث في عصره، برع في الفقه والحديث وصنّف فيهما الكثير، و من تآليفه: شرح البخاري و شرح العمدة.

سراج الدّين البلقّيـــني (724-805هـ/ 1324- 1402م)[4]:

الإمام شيخ الإسلام الحافظ الفقيه المجتهد سراج الدّين أبي حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح بن شهاب بن عبد الخالق بن محمد بن مسافر الكناني الشّافعي، أجازه الحافظان المزيّ والذّهبي وآخرون. أخذ الفقه عن جماعة منهم التّقي السّبكي وأخذ النّحو عن أبي حيّان، وانتهت إليه رئاسة المذهب والإفتاء، ولّي قضاء الشّام والتّدريس والتّفسير بجامع ابن طولون وغيره. من

---

[1] – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج3، ص 134 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص 318 – ابن كثير، البداية و النهاية، ج14، ص 252 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 321 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 180 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 467 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 525- خالد بن عيسى البلوي، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، ج1، تح: الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د.ت، ص 237.

[2] – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 535-536 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 489 – الشوكاني، البدر الطـــالع، ج1، ص 359 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 208 – ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 200 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 59.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 100 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 508 – السيوطي، حسن المحاضـــرة، ج1، ص 438 – طبقات الحفاظ، ص 542 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 44 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 30-68.

[4] – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 542 – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 85 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 506 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 51.

مؤلّفاته في الحديث: محاسن الإصلاح وتضمين ابن الصلاح، شرح على البخاري وشرح على التّرمذي.

زين الدّين العراقـــي (725-806هـ/ 1325- 1402م)[1]:

أبو الفضل زين الدّين عبد الرّحيم بن الحسين بن عبد الرّحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، حافظ عصره، قدم القاهرة في صغره من العراق، و نشأ في خدمة الصّالحين كالشّيخ تقيّ الدّين القنائي. سمع الحديث من علماء عصره كالسّبكي و العزّ بن جماعة. من مؤلّفاته: الألفية في الحديث ، تخريج أحاديث الإحياء، تكملة شرح الترمذي ، نظم منهاج البيضاوي في الأصول، نظم غريب القرآن، نظم السيرة النبويّة. و تولى قضاء المدينة المنورة، و درّس و تخرّج عليه الكثير.

جمال الدّين الإسنـــوي(704-772هـ/ 1304- 1370م)[2]:

عبد الرّحيم بن الحسن بن علي جمال الدين أبي محمد القرشي الأموي الإسنوي الشّافعي، ولد بإسنا بالصّعيد و حفظ القرآن، و تفقّه بالقاهرة على جماعة كالعلاء القونوي والتّقي السُّبكي، وأخذ النحو على أثير الدين أبي حيان الأندلسي، وبرع في الفقه والعربيّة والحديث والعروض و التاريخ والتّفسير، و تخرّج به جماعة كالسراج عمر بن الملقّن، و غيره. من تآليفه: كتاب الهداية إلى أوهام الكفاية لابن الرفعة، المنهاج في الأصول، شرح عروض ابن الحاجب، و له الطبقات، و كتاب الجمع و الفرق.

ولىّ الدّين العراقـــي (762-826هـ/ 1360- 1423م):[3]

الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي زرعة أحمد بن أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين، أخذ عن البلقيني وابن الملقن في الفقه، وبرع في علوم الحديث والفقه والأصول، وألّف فيها: شرح سند

---

[1] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج 1، ص 360 – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 171 – السيوطي – طبقات الحفاظ، ص 542 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 245 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 55.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 242 – النجوم الزاهرة، ج11، ص 114 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 193 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج2، ص 463 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 425 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 223. ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 314 – ابن إياس،، بدائع الزهور، ج1، ص 103 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 429- الزركلي، الأعلام، ج4، ص 119.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص 336 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 548 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص 312 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 82 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 173 –ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، مقدمة المحقق.

أبي داود، شرح البهجة في الفقه، مختصر المهمات، شرح جوامع الكلم، حاشية على الكشاف وغيرها.

ابن حجر العسقلانـــي (773-852 هـ/ 1370- 1449م)[1]:

شيخ الإسلام و إمام الحفّاظ في زمانه بالدّيار المصريّة و سائر الأقطار الإسلامية حسب قول تلاميذه، و هو قاضي القضاة شهاب الدّين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكناني العسقلاني ثم المصري الشّافعي، اشتغل بالأدب و الشّعر في أوّل أمره و بلغ فيه مرتبة عالية، ثمّ طلب الحديث منذ سنة 794هـ/ 1392م، و سمع منه الكثير، و رحل و لازم الشيخ الحافظ أبا الفضل العراقي، و برع في علوم الحديث، و جميع فنونه، و صنف فيه: شرح البخاري، تهذيب التّهذيب، تقريب التّهذيب، لسان الميزان، الإصابة في تمييز الصّحابة، أسباب النّـــزول و غيرها.

كما كان مهتما بالعلوم الأخرى وألف في التراجم كتبه: كالدّرر الكامنة، و إنباء الغمر، ورفع الإصر عن قضاة العصر وغيرها، و درّس بعدّة مدارس و جوامع، و تولّى مشيخة شيوخ الخانقاه البيبرسية و مشيخة المدرسة الصّلاحية بجوار مشهد الشّافعي، كما ولي قضاء القضاة بمصر سنة 827هـ/ 1424م، و تخرّج به الكثير من العلماء المشارقة و المغاربة.

خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري (ت 767 هـ/1365م)[2]:

هو الإمام العلامة حامل لواء المالكية بمصر في عصره، كان من جملة أجناد الحلقة، وكان منقبضا عن أهل الدّنيا جامعًا بين العلم و العمل، و كان مشاركا في الفقه و الحديث والعربية والفرائض، أخذ فقه المالكية عن الشّيخ المنّوفي، و تخرّج به جماعة، و درّس بالشّيخونية[3].

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 36 – السيوطي، طبقات الحفاظ، ص 552 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص 532 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 78 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 270 – ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهـــذيب**، ط2، ج1، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، القاهرة، 1975، مقدمة المؤلف – السيوطي، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حرره فليب حتي، المطبعة الـــسورية الأمريكيّة، نيويورك، 1927، ص 45-53 – القلصادي، المصدر السابق، ص 153-154 – ابن تغري بردي، **حوادث الـــدهور في مـــدى الأيام والشهور**، ج1، تح: كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص196- ابن القاضي، درة الحجال، ج1،ص 64- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 162.

[2] – ابن مريم، البستان، ص 96 – ابن فرحون، الديباج، ص115-116 – التنبكتي، نيل الإبتهاج، ص 112-115 – ابن حجـــر، الـــدرر الكامنة، ج2، ص 187- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 92- ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 196- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص460- القرافي، توشيح الديباج، ص92- التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 124- مخلوف، المصدر السابق، ص 223.

[3] – هي الخانقاه الشيخونية و تسمى أحيانا بالمدرسة و قد سبق التعريف بها.

ألّف شرحًا لابن الحاجب في ستة مجلّدات، و شرح ألفية ابن مالك، و شرحا على المدونة، و أهمّ مؤلّفاته مختصره في الفقه المالكي.

الشّيخ عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم بن فهد المالكي (778-846 هـ/ 1376-1442م)[1]:

شيخ المالكية بالدّيار المصرية في زمانه، ولد بالصّعيد و قرأ بها، ثمّ انتقل إلى القاهرة وحفظ بعض المختصرات في مذهبه، ثمّ اشتغل واجتهد وصار إمام وقته و رأسا في المنقول والمعقول، وطلب الحديث على جماعة، و أفتى وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك، ودرّس عدّة سنين وانتفع به النّاس في المدرسة الأشرفية برسباي وفي الخانقاه الشّيخونية.

تاج الدّين السّنجاري الحنفي (722-800 هـ/ 1322- 1398م)[2] :

كان إماما عالما في الفقه و الأصلين والعربية و اللّغة، أفتى و درس سنين و ناب في الحكم بالقاهرة و دمشق، وولي وكالة بيت المال بدمشق، ومن تآليفه: البحر الحاوي في الفتاوي، المختار في الفقه، نظم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر، السراجية في الفرائض.

شمس الدّين السّخاوي (831 - 902 هـ/1429- 1496م)[3]:

هو الحافظ شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمن السّخاوي، حفظ الكثير من المختصرات، وأخذ العلم عن كبار علماء عصره كابن حجر الذي حبب إليه الحديث وغيره، ثم حج وأخذ بمكة والمدينة، ثم ارتحل إلى الإسكندرية والقدس وبلاد الشّام وتخرج به الكثير من الطّلبة، ومن تآليفه: معجم شيوخه، تخريج الأربعين النووية، تكملة تخريج ابن حجر، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، شرح العمدة لابن دقيق العيد. كما ألف في التاريخ والتّراجم:ذيل تاريخ المقريزي من 845هـ/1441م، الضّوء اللامع لأهل القرن التّاسع، الذّيل على تاريخ ابن حجر، السّاقي من الألم في وفيات الأمم، ترجمة ابن حجر، التاريخ المحيط.

---

[1] - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 52-55- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص462.

[2] - ابن حجر، الدرر، ج2، ص 382 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج12، ص 162 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 911.

[3] - السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص1-3- السيوطي، نظم العقيان، ص153- ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص178- الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص185-186- الحنبلي، شذرات الذهب، ج8، ص 16 .

جلال الدّين السّيوطـــي (849 – 911 هـــ/1445– 1505م) [1]

هو الحافظ جلال الدّين أبو الفضل عبد الرّحمن بن الكمال الحضيري الأسيوطي، حفـــظ القرآن، ثم أحضره والده مجلس الشّيخ ابن حجر العسقلاني، وأخذ العلم عن جماعة من العلمـــاء، وسافر في طلب العلم إلى بلاد الشّام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتّكرور، وكان على دراية بسبعة علوم، هي التفسير والفقه والنّحو والمعاني والبيان والبديع، وتولى عدة وظائف كالتّـــدريس بجامع ابن طولون والشّخونية، وتولى مشيخة التّصوف بتربة برقوق، ومشيخة الخانقاة البيرسية.

وتخرج به عدة طلبة وعلماء، وترك عدة مؤلّفات منها: الإتقان في علوم القرآن، تكملـــة تفسير القرآن لجلال الدّين المحلي، طبقات الحفّاظ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، تاريخ الخلفاء، لب اللّباب في تحرير الأنساب.

2– التّـــــصـــــوف:

انتشر التّصوف في المجتمع المصري على نطاق واسع، حتّى أصبح ظاهرة مميزة للحياة الدّينية، ولقي هذا الجانب اهتمام السّلاطين فأكثروا من إنشاء المؤسّسات التّعليمية الخاصة بالتّصوف والمتصوّفة، وتقربوا إلى رجال التصوف وكان لهؤلاء وقع كبير عند سلاطين المماليك[2].

وكانت ظروف العالم الإسلامي منذ القرن السّابع الهجري/13م قد ساعدت على اتّجاه أغلب النّاس إلى نهج أسلوب التّصوف كنمط للحياة و ليس كمعرفة علم فحسب، خاصّة الأحوال السّياسية المتردّية و هجوم المغول و التّتار و الحركة الصّليبية[3].

وساعد على ازدهار حركة التّصوف بمصر هجرة الكثير من رجال التّصوف إليها خاصة من بلاد المغرب، فنشر هؤلاء أفكارهم في أوساط المجتمع المصري الّذي تجاوب معهم، و تأسّست بموجب ذلك عدّة طرق صوفية ومذاهب في الفكر الصّوفي، وكان لكلّ طريقة أو مذهب أتباع[4].

ومن أشهر المتصوفة بمصر خلال عصر المماليك:

---

[1] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص335– السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص65– إبن إياس، بدائع الزهور، ج4، ص83– ابن القاضي، لقط الفرائد، ص279– الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص328– ابن العماد، شذرات الـــذهب، ج8، ص51– الزركلـــي، الأعـــلام، ج3، ص301– اسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص 534.

[2] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 263 – ص 367.

[3] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 163.

[4] – راجع الفصل الرابع حول الطرق الصوفية.

أبو الحسن الشّاذلـــي (591-656هـ/ 1195- 1257م)[1]:

علي بن عبد الله بن عبد الجبّار بن يوسف أبي الحسن الهذلي الشّاذلي نسبة إلى شاذلة قرية بإفريقيّة، نزيل الإسكندرية و شيخ الطّريقة الشّاذلية. حجّ عدّة مرات و توفّي بصحراء عيذاب ودفن بها. من مؤلّفاته كتاب حزب البحر و هو عبارة عن دعاء مشهور سمي بالبحر لأنّه وضع في البحر و للسّلامة فيه حين سافر في بحر القلزم فتوقفت الرّيح أياما ثم عادت[2].

أبو العبّاس المرسي (616-686هـ/ 1216- 1287م)[3]:

أبو العبّاس أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي المرسي الأنصاري نزيل الإسكندرية، صحب شيخه الشّاذلي و أصبح شيخ الطّريقة الشّاذلية بعد وفاته، و كان يدرّس تلاميذه كتب التّصوف كالإحياء و رسالة القشيري.

ابن عطاء الله السّكندري (709هـ/1309م)[4]:

تاج الدّين أحمد بن محمد بن عطاء الله السّكندري تلميذ أبي العبّاس المرسي، كان له حرمة وقدر كبير عند الناس، وألّف في مناقب شيوخه كتاب "لطائف المنن في مناقب الشّيخ أبي العبّاس المرسي و شيخه الشّاذلي أبي الحسن"، وكتاب الحكم العطائية[5].

---

[1] - ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 458 – الشعراني، الطبقات الكبرى، ج2، ص 4 – 11 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 43 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 12 ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 278 – محمد مخلـوف، المـصدر الـسابق، ص 186 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 50 - و ألف فيه تلميذه ابن عطاء الله السكندري كتاب لطائف المنن.

[2] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 661.

[3] - الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 11 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 418 – ابـن تغـري بردي، النجوم الزاهرة، ج67، ص 371- التنبكتي، المصدر السابق، ص64.

[4] - ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 421 – ابن فرحون، الديباج، ص70- 73- ابن حجر، الدرر الكامنـة، ج1، ص273- الـشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 18 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 19، محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 204 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330- البلوي، تاج المفرق، ج1، ص202- ابن القاضي، درة الحجال، ج1، ص12- التنبكتي، كفاية ابلمحتاج، ص37.

[5] - حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 675-1554-1769 جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج3، منشورات دار مكتبـة الحياة، بيروت، 1967، ص 261.

محمد بن عبد الله بن إبراهيم المـــرشدي(ت 737هـ/1337م)[1]:

محمد بن عبد الله بن أبي المجد إبراهيم المرشدي، كان يقيم بزاوية فوّة بقرية مرشد من قرى الوجه البحري بمصر قرب الإسكندرية وكان يخدم الواردين بنفسه وكان كثير الإنفاق، وكانت تربطه علاقات قويّة مع الشّيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) وابنه أبي عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت 781هـ/1379م)[2].

عبد الله المنّـــوفـــي (686-748هـ/1348-1287م)[3]:

الشّيخ عبد الله بن محمد بن سليمان المالكي المغربي الأصل ثمّ المصري، نشأ بالقاهرة وتفقه وبرع في مذهب مالك، وكان عالمًا زاهدًا متصوفا، وكان للنّاس فيه اعتقاد ومحبّة، من تلاميذه الشّيخ خليل صاحب المختصر والّذي ألف فيه مصنّفا.

3- الآداب واللغة:

قسّمت علوم الأدب واللّسان في مصر المملوكية إلى عدّة علوم، كان أهمها علـــم اللّغة، وعلم التصريف، وعلم النحو والمعاني، وعلم البديع والبيان وعلم العروض وعلـــم القـــوافي وعلم قوانين الخط[4]،وكان العلماء والطلاب يهتمون بهذه العلـــوم لتعلّقهـــا بـــالعلوم الـــشّرعية وضرورتها لفهم أحكام ومعاني القرآن والسّنة، وتداولت عدة كتب كان يتم بموجبها تلقين هـــذه العلوم مثل حكم ابن سيده، ومؤلفات ابن الحاجب كالكافية في النّحو، والكافية والشّافية لابـــن مالك، وكتاب سيبويه وشروحه وغيرها[5].

وقد ازدهرت هذه العلوم وعرف عن سلاطين المماليك تقـــرّبهم إلى الأدبـــاء، وكانـــت مجالسهم عبارة عن ميدان للتّنافس بين هؤلاء ، وعرض انتاجهم الأدبي نثرا وشعرا.

---

[1] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 568 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 116 – ابن حجر، الـــدرر الكامنـــة، ج3، ص 462 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 570 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 47 .

[2] – عبد العزيز فيلا لي، المرجع السابق، ج2، ص 394.

[3] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص 90 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 554 – الـــشعراني، المـــصدر الـــسابق، ج2، ص 2 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 143– مخلوف، المصدر السابق، ص205.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص468 – 470– ابن خلدون، المقدمة، ص1055 – 1168.

[5] – القلقشندي، صبح الأعشى، ص468 – 470.

وقد اختلفت الأغراض الأدبية، وتناول الأدباء والشّعراء في مصر مختلف مظاهر الحيـــاة في بلدهم، وتأثّر الأدب المملوكي بمؤثرات السّلطة والمجتمع، وعكف أهل الأدب على تصوير الواقع السّياسي والاجتماعي[1].

كما ارتبطت علوم الأدب واللّسان بديوان الإنشاء، وكانت وظيفة الكاتب بهذا الـــديوان من أجلّ الوظائف في عصر المماليك، واهتمّ بها السّلاطين، وكانت تصدر عن الكتاب العديد من الرسائل الّتي اختصّت بأمور الدّولة والمجتمع والعلاقات الخارجية[2].

وكان على كاتب الإنشاء الالمام بمجموعة من العلوم، كان أهمّها العلوم المتّصلة بـــالأدب، وأن تكون له ثقافة واسعة وحفظ الأشعار وخطب البلغاء[3].

وكان أسلوب الكتابة في ذلك العصر يتسم بغلبة العاطفة الدينية، وكذلك اختلاط اللّغـــة الفصحى بالعامية وحتى الأعجمية[4].

كما تناول الشّعراء في قصائدهم عدة أغراض شعرية كمدح السّلاطين وتخليد المعارك التي انتصر فيها المماليك على القوى المعادية كالتّتار[5].

كما اشتهر هذا العصر بتأليف القواميس والمعاجم، وظهر مـــن أصـــحاب هـــذا الفـــن الفيروزبادي صاحب القاموس المحيط [6](ت: 817هـــ/1414م)، وابن منظور (ت: 711 هـــ/ 1311م) صاحب لسان العرب[7]،كما اشتهرت الموسوعات التي كانت تضم مختلف الأغـــراض العلمية الأدبية والفنون، مثل نهاية الأرب في فنون الأدب للنّويري، وصبح الأعـــشى في صـــناعة الإنشا للقلقشندي.

وممن اشتهر من النّحويين واللّغويين والأدباء والشّعراء:

---

[1] – فوزي أحمد أمين، **أدب العصر المملوكي الأول**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2003، ص20.

[2] – موسى بن حسن الموصلي، كتاب البرد والموشى في صناعة الانشاء، تح: عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلميـــة، بـــيروت، 1990، ص7؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص89.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1 ص189- 302.

[4] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص274؛ سعيد عاشور، مصر والشام، ص275.

[5] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 210- 215.

[6] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص280.

[7] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص240-243.

ابن هشام النحـــوي (708- 761 هـ/ 1308- 1359م)[1]:

هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام جمال الدّين أبي محمـــد النّحـــوي الـــشّافعي ثم الحنبلي، سمع من بدر الدّين محمد بن جماعة ولازم الأديب بن المرحّل، وتلا بالـــسّبع عـــن ابـــن السّراج، كما أخذ الفقه عن جملة من فقهاء مصر، وأتقن العربية حتى صار كما وصـــفه بعـــض المؤرخين "فارس ميدانها"، إضافة إلى براعته في الفقه وأصوله، ومن تآليفه التي فاقت العشرين، والتي كان أكثرها شروحا في النّحو: مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب، شرح ألفية ابن مالك الذي سماه "التوضيح"، قطر النّدى وبل الصّدى، الإعراب في النّحو، وقد أثنى عليه ابن خلدون في المقدّمة[2].

بهاء الـــدّين بن عقيـــل (698 – 769هـ/ 1298- 1367م)[3]:

هو عبد الله بن عبد الرّحمن بن عقيل الحلبي الشّافعي النّحوي نزيل القاهرة، ارتحل من بلده إلى مصر وتفقه بها حتى صار من أئمة الفقه والأدب، ولازم أبا حيّان حتى صار من أعيان تلامذته، وشهد له بالفضل في علم النّحو، ثم اشتغل على القونوي في العربية والفقه، واخذ القراءات السّبع عن ابن الصّائغ وتولّى القضاء والتّدريس، وكان عالما في العربيـــة والمعـــاني والبيـــان والتّفـــسير والأصول، قارئا بالسّبع، حسن الخطّ، ومن مؤلّفاته: شرح ألفية ابن مالك، التّسهيل في العروض.

شرف الدّين البوصيـــري (ت 695هـ/1295م)[4]

هومحمد بن سعد بن حماد الدّلاصي المولد المغربي الأصل البوصيري المنشأ، ولـــد بـــدلّس بالمغرب يوم الثلاثاء الأول من شوال عام 608هـ/1209م، ويقال بدلّاص بمصر.

كان من النّاظمين البارعين، وهو صاحب القصيدة المسمّاة بالبردة، وهي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلّم. ومن شعره قصيدة همزية مطلعها:

كيف ترقى لرقيـــــك الأنبيـــــاء يا سمـــــاءا ماطاولتها سمـــــــاء [5]

---

[1] – ابن حجر، الدرر، ج2، 415- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج10، ص336- الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص400- ابن تغـــري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص131- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص317- ابن القاضي، لقط الفرائد، ص210- ابن العماد الحنبلـــي، شذرات الذهب، ج6، 191- الزركلي، الأعلام، ج1، ص143.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص1058.

[3] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص100؛ المنهل الصافي، ج7، ص94-97؛ ابـــن حجـــر، الـــدرر الكامنـــة، ج2، ص372؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص386.

[4] – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص571؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص432.

[5] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص 274.

وميمية مطلعها:

أمن تذكـــــر جيران بذي سلـــــم مزجت دمعـــــا جرى من مقلة بدم[1]

زين الدّين بن الخـــرّاط (777 – 840 هـ/1375 – 1436م)[2]:

هو عبد الرّحمن بن محمد بن سليمان زين الدّين المروزي الشّافعي الحموي الأصل الحلـــبي نزيل القاهرة، أين تولّى كتابة الانشاء حتى وفاته. كان أديبا بليغا مدح الملك الأشرف برسباي لمّا أسر هذا الأخير ملك قبرص الفرنجي.

شمس الدّين النّـــواجـــي (788 – 859 هـ/1385 – 1455م)[3]:

شمس الدّين محبّ بن حسن الأديب، كان من أبرز أدباء عصره، من تآليفه: روضة المجالسة في بديع المجانسة، صحائف الحسنات، تأهيل الغريب، وله ديوان شعر. ومن قوله في مدح الـــشّيخ ابن حجر العسقلاني:

شكرا لفضلك يا قاضي القضـــاة ومن يحـــار في وصف معنى جوده النـــاشي

توجت رأســـي بمـــــا أهديته فغدت لي عليـــه بك أرويهـــــا عن الشّاشي[4]

وقال في مغربي:

بي مغـــربي قد حجبـــــــوا شخصه عني وعـــن قلبـــــي لم يحـــجـــب

ولـــو مر بي ذكـــــــراه في مشرق هممـــت من المشـــرق للمغـــــرب[5]

4- التـــاريـــخ:

اهتمّ المماليك بالتاريخ و أهله، وكان الظّاهر بيبرس يحبّ سماع التاريخ[6]، لـــذلك قـــام السّلاطين بتقريب المؤرّخين إلى قصورهم من أجل تدوين سيرهم و تراجمهم و أعمالهم.

---

[1] – حمزة، المرجع نفسه، ص274.

[2] – المقريزي، السلوك، ج1، ص720 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج15، ص205 – المنهل الصافي، ج7، ص213.

[3] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص156 – السيوطي، نظم العقيان، ص144.

[4] – السيوطي، نظم العقيان، ص144.

[5] – السيوطي،نظم العقيان، ص147.

[6] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص182.

وامتازت الكتابة التّاريخية في العصر المملوكي بمجموعة من الخصائص، وكانت المؤلفات التاريخية انعكاسا لأوضاع ذلك العصر السّياسية والاجتماعية[1].

وأبرز المميّزات التي اتّسمت بها كتابة التاريخ بمصر المملوكية يمكن حصرها في خصائص متعلقة بالموضوع وأخرى متعلقة بالأسلوب ومنها:

- نضوج التاريخ كعلم قائم بذاته بعدما كان تابعا للعلوم الدّينية، وألّفت كتب في علم التاريخ مثلما كتبه ابن خلدون في مقدّمته ووضع المنهج الذي على المؤرّخ إتباعه[2]، كما ألّف السّيوطي كتاب الشّماريخ في علم التاريخ، وألف السّخاوي كتاب الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ[3].

- تنوّع المواضيع التي تناولها المؤرّخون بين التاريخ العامّ و التاريخ السياسي والحربي والجانب الإداري، ككتاب خليل بن شاهين" زبدة كشف الممالك و بيان الطّرق والمسالك"[4].

وأبرز ما ميز أسلوب الكتابة التاريخية في ذلك العصر هو دخول الألفاظ الأعجمية من اللّغات التّركية والفارسية، وذلك لكون أغلب المماليك كانوا أتراكا، كما شاع استخدام الألفاظ العامية في التأليف، و اشتملت بعض المؤلفات على ذكر الغرائب ومقياس النّيل وبعض الحوادث والكوارث الطّبيعية كالزّلازل والأوبئة والفيضانات[5].

وذاع صيت الكثير من المؤرخين بمصر نذكر منهم:

تقيّ الدّين المقريزي صاحب كتاب السّلوك لمعرفة دول الملوك وكتاب الخطط، و ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، والسّخاوي[6] الذي ألّف التبر المسبوك في تاريخ الملوك وكتاب الضّوء اللّامع لأهل القرن التّاسع، وابن إيّاس[7] صاحب بدائع الزّهور في وقائع الدّهور، وابن دقماق الذي ألّف كتابا الإنتصار بواسطة عقد الأمصار وترجمان الزّمان في تراجم الأعيان والجوهر الثمين في سير لملوك والسّلاطين وغيرها[8]، كما ألّف ابن حجر العسقلا ني كتاب الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثّامنة في التّراجم،

---

1 - بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص32.

2 - ابن خلدون، المقدمة، ص4.

3 - السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

4 - خليل بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، نشر: بولس راويس، باريس، 1894.

5 - ابن دقماق، نزهة الأنام، ص17-21.

6 - ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص16- الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص351- 352.

7 - حسين عاصي، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993، ص38 - كشف الظنون، ج1، ص229.

8 - ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج1، ص120- ابن العماد، شذرات الذهب، ج8، ص81- السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص146.

وكذلك إنباء الغمر بأنباء العمر، وألف السّيوطي كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقـــاهرة وكتبا أخرى كثيرة[1]، دون أن نستثني عبد الرحمن بن خلدون صاحب كتاب العبر .

5- العلوم العقلية:

لقيت العلوم العقلية اهتمام علماء مصر المملوكية، وكانت هذه العلوم تتمثل في: المنطق والطّب والعلوم العددية والحساب، وعلوم أخرى تتفرع عنها[2].

وممّن اشتهر في هذا المجال من العلماء :

نـــجم الدّين الأصـــفوي (699- 751هـــ/ 1299- 1350م):

هو عبد الرّحمن بن يوسف بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم نجم الدّين أبو محمد، أصله من صعيد مصر أين ولد وحفظ القرآن وتفقّه وأخذ العربية والفرائض والجبر والمقابلة، وصنّف كتاب المسائل الدّورية في الفقه، وهي من طريق الجبر والمقابلة كما تولى الافتاء بمكة[3].

محمد بن إبراهيم بن ساعد السّخاوي بن الأكفاني المصري (ت: 749هـــ/ 1349م):

كان متخصّصا في علوم الحكمة وألّف فيها الكثير، وكان يجل المسائل الإقليدية في الرّياضيات بسهولة، وكان له معرفة بالطّب والأدوية، كما كان مستحضرا للتاريخ حافظا للأشعار، من تآليفه: إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد عند غيبة الطبيب.

ومن شعره:

ولقد عجبت لعـــــاكس للكيميا في حكمة قد جـــــاء بالشنعـــــاء
يلقي على العين النحـــاس يحيلهـــا في لمحـــة كالفضـــــة البيضـــــاء [4]

---

[1] – ابن عماد، شذرات الذهب، ج8، ص51- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر، مكتبة النهضةالمصرية، القاهرة، 1958، ص4.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص888 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص474-478.

[3] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص236-237.

[4] – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص79.

الشّهاب أحمد بن يوسف السّـــيرجي (778- 862 هـــ/1378- 1460م):

برع في الفقه والحساب، ونظم في الفرائض أرجوزة سماها المربعة في 313 بيتا على أربعة أقسام: الفرائض- الحساب- الوصايا- الجبر والمقابلة، وقرضها له جماعة من العلماء، منهم عبد الرّحمن ابن خلدون[1].

محمد بن الأمشاطي العينتابي رئـــيس الأطّـــبـــاء:

ولد في حدود 810 هـــ/1408 بالقاهرة واشتغل بالفقه وغيره وبرع في الطّب وفاق فيه ومهر في الميقات والمساحة وصنعة النّفط وولي تدريس والطّب بالجامع الطولوني[2]، توفي سنة 885هـــ/ 1480م.

[1] - السيوطي، نظم العقيان، ص90-91.

[2] - المصدر نفسه، ص174.

الفصل الثالث

عوامل الاتصال الثقافي بين البلدين

تمهيد

أولا: العلاقات بين الحكام

1. أثر المرينيين في العلاقات الزيانية – المملوكية
2. رسالة أبي تاشفين إلى الملك الناصر
3. موقف الناصر من سقوط تلمسان
4. هدية أبي زيان للظاهر برقوق
5. أثر العلاقات السياسية على العلاقات الثقافية

ثانيا: الرحلة بين المغرب الأوسط ومصر ودورها في ربط العلاقات الثقافية

1. دوافعها، مسالكها ومشاقها
2. رحلة الحج ودورها الثقافي
3. الرحلة في طلب العلم
4. منشآت الطلبة المغاربة بمصر
5. حركة العلماء بين البلدين ودورها في تمتين الروابط الثقافية

ثالثا: دور الأندلسيين

تمـــهيـــد:

ربطت دول المغرب الإسلامي علاقات متنوّعة و قويّة مع دولة المماليك بمصر، و كان مردّ ذلك إلى جملة من العوامل، لعلّ أهمها رابطة الدّين الإسلامي و رابطة الجوار، و رابطة الخلافة الّتي انتقل مقرّها من بغداد إلى القاهرة، و رابطة الخطر المشترك الّذي كان يهدّد العالم الإسلامي من غرب أوروبا[1]، و رابطة الحج، خاصة وأنّ أهم طريق للحجيج المغاربة كان يمرّ عبر الأراضي المملوكيّة بمصر[2].وتميّزت العلاقات بين المغرب الأوسط و مصر بالتنوّع و الثراء خاصّة في الجانب الثقافي، وكان للحكام والعلماء و الأندلسيين دور كبير في تمتينها.

أوّلا: العلاقـــات بين الحـــكّام:

1 – أثر المرينيين في العلاقات الزّيانية – المملوكية:

ميّز العلاقات السّياسية بين بني زيان و المماليك الدّور الّذي قام به بنو مرين في تشكيل طبيعة هذه العلاقات بين التأزّم و الانفراج، خاصّة وأنّ بني زيان تطلّعوا أوّل الأمر إلى سلاطين المماليك للحصول على تأييدهم في صراعهم المستمرّ ضدّ بني مرين، لكنّ المماليك كانوا على دراية تامّة بالوضع السّياسي ببلاد المغرب، و موازين القوى به، وأنّ بني مرين هم الأكثر قوّة، فحرصوا على تمتين الرّوابط معهم، و إظهار الودّ نحوهم و كسبهم بالسّفارات و الهدايا[3].

---

[1] – اهتم المماليك بأحداث المغرب و الأندلس، و كان حكام بني الأحمر في غرناطة يستنجدون بسلاطين المماليك لنصرهم ضد هجمات النصارى. ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 43 – المقري، نفح الطيب، ج7، ص 369 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 106-115.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام، المرجع السابق، ص 342.

[3] – كان من عادة ملوك المغرب و المشرق المهاداة و السفارة فيما بينهم في أمور السلم و الحرب، من ذلك سفارة صلاح الدين الأيوبي الّتي بعثها إلى المنصور الموحدي يطلب منه السند في حربه ضد الصليبيين، و سار خلفاء الموحدين و الأيوبيين على هذا النهج. ابن خلدون، التعريف، ص 1164-1165 – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 513-514 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 342-344 – أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص 393- السلاوي، المصدر السابق، ج2، ص163 – محمد الصلابي، **إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، 2003، ص142.

أدى التقارب المملوكي المريني إلى فتور في العلاقات بين بني زيان و سلاطين المماليك، ويعود تاريخ ذلك على الأرجح إلى أيام الحصار المريني لمدينة تلمسان، وما عناه ملوكها وسكّانها من محن لمدّة ثماني سنوات.

وكان السّلطان يوسف بن يعقوب المريني قد بعث إلى السّلطان النّاصر محمّد بن قلاوون سنة 704هـ/1303م رسولاً ومعه هدية من الخيل والبغال و الإبل والأواني المغربية والذّهب، في ركب من الحجيج المغاربة قاصدين الحجاز، فقابلهم السّلطان المملوكي وأكرمهم وبعث معهم أميرًا رافقهم حتّى قضوا الفرض، ورجع الوفد سنة 705هـ/1304م بهدية من السلطان الناصر مكافأة على هديتهم، و وصلوا إلى يوسف بن يعقوب و هو محاصر لمدينة تلمسان بالمنصورة في ربيع ثاني سنة 706هـ/1305م، و وصل مع السفارة أميران مملوكيان، فقابلهما السلطان المريني وأكرمهما و بعث بهما للسياحة في فاس و مراكش[1].

وعند عودتهما من فاس في 707هـ/1307م ومعهما ركب كبير من المغاربة قاصدين الحج وهدية من السلطان أبي ثابت خليفة يوسف بن يعقوب[2] إلى سلطان المماليك الناصر محمّد بن قلاوون، مرّ الرّكب بتلمسان، وكانت قد تخلّصت من الحصار المريني، وكان بها أبو زيان[3] وأبو حمو موسى الأوّل ابنا عثمان بن يغمراسن، لكنّ الملك الزياني لم يحتفي بهما، ممّا يدلّ على مدى انزعاج الزيانيين من موقف المماليك الموالي لأعدائهم بني مرين، و طلب الوفد المملوكي من بني زيان خفيرًا يخفرهما إلى تخوم الدّولة الزيانيّة شرقا، بسبب اضطراب المسالك في المغرب الأوسط بعد وفاة يوسف بن يعقوب المريني، فبعث معهم بعض الأعراب لحراستهم، لكن اعترضهم قطاع طرق من أعراب زغبة[4] بنواحي المدية و نهبوهم[5]. وكان الاعتقاد السائد آنذاك أنّ عمليّة النّهب تلك قد تمّت بتدبير من السلطان أبي حمو الأوّل[6].

وكانت هذه الحادثة سببًا في استياء السّلطان النّاصر محمد بن قلاوون من السّلطان الزّياني أبي حمو موسى الأوّل، فأرسل إليه يعاتبه و يؤنّبه، كما بعث له بهدية مكوّنة من كوزين من دهن

---

[1] – ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص387– بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 409 – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 409.

[2] – توفي قتيلاً و هو محاصر لتلمسان و تولى بعده ابنه أبو سالم، ثمّ قتل و تولى أبو ثابت الّذي رحل عن تلمسان و صالح أبا زيان و أعاد له ممتلكاتهم بالمغرب الأوسط. ابن الأحمر، روضة النسرين، ص22– بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 419-422.

[3] – حكم من 703 إلى 707هـ/1303-1307 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 131– ابن الأحمر، روضة النسرين، ص51.

[4] – زغبة: من عرب بني هلال، كانت تضم عدّة بطون، و كانت مواطنهم من المسيلة إلى تلمسان بتيطري. ابن خلدون، العبر، ج6، ص 85 – مصطفى أبو ضيف، **القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص 155.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج5، ص 905.

[6] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470.

البلسان المستعمل عند المماليك، و خمسة مماليك من الترك بخمسة أقواس، فهمها السّلطان أبو حمو على أنّها احتقار له، فأمر كاتبه القاضي محمّد بن هدية بأن يكتب ردًّا على رسالة الملك الناصر جاء فيها:" أمّا عتابك على شأن الرّسل وما أصابهم في طريقهم، فقد حضروا عندي وأبنت لهم الاستعجال حذرًا ممّا أصابهم، و أريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الأعراب، فكان جوابهم: إنّا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف، مغترين بشأنهم يحسبون أنّ أمره نافذ في أعراب قبائلنا، و أمّا الهدية فردّت عليك: أمّا دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف إلاّ الزيت، وحسبنا به دهنًا، وأمّا المماليك الرماة فقد افتتحنا بهم اشبيلية وصرفناهم إليك لتفتح بهم بغداد والسّلام"[1].

إنّ صدور مثل هذه الرّسالة عن السلطان أبي حمو يدلّ على مدى استياء[2] الزيانيين من المماليك لتفضيلهم بني مرين على حسابهم.

2 – رسالة أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل إلى الملك النّاصر:

لمّا تولى أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل الحكم سنة 718 هـ/1318م، حاول إعادة العلاقات و إصلاح الأمور مع سلاطين المماليك، فأرسل سنة 725هـ/1325م رسالة إلى الملك النّاصر محمد بن قلاوون معبرًّا له فيها عن حسن نواياه وموضّحًا له سبب استياء الزيانيين من المماليك.

وممّا جاء في هذه الرّسالة بعد ذكر الألقاب الملوكية ممّا اختصّ به سلاطين المماليك في المكاتبات:" سلام عليكم و رحمة الله و بركاته، من أخيكم البَرّ بكم الحريص على تصافيكم، عبد الرّحمان بن أبي موسى بن يغمراسن. وإنّا كتبنا إليكم كتب الله لكم أنجح المقاصد وأرجحها وأثبتها عزًّا، وأوضحها من حصن تلمسان حرسها الله تعالى"[3].

وفي سبب استياء ملوك بني زيان من سلاطين المماليك كتب أبو تاشفين:" و قد وجب شكركم علينا من كلّ الجهات، واتصلت المحبّة والمودة طول الحياة، غير أنّ في قلوبنا شيئًا من

---

[1] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470-471.

[2] – كتبت رسالة أبي حمو موسى الأوّل إلى الملك الناصر بصيغة المفرد المخاطب و لم تستعمل فيها ميم الجمع و لا نون الجمع و هذا الأمر يخالف تماما أسلوب كتابة الرسائل في المغرب و الأندلس. و هو ما يزيد من التأكيد على أنّ استياء بني زيان من المماليك كان في قمّته. القلقشندي، صبح الأعشى، ج7، ص 30 – بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 155.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

ميلكم إلى غيرنا واستئناسكم"[1]، وكان قصده ميل المماليك إلى توطيد علاقاتهم مع بني مرين على حساب بني زيان، لكن دعوة أبي تاشفين هذه لم تلق ترحيبًا من سلاطين المماليك[2].

3 – موقف الملك النّاصر من سقوط تلمسان 737هـ/1337م:

في سنة 735هـ/1335م تحرك أبو الحسن المريني إلى مدينة تلمسان، و استولى في طريقه على ندرومة و هنين، كما استولى على وهران، وبعث جيوشه لإخضاع المغرب الأوسط، ثمّ نزل عاصمة الزيانيين وحاصرها لمدّة سنتين، وفي يوم الأربعاء 28 رمضان737 هـ/1337م، اقتحمها عنوة و قتل السلطان أبا تاشفين و قادته، و بقتله انقرضت الدّولة الزيانية[3].

وعلى إثر ذلك بعث أبو الحسن المريني برسالة إلى الملك النّاصر محمد بن قلاوون يخبره بما تمّ على يديه من الفتوح، واصفا له خبر بني زيان وكيف حاصر تلمسان و ضيّق عليها الحصار، وقذفها بالمجانيق، وكيفيّة اقتحامها، و قتل ملكها أبي تاشفين[4]، فكتب له الملك الناصر برسالة، هنّأه فيها بمنجزاته، و أبدى له تأييد المماليك لبني مرين[5].

4 – هديــة أبي زيــان[6] إلى الظّــاهر برقــوق:

لّما قامت دولة المماليك الجراكسة، بعث أوّل ملوكها الظّاهر أبي سعيد برقوق بهدية إلى السّلطان الزّياني أبي زيان محمّد بن أبي حمو سنة 799هـ/1397م، وكانت هذه الهدية مكوّنة من القماش و الطّيب، فردّ عليه أبو زيان بهدية أخرى مكوّنة من ثلاثين من الجياد المسرّجة والأقمشة، و معها قصيدة من نظمه يمدح فيها الظّاهر برقوق، ممّا جاء فيها:

سعد الأمير أبو سعـــــــيد فإنّــه ❖ سيف على هـــــام العدى مسلول
مـــــلك يحج المغرب الأقصـــــى به ❖ فلهم به نحو الرّسول وصـــــــول

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.
[2] – عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص 346.
[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 536 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 219 – التنسي، تاريخ بني زيــان، ص 144-146 – ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص386- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص26- أبو الفداء، المصدر السابق، ج2، ص 514-515.
[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 87-99.
[5] – المصدر نفسه، ج7، ص 395-407.
[6] – حكم من 796 هـ/1394- 1399م. التنسي، تاريخ بني زيان، المصدر السابق، ص 210- ابن الأحمر، روضة النسرين، ص59.

ملك به نام الأنـــام و أمـــــنت ❖ سبل المخـــاف فلا يخاف سبيل

فالملك ضخم و الجنـــــاب مؤمل ❖ و الفضل جم والعطـــــاء جزيل[1]

وكان من شأن هذه السّفارات والهدايا أن تخفف من حدّة التّوتر في العلاقات السّياسية وفسحت المجال للدّولتين كي يربطا علاقات أخرى خاصة في المجال الثّقافي.

5 – أثر العلاقات السّياسية على العلاقات الثّقافية:

تخضع الحياة الثّقافية في أي دولة من الدّول إلى جملة من العوامل و المؤثرات أبرزها طبيعة الحياة السّياسية، لتلك الدّولة، وكذلك الأمر فيما يخصُّ العلاقات الثّقافية بين الأقاليم و الدّول.

إنّ ما ميّز العلاقات السّياسية الزّيانية– المملوكية هو تأرجحها بين التأزم والانفراج، وكان مردّ ذلك بدرجة كبيرة إلى دور بني مرين في جلب انتباه المماليك نحوهم على حساب بني زيان، ممّا أدّى في كثير من المناسبات إلى سوء التّفاهم، ونفور بني زيان من المماليك أو انزعاج المماليك من بني زيان[2].

ولا شكّ أنّ هذه العلاقات كان لها أثر على العلاقات الثّقافية بين البلدين، لكن الملاحظ أنّها لم تكن بالآثار البالغة، و لم تؤدّي على قطع الصّلات الثّقافية بينهُما، بل إنّ الحياة الثّقافية بالبلدين و الحركة الثّقافية بينهما لم تتأثّر سلبًا بالعلاقات السّياسية، ومردّ ذلك على عدّة عوامل: لعلّ أهمها رابطة الدّين الإسلامي ورابطة الحجّ، وفي هذه الأخيرة حرص ملوك بني زيان على مراسلة سلاطين المماليك شاكرين لهم دورهم في تأمين الحجيج و العناية بهم، من ذلك ما ورد في رسالة أبي تاشفين إلى الملك الناصر قائلا:" ومن أعظم ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحجّ المبرور وزيارة سيّد البشر، الشّفيع في المحشر... و علم الله أنّنا لم تزل آمالنا متعلّقة تبلكم المشاعر الكريمة، و قلوبنا متشوقة إلى بتلكم المشاهد العظيمة.... "[3]، ممّا يدلّنا على اهتمام ملوك بني زيان رغم تأزّم العلاقات السّياسية في بعض الأحيان، وحرصهم على جعل مسألة الحج وما يصحبها من حركة الطّلبة و العلماء بعيدة عن المؤثّرات السّياسية.

---

[1] – ابن خلدون، التعريف، ص 1171-1176 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 225.

[2] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470-471.

[3] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 86.

ثـــانـــيـــا: الرّحلة بين المغرب الأوسط ومصر ودورها في ربط العلاقات الثّقافية:

1 – دوافعها، مسالكها و مشاقها:

كانت بلاد المشرق عموما ومصر على وجه الخصوص مفتوحة لمن يريد التّجوال فيها وشدّ الرّحال إليها، طلبا للعلم أو حاجًّا أو تاجر أو سائحًا[1]، وكثر عدد المرتحلين من المغرب إلى المشرق باختلاف أهدافهم من الرّحلة، وساعدهم على ذلك عدّة عوامل ودوافع يمكن تقسيمها إلى عوامل جذب و أخرى عوامل طرد:

فمن عوامل الجذب :

– حِرْصُ سلاطين المماليك على جلب النّاس للسّياحة والتّجارة والعلم إلى بلادهم، وكان السّلطان المنصور قلاوون قد أصدر منشورًا رسميّا أعلن فيه عن الدعاية السّياحية لبلده، و ممّا جاء فيه:" ... و من يؤثر الورود إلى بلادنا الفسيحة أرجاؤها، الظليلة أفياؤها و أفنائها، فليعزم عَزْم من قدر الله له في ذلك الخير و الخيرة، ويحضر إلى بلاد لا يحتاج ساكنها إلى ميرة و لا ذخيرة، لأنّها في الدنيا جنّة عدن لمن فطن، ومسلاة لمن تغرّب عن الوطن، و نزهة لا يملها بَصَرٌ، والمقيم بها في ربيع دائم، و خير ملازم، ويكفيها أن من بعض أوصافها أنّها شامة الله في أرضه" [2].

– وكان سلاطين المماليك يخصون الوافدين إليهم بالعناية خاصّة إذا كانوا من بلاد المغرب، لذلك ابتنوا لهم المرافق للإقامة، و أحسنوا استقبالهم و إكرامهم، و اقتدى بهم في ذلك أهل مصر، خاصّة أهل باديتها الّذين اشتهروا بإيثارهم للفقراء و الغرباء و الحجيج[3].

– توفر الظّروف المناسبة لطلبة العلم و الحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثّقافية كالقاهرة والإسكندريّة أو الحجاز أين توجد البقاع المقدّسة، من حيث الازدهار الثّقافي الذي شهدته مصر، و شيوع ذكر علمائها في الأقطار، ممّا حفّز المغاربة أكثر على التوجه إليها للأخذ عن العلماء والتّعرّف على مناهجهم و علومهم[4].

---

[1] – كان المغاربة عند سفرهم إلى مصر يزورون جملة من المعالم التاريخية مثل مقام الإمام الشافعي و مشهد السيدة نفيسة من آل البيت و قبور بعض الصحابة و كبار العلماء و الصالحين. القلصادي، المصدر السابق، ص 128 – حسن محمّد الرفاعي، **كتاب الأنوار في فضائل و تراجم و تواريخ ومنـــاقب و مزارات آل البيت الأطهـــار**، مصر، 1356 هـ، ص 10-11.

[2] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 13، ص 340-342.

[3] – أبو الحسن بن جبير، **رحلـــة ابن جبـــير**، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 1987، ص 258-259.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص778 – عز الدين عمر أحمد موسى، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بـــيروت – القـــاهرة، 1983، ص 16.

أمّا عوامل الطّرد، فمنها الحالة السّياسية المتردّية الّتي كانت تعيشها بلاد المغرب على العموم، ممّا دفع ببعض العلماء إلى تفضيل مصر والارتحال إليها والاستقرار بها[1]، كما كان تعرض بعض كبار العلماء في المغرب إلى المضايقات سببًا في تفضيلهم الإقامة بمصر على البقاء في المغرب[2].

وكان المرتحلون من المغرب إلى المشرق سواء للحجّ أو لطلب العلم أو التّجارة يتبعون دروبًا ومسالك برّية كانت توصلهم إلى مصر و مدنها و منها إلى الحجاز و بلاد الشّام. ومن خلال كتب الجغرافيا والرّحلات يمكن تحديد أهم طريق برّي كان يربط المغرب الأوسط بمصر، وكان هذا الطريق يبدأ من تلمسان ويمرّ عبر أهم مدن المغرب الأوسط الدّاخلية أو السّاحلية، ومنها إلى بجاية و تونس و مدن المغرب الأدنى، ثمّ طرابلس[3] وبرقة[4] وصولاً إلى الإسكندريّة، ثمّ يصل القاهرة، و منها يتّجه عبر نهر النّيل و مدن الصّعيد[5] إلى ميناء عيذاب[6] الّذي كان يبحر منه الحجّاج إلى ميناء جدّة بالحجاز[7].

أمّا الطّريق البحري، فكان يربط موانئ المغرب بمصر، وكانت السّفن تصل ميناء الإسكندريّة وتبحر عبر نهر النّيل لتصل إلى القاهرة[8].

وكانت تواجه المرتحلين عدّة مشاق و صعوبات، سواءً كانت الرّحلة برّا أو بحرًا، من ذلك تعرّض قطّاع الطّرق لركب الحجيج و غيرهم بالإذاية و النّهب مثلما حدث للسّفارة المملوكية عند عودتها من تلمسان إلى مصر سنة 707هـ/1307م[9].

---

1 – عز الدين موسي، المرجع السابق، ص 16.

2 – مثل حالة عبد الرّحمن بن خلدون و محمد بن مرزوق الخطيب. ابن خلدون، التعريف، ص 1056 – ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 157-162.

3 – طرابلس الغرب مدينة على شاطئ البحر، قديمة البناء، كان بها مساجد و أسواق و رباطات. البكري، المصدر السابق، ص 6-17 – القلصادي، المصدر السابق، ص 124 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 198 – الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 99.

4 – برقة: اسمها بالروميّة الإغريقيّة بنطابلس أي خمس مدن، و هي أوّل ما يترله المسافر قادما من مصر على بلاد المغرب. البكري ، المصدر السابق، ص 3 – الإدريسي، المصدرالسابق، ص 211 – اليعقوبي، المصدر السابق، ص 182.

5 – الصعيد هو ظاهر مصر و كانت به عدّة مدن كقوص و منفلوط و أسيوط و إخميم، و كانت أرضا فلاحيه بها مساجد و كنائس و صناعات. المقريزي، الخطط، ج1، ص 189 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 30-31 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 70-75.

6 – عيذاب، مدينة على الساحل الغربي لبحر القلزم (الأحمر)، كانت مزدهرة بسبب كثرة من يقصدها من الحجيج كلّ عام و كان بها قوم يسمون البجاة من الزنوج، و كانت بينهم و بين المماليك عدّة صدامات. المقريزي، الخطط، ج2، ص 202-203 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 38 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ص 202-203.

7 – محمّد لبيب البتنوني، الرّحلة الحجازية، ط2، مطبعة الجمالية، مصر، 1329هـ، ص 28-31.

8 – ابن خلدون، التعريف، ص 1058.

9 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 470.

وكانت عمليات النّهب لقوافل المرتحلين تتمّ خاصّة من طرف الأعراب و القبائل الّتي كانت تملأ الطريق الرّابط بين تلمسان و القاهرة، وكانت خارجة عن سيطرة الدّولة[1].

كما كان المسافرون يلقون مشقّة بعد المسافة والأحوال الجويّة المضطربة بين الحرّ والبرد والأمطار، والإصابة ببعض الأمراض كالحمّى و ما يصاحبها من الضّعف عن المسير[2].

أمّا مشاقّ الطّريق البحري، فقد وصف الرّحّالة و الجغرافيون كثيرا من أهوال البحر وما يصاحبها من غرق للسّفن في بعض الأحيان، مثلما حدث سنة 779هـ/1377م عندما غرقت سفينة كانت تحمل حجّاجا مغاربة قرب ميناء الإسكندرية[3]، وكذلك غرق السّفينة الّتي كانت تحمل أهل عبد الرحمن بن خلدون بالميناء ذاته[4].

2 – رحلة الحجّ و دورها الثّقافي:

يعد الحج من أركان الإسلام، وكان المسلمون من مغاربة ومشارقة حريصين كلّ الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقه ومصاعبه وبُعْد المسافة بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدّسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم، و ذلك ما أكّد عليه ابن عبّاد الرّندي[5] في إحدى رسائله حيث يقول :"المشي إلى الحجّ في هذه الأزمنة[6] ممّا يعظم حرص النّاس عليه وتميل نفوسهم إليه، ويؤثرون المشقّة والقلّة والغربة اللّازمة له على الرّاحة والجدّة والإقامة" [7].

واعتنى ملوك بني زيان بركن الحجّ، وبذلوا في سبيل إنجاحه كلّ موسم ما يستطيعونه من المال وتمهيد الطّرق وتأمينها وإقامة دليل لركب الحجيج المغاربة، وكذلك بالمراسلات مع سلاطين المماليك و شكرهم على ما كانوا يبذلونه لإنجاح مواسم حجّ المغاربة إلى البقاع المقدّسة[8].

---

[1] – كانت دولتا بني زيان و المماليك تضم في تركيبتها السكانيّة الكثير من القبائل العربية الخارجة عن سلطتها. ابن بطوطة، ج1،ص38- أبو ضيف، المرجع السابق، ص 158.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص 124 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 34-38 – المقريزي، السلوك، ج2، ص 12 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 10.

[3] – الونشريسي، المعيار، ج4، ص 490.

[4] – ابن خلدون، التعريف، ص 1087.

[5] – هو الشيخ الصوفي أبو عبد الله محمّد بن عباد النفزي الحميري الرندي (733-792 هـ/1332-1390م) من كبار علماء الأندلس، له كتاب التنبيه الّذي وضعه على حكم ابن عطاء الله السكندري (ت709 هـ/1309). التنبكتي، المصدر السابق، ص279- 281.

[6] – يقصد القرن الثامن الهجري/14م.

[7] – ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص 66.

[8] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج 8، ص 86.

وكان ملوك المغرب عامّة قد اعتادوا بعث الرّبعات الشريفة والمصاحف وحبسها على الحرمين وكانوا يكلفون كبار الشّخصيات و العلماء للقيام بهذا الدّور الجليل[1].

كما كان سلاطين المماليك أشدّ ما يعنون بالحجّ والحجيج، خاصّة بعدما أصبحوا أوصياء على خدمة الحرمين والبقاع المقدّسة الإسلاميّة بالمشرق عمومًا، لذلك خصّصوا بمناسبة الاستعداد للحجّ يومًا يسمى يوم المحمل، وكان يوما مشهودًا، حيث كان يركب فيه القضاة الأربعة ووكيل بيت المال و المحتسب وأعلام الفقهاء والأمراء، ويقصدون باب القلعة مقرّ السلطان فيخرج إليهم على جمل، وأمامه أمير الحجّ في تلك السنة ومعه الحرّاس والسقاءون على جمالهم، ويجتمع النّاس ويطوفون بالمحمل في شوارع القاهرة ومصر في شهر رجب من كلّ عام، ويستعدون منذ ذلك الحين للحجّ[2].

كما اعتنى المماليك بشأن مدينتي مكّة والمدينة المنوّرة، وصارتا في عهدهم من المراكز الثقافيّة المعدودة في العالم الإسلاميّ، و كان أمرهم نافذا فيها وكانوا يعْتَنُون بمسألة كسوة الكعبة[3] كلّ عام، وكان السّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري أوّل ملك بمصر كساها بعد الخلفاء العبّاسيين، وقام بذلك بعده سلاطين المماليك، و خصّصوا قرية في ظاهر القاهرة وقفوها لصناعة الكسوة من غلاتها كلّ عام، و كان اسم السّلطان يكتب عليها[4].

وكان ركب الحجيج المغاربة ينطلق من المغرب الأوسط باتجاه مصر، و كان يتكوّن من عدّة فئات من المجتمع ممّن لهم القدرة على إقامة ركن الحج، وخاصّة من الطّلبة والعلماء الّذين كان هدفهم من رحلة الحجّ أبعد من الحجّ نفسه، حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك والسّياحة في

---

[1] – ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا الإسلاميّة، ص 319 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211 – ابن خلدون، الرّحلة، ص 1156.

[2] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 65 – البتنوني، الرحلة الحجازية، ص 140 – المقريزي، السلوك، ج2، ص 9 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 311 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 57-58 – ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج1، 445- سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع، المرجع السابق، ص 181 – إسماعيل الحداد، المرجع السابق، ص 85 – أشرف أبو اليزيد، "رحلة الحج رحلات المحمل الشريف"، **مجلة العربي**، ع 566، يناير 2006، ص 100-104.

[3] – كان أوّل من كسا الكعبة اسعد اليماني ثمّ كساها الرّسول صلى الله عليه و سلّم بالثياب اليمانية ثم كساها الخلفاء من بعده و استمرت كسوتها خلال عهد العباسيين، أبو الحسن الماوردي، **الأحكام السلطانية و الولايات الدينية**، تح: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزغلي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 253-254.

[4] – أبو الطّيب تقي الدين الفاسي المكي، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ج2، مكتبة النهضة الحديثة – دار إحياء الكتب العربيّة، مكّة المكرّمة، 1956، ص 298-239.

الحجاز[1] لقاء العلماء والاختلاط بهم و تبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم[2].

وكانت قافلة الحجّ عند مرورها بمصر ذهابا و إيابًا توفر للطلاب و العلماء من المغرب الأوسط فرصة الالتقاء بالمشايخ والفقهاء وأعيان العلماء المصريين ممن ذاع صيتهم في المشرق والمغرب، ويتم بينهم التبادل الثقافي و العلمي، و عند عودة الرّكب إلى المغرب كانت تنتشر أخبار مصر و علمائها ما كان يرغّب الطّلبة أكثر في الارتحال إليها[3].

كما كان المشارقة يأخذون العلم من المغاربة في إطار تبادل ثقافي ميزه وجود عدّة علماء و طلبة من عدّة أقطار إسلامية في مكان واحد، ممّا سهّل عملية الاتصال و الأخذ و العطاء العلمي و الثقافي، و اطلاع كلّ شخص على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي، و اشتهر عن الوافدين المغاربة على مكة و المدينة بأنّهم كانوا يجاورون بها في غالب الأحيان للتّعبّد و التّدريس و كان بعضهم يبقى مجاورًا حتى وفاته[4].

وبذلك كانت رحلة الحج توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب و المشرق، ويتم من خلالها تعرّف العلماء على بعضهم البعض شخصيا بعدما كانوا يتعارفون عن طريق المراسلات و المؤلفات، فيعرف كلّ عالم قدره ومكانته عند الآخرين و مدى توافق أفكاره و آرائه مع أفكار و آراء أقرانه من علماء الأقطار الإسلاميّة، و يحصل المزيد من العلم بالتقاء كبار علماء مكّة و المدينة المنوّرة، ولا تكاد تخلو ترجمة عالم من المغرب الأوسط من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكّة والمدينة أو أخذوا عنه، وكان ذلك من فضائل وخصال رحلة الحجّ في المجال الثّقافي[5].

---

[1] – كانت هناك عدّة مزارات مقصودة من طرف المسلمين بالحجاز بالمدينة و مكّة منها قبور الرّسول الكريم و قبور الصحابة و غار حراء وأماكن أخرى. أبو الحسن الهروي، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تح: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1953، ص 85-96 – محمد بن محمود بن النجار، **الدّرّة الثّمينة في تاريخ المدينة**، مكتبة النهضة الحديثة، مكّة المكرّمة، 1956، ص 332-397 – القلصادي، المصدر السابق، ص 136.

[2] – ابن مرزوق، المجوع، وورقة 92- 93- ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص 70 – القلصادي، المصدر السابق، ص 135.

[3] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة 92- 93- المقري، نفح الطيب، ج3، ص 4-5.

[4] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 165-166.

[5] – القلصادي، المصدر السابق، ص 134-135.

3 – الرّحلـــة فـــي طلب العلـــم:

اعتبر عبد الرّحمن بن خلدون الرّحلة في طلب العلم من الأمور الّتي على طالب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه و تقويتها و التحكم أكثر في العلوم، وقد علّل ذلك بأن البشر يأخذون معارفهم إمّا علما و تعليما و إلقاءًا وإمّا محاكاة و تلقينًا، و أنّ الإكثار من الشّيوخ يعد أفضل للطّالب من أجل تمييز اصطلاحات العلوم وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم من منابعه[1].

وكان أستاذ ابن خلدون محمّد بن إبراهيم الآبلي قد أشاد بفضل الرّحلة واعتبرها أصل العلم[2].

وكان طلّاب المغرب الأوسط لا يكتفون بما يحصّلونه في مدنهم من المعارف و العلوم، بل كانوا يشدّون الرّحلة إلى مختلف أقطار العالم الإسلاميّ مشرقا و مغربًا من أجل الاستزادة من العلوم و التّعمق فيها[3]، وكانت رغبة الطّلبة في المزيد من الدّرس و التّحصيل قد دفعتهم إلى التّنقّل إلى جامع الزّيتونة بتونس و إلى جامع القرويين بفاس، و كذلك إلى غرناطة و بجاية في مرحلة أولى، ثمّ كانوا يرتحلون إلى مصر أين كانت تتوفر بها المدارس والخانقاوات وكبار المدرّسين والشّيوخ[4].

وكانت الرّحلة في طلب العلم توفر للطّلبة مجموعة من الفوائد هي:

- لقاء المشايخ و العلماء و الاحتكاك بهم و الأخذ عنهم.
- أخذ العلم عن طريق الرّواية بدلا من أخذه عن طريق الكتب و المصنّفات والمختصرات فقط حسب ما أورده الآبلي[5].
- التّعرّف على مناهج التّعليم والمستجدات الطارئة على التّخصّصات العلمية المختلفة، والتّحكم فيها.
- التّعرّف على البلدان والشّعوب وثقافاتهم و عاداتهم و تقاليدهم و إمكانية التّبادل الثّقافي بين المجتمعات الإسلامية[6].

---

[1] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 1044.

[2] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 226 – ابن مريم، البستان، ص 216-217 – الحفناوي، المرجع السابق، 96.

[3] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 99 – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 35-36- اسكان الحسن، المرجع السابق، ص28 .

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 327.

[5] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 217- Bouali, op.cit, p.8-21 .

[6] – لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 100.

– أخذ الإجازات من عدّة شيوخ في عدّة تخصّصات علمية ما يدعّم المصداقية العلمية للطّالب ويؤهله لتولي الوظائف المختلفة من التّدريس و بعض الوظائف الإدارية عند عودته على بلده[1].

وكان للأساتذة دور كبير في دفع الطّلبة إلى الارتحال لطلب العلم، كما كان التوجّه إلى مصر نابعًا من الرّغبة في العلم وكذلك لما كان يتوفر من عناصر الجذب من الإقامة والأرزاق وعناية سلاطين المماليك بالطّلبة والعلماء الوافدين عليهم، وفي ذلك يقول ابن خلدون: " ولا أوفر اليوم[2] في الحضارة من مصر، فهي أمّ العالم وإيوان الإسلام و ينبوع العلم و الصّنائع"[3].

4 – منشآت الطّلبة المغاربة بمصر:

كان سلاطين المماليك عند تأسيسهم لإحدى المنشآت الدينية أو التعليميّة يلحقون بها مركبات لإقامة الطلبة والمدرسين خاصّة للوافدين من الغرباء، وكانت المساكن من عناصر الانتفاع الهامّة بالمدارس و الخانقاوات و الرّبط و الزّوايـــا الّتي كانت تستقبل أعدادًا من الطلبة و المتصوفة والمدرسين الّذين كانوا يقطنون بها، وكان ذلك من مظاهر عناية المماليك بأهل العلم الوافدين على مصر[4].

وأهم المنشآت الّتي خصّصت للطّلبة المغاربة بما فيهم طلبة المغرب الأوسط بمصر:

أ – رواق المغاربة بالجامع الأزهر:

كان الطّلبة المغاربة يقصدون مصر لأخذ العلم عن كبار علمائها، و لما اشتهر عن سلاطين المماليك ترحيبهم وإكرامهم للوافدين عليهم، فقد كثر عدد من ارتحل من المغاربة إلى مصر، وكانت حركة الرّحلة من المغرب إلى المشرق مستمرّة منذ القديم، و استمرّت و تزايدت في عهد الفاطميين الّذين أسّسوا دولتهم انطلاقا من بلاد المغرب وبالاعتماد على قبائل البربر، واستمرّت بدون توقف رغم الاضطرابات السياسيّة واختلال الأمن عبر المسالك بسبب الثورات الداخليّة والحركات العسكريّة للصّليبيين ضدّ بلاد المغرب و المشرق وشواطئهما.

---

[1] – لخضر عبدلي ، المرجع السابق، ص 245-246.

[2] – يقصد أواخر القرن الثامن الهجري/14م.

[3] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 1051.

[4] – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 321.

وكان الطّلبة المغاربة يلقون الحفاوة و التّرحيب بمصر، ولما كانوا طائفة مميّزة عن غيرها من طوائف الطّلبة الآخرين كالسّودان[1] والعجم[2] وأهل ريف مصر، فقد كان لهم رواق خاص بهم بالجامع الأزهر الّذي كان الجامعة الأولى في العالم الإسلامي من حيث العلوم الّتي كانت تدرس به و كذلك العدد الكبير من الطّلبة الّذين كانوا يدرسون به، وذكر المقريزي في خططه أنّه كان يقيم بالأزهر من الفقراء الملازمين حوالي 750 فردًا من بين عجم و أهل ريف مصر و مغاربة وكان لكلّ طائفة رواق يعرف باسمهم[3].

وكان رواق المغاربة مثل باقي الأروقة عامر بتلاوة القرآن ودراسته وتلقينه والاشتغال بأنواع العلوم كالفقه و الحديث و التّفسير و النّحو و مجالس الوعظ و حلق الذّكر[4].

وكان أهل المال يقصدونه وينفقون عليه وعلى بقيّة الأروقة الأخرى، كما كان يلقى الرّعاية من كبار العلماء خاصّة من المغرب، وكانوا يوقفون عليه الكتب مثلما فعل الشّيخ عيسى بن عبد الرّحمن الزواوي عام 878هـ/1473م الّذي أوقف مجموعة من الكتب على الطّلبة المغاربة المقيمين بالرواق[5].

وفي جمادى الأول سنة 818 هـ/1416م أمر أحد الأمراء المماليك ناظر الجامع بإخراج المجاورين منه ومنعهم من الإقامة فيه و إخراج متاعهم و خزائن كتبهم و كراسي المصاحف، وكانت فتنة أضرّت بالجامع و طلبته كثيرًا[6].

إنّ وجود رواق المغاربة بالجامع الأزهر بجوار أروقة الطوائف الأخرى كان من شأنه أن يتيح للطّلبة القادمين من المغرب الأوسط الاحتكاك بأقرانهم القادمين من باقي الدّول الإسلاميّة، وهو ما تمّ بالفعل، ممّا أنتج جوّا من التّبادل الثّقافي تمثل في المناظرات و تبادل الآراء والاستفادة المتبادلة بين الطّلبة و العلماء، و ذلك ما كان سببا في توسيع أفق طلّاب العلم وتعمّقهم أكثر في مسائل العلوم بتخصّصاتها المختلفة[7].

---

[1] – كان للطلبة السودانيين خاصة القادمين من التّكرور وبرنو مدرسة خاصّة بهم لدراسة المذهب المالكي بمصر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 281.

[2] – العجم هم الروم أو السلاجقة و كان منهم الكثير من الصوفية بمصر. ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 56.

[3] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 276.

[4] – المقريزي، الخطط، ج2، ص276.

[5] – السيد النشار، المرجع السابق، ص 84.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 277.

[7] – القلصادي، المصدر السابق، ص 126-127.

ب – دار المغـــاربة بالإسكندريـــة:

كانت الإسكندرية إحدى أهم المراكز الثّقافية بمصر في عصر المماليك، وقد وصفها الرّحالة والجغرافيون و بيّنوا مدى اتساع عمرانها و كثرة مرافقها الاجتماعية و التجارية و الثّقافية، فقال عنها الإدريسي: "...حصينة الأسوار، نامية الأشجار، جليلة المقدار، كثيرة العمارة، رائجة التجارة، شامخة البناء، رائعة المغنى، شوارعها فساح...." [1].

وعبّر عنها المقدسي بقوله: " قصبة نفيسة على بحر الروم عليها حصن منيع وهو بلد شريف كثير الصالحين والمتعبدين...." [2].

وقال عنها ابن حوقل: "مدينة على نحر البحر رسومها بيّنة وآثار أهلها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة و تُعرّف عن تمكن في البلاد وسمو و نصرة و تفصح عن غبطة وعبرة كبيرة...." [3].

و قال عنها ابن جبير:"... إنّا ما شاهدنا بلدا أوسع مسالك منه و لا أعلى مبنى ولا أعتق ولا أحفل منه و أسواقه في نهاية الاحتفال أيضا" [4].

ووصفها ابن بطوطة: "هي الثغر المحروس، والقطر المأنوس...الجامعة لمفترق المحاسن لتوسطها بين المشرق والمغرب" [5].

وقال عنها ابن دقماق: "هي مدينة عظيمة لم يكن بالديار المصرية مثلها ولا ما يقاربها في الحسن واتقان البناء"[6].

وكانت الإسكندرية تضمّ الكثير من المؤسّسات الثّقافية و التّعليمية، وبلغ عدد مساجدها حسب تقدير بعض المؤرخين حوالي 12 ألف مسجد[7]، منها **جامع العطّارين** أو جامع الثّغر الّذي بناه الوزير الفاطمي بدر الجمّالي سنة 477 هـ/1080م و كان مركزا لنشر المذهب الشّيعي بالمدينة[8]. و**مسجد الطّرطوشي** الّذي يضم ضريح الإمام الطرطوشي (ت520هـ/1126م) الّذي بناه الوزير الفاطمي المأمون البطائحي سنة 516 هـ/1122م تكريما لهذا الإمام عندما زاره

---

1 – الإدريسي، المصدر السابق، ص 196-197.

2 – المقدسي، المصدر السابق، ص 196-197.

3 – ابن حوقل، المصدر السابق، ج1، ص 150.

4 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 8.

5 – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 38.

6 – ابن دقماق، الانتصار، ج5، 116.

7 – الهروي، المصدر السابق، ص 48 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 11.

8 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 67.

بالقاهرة وقدم له كتاب "سراج الملوك"، و اتّخذ المسجد في عهد بني أيّوب والمماليك كمركز لمحاربة المذهب الشّيعي ونصرة مذهب السّنّة[1].

كما اشتهرت الإسكندرية بمدارسها، **كالمدرسة العادلية** التي كانت مخصّصة للمذهب الشّافعي[2]، **والمدرسة العوفية** نسبة للحافظ أبي طاهر بن عوف الزّهري (ت 581هـ/1185م) تلميذ الطّرطوشي، وخصّصت للمذهب المالكي[3]، و كذلك **مدرسة ابن الجارة** للفقهاء المالكية[4].

وكانت هذه المؤسّسات من بين الأماكن الأكثر قصدًا من طرف الطّلبة المغاربة إضافة إلى مؤسّسات القاهرة، ولما كان الفاطميون قد انطلقوا من بلاد المغرب، فقد استخدموا المغاربة في المناصب الحكومية وكانت لهم سلطة كبيرة بمصر في عهدهم، و كانت الجالية المغاربيّة من أكبر الجاليات الإسلاميّة في مصر و القاهرة و الإسكندريّة[5]، و لما جاء الأيوبيون عملوا على كسب هذه الطائفة إلى جانبهم بعد إسقاط دولة الفاطميين، فقام صلاح الدين الأيّوبي بإنشاء دار للمغاربة بالإسكندريّة سنة 577هـ /1181م، وكان هدفه منها مثل هدفه من إنشاء المدارس بالقاهرة و هو نصرة مذهب السّنّة، و كذلك تحويل المغاربة المقيمين بالإسكندرية عن المذهب الشّيعي[6].

وكانت دار المغاربة خلافا لمدارس الإسكندريّة الّتي كانت مخصّصة للفقه الشافعي أو المالكي، شاملة لجميع المذاهب السّنّية إضافة إلى فروع العلوم المختلفة وجُعلت لطلّاب العلم والمتعبّدين الوافدين من بلاد المغرب إلى الإسكندريّة، وكان لكلّ واحد منهم مسكن يأويه، ومدرس يعلّمه الفنّ الّذي يريد تعلّمه، وإجراءًا أو راتبا منتظمًا كافيا له، كما ألحقت بها الحمامات ونصب لهم مارستانًا للعلاج وكان الأطبّاء و الخدم يتفقّدون أحوالهم[7].

وعبر أحد الكتاب عن دار المغاربة بالإسكندرية بأنّها كانت عبارة عن جامعة إسلامية، وبذلك عرف النّظام الجامعي والتّخصّص في فروع العلم، و الاهتمام بالمغتربين من الطّلبة، بتوفير

---

1 – ابن فرحون، الديباج، ص276- 277- السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص452.

2 – محمود زيتون، المرجع السابق، ص 138.

3 – المرجع نفسه، ص 139.

4 – المرجع نفسه، الصفحة عينها.

5 – سبق لصلاح الدين الأيوبي أن جعل مسجد ابن طولون بالقاهرة مأوى للمغاربة يسكنونه و يحلقون فيه و أجرى عليهم الأرزاق كلّ شهر. ابن جبير، المصدر السابق، ص 20.

6 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 76- محمود زيتون، المرجع السابق، ص 141.

7 – ابن جبير، المصدر السابق، ص 19.

الخدمات العلميّة و الصحيّة والاقتصادية والاجتماعية للتفرغ لطلب العلم عن طريق دار المغاربة بالإسكندرية[1].

وقد ورث المماليك كلّ شيء عن الأيوبيين خاصة الاهتمام بالطّلبة الغرباء والوافدين من بلاد المغرب، فواصلوا عنايتهم بهذه المنشآت طوال عهدهم، وسهروا على السّير الحسن لحياة الطّلاب والعلماء داخل إقاماتهم، وذلك ما ترك الانطباع الجيّد في نفوس المغاربة عن حسن الرّعاية والإكرام الّذي كانوا يحظون به في مصر، لذلك كانوا يَرْغبون ويُرغّبون غيرهم في الارتحال إليها للاستفادة من محاسن النّظام المملوكي في المجال الثّقافي بما يوفّره من طاقم للتّدريس والأجور والأرزاق، وخاصة عدم التّمييز بين الطّلاب من جميع الجنسيات والأقاليم الإسلامية، ممّا وفّر فرصة ثمينة لطلبة المغرب الأوسط حتّى يحتكّوا بهم ويتبادلوا معهم العلوم والمعارف وربط جسور التّواصل الثّقافي بين الشّعوب الإسلامية.

5 – حركة العلماء بين البلدين و دورها في تـــمتيـــن الرّوابط الثّـــقافية:

أ – مـــميّزات هذه الـــحركة:

ظلت العلاقات الثّقافية و التّبادل العلمي بين المغرب و المشرق في نمو و ازدياد منذ الفتح الإسلامي و طيلة فترة العصور الوسطى، وكانت الحواضر الكبرى خاصة تلمسان والقاهرة تستقبل الطّلاب و العلماء الوافدين عليها، وكانت مراكز إشعاع تتوفر على عناصر الجذب الثّقافي من حيث كونها مقرا للحكم و السّلطان و ميدان الحركة العلميّة و المؤسّسات التّعليمية، واستمرّ تنقل الأساتذة والشّيوخ والطّلاب بينها حتّى في أوقات الأزمات السياسيّة وأزمنة القطيعة بين الدّول الّتي كانت تتنافر لأسباب سياسية بالخصوص[2].

وكانت رحلات وتنقلات العلماء بين مدن المغرب الأوسط ومصر لمزيد الاستفادة والمناظرة أو للتّدريس في المساجد والمدارس والخانقاوات والزّوايـــا، أو لنسخ بعض الكتب والمؤلّفات ذات الصّيت الذّائع في العالم الإسلامي[3].

و يمكن تحديد أبرز مـــميّزات حركة العلماء بين البلدين بما يلي:

---

[1] – محمود زيتون، المرجع السابق، ص 143.

[2] – رشيد الزوادي، "التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلاميّ"، مجلة الحضارة الإسلاميّة، ع1، أبريل 1993، ص 325.

[3] – المرجع نفسه، ص 333 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 329.

– فمن ناحية نسبة التّوافد المتبادل، ما يمكن ملاحظته في هذا الجانب هو أنّ نسبة توافد علماء المغرب الأوسط على مصر كانت أكبر بكثير من نسبة توافد علماء مصر على المغرب الأوسط،و يمكن تعليل ذلك بعدّة أسباب، منها أن بلاد المشرق عموما و مصر على وجه التّحديد كانت المقصد الأوّل لعلماء البلاد الإسلامية قاطبة، بسبب مكانتها العلمية وازدهار الحياة الثّقافية بها، خاصة بعدما صارت عاصمة للخلافة العبّاسية بعد سقوط بغداد و انتقال العلماء العراقيين إليها فرارًا من قمع المغول[1]،كما أنّها كانت المعبر الرّئيسي للحجيج المغاربة القاصدين إلى الحجاز[2]. و لم يكن علماء مصر بحاجة ماسّة إلى الانتقال نحو بلاد المغرب خاصّة لطلب العلم، لأنّهم كانوا يلتقون بالعلماء المغاربة إمّا في القاهرة أو في الحجاز أين كان يتم بينهم التبادل العلمي والثقافي، لذلك لا تمدنا كتب التراجم بأسماء كثيرة للعلماء المصريين الّذين سجلت لهم رحلات إلى المغرب الأوسط[3].

كانت حركة العلماء بين البلدين متأثرة بالظّروف السّياسية والثّقافية والاجتماعية لكلّ من المغرب الأوسط ومصر، لذلك نسجّل تفاوتًا في إحصاء أعداد العلماء المغاربة الّذين ارتحلوا إلى مصر عبر فترات تاريخ الدّولة الزيانية و المملوكية[4].

وكان العلماء الذين يرتحلون بين البلدين وخاصّة من المغرب الأوسط باتجاه مصر ينسجون علاقات ثقافية وعلمية قويّة مع أقرانهم من خلال الجلسات العلمية الّتي كانوا يتبادلون فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات في المسائل الفقهيّة والعلميّة المختلفة، وكانت هذه الجلسات تتم داخل المؤسّسات التّعليمية كالمساجد والمدارس والخوانق والرّبط والزّوايا الّتي كانت منتشرة بالقاهرة والمدن المصرية الأخرى، وكان علماء المغرب الأوسط عادة ما يعرض عليهم المماليك الوظائف العلمية كالتّدريس و الإعادة بهذه المؤسّسات مع الإكرام والرّواتب المغرية، فيستفيد منهم الطّلبة المصريون، و لم يكن التّدريس بالنسبة للمغاربة مقتصرًا على المدارس الّتي كانت مخصّصة للمالكية فقط بل درس بعضهم في المدارس الشّافعيّة وحتّى الحنفية، كما لم يقتصر احتكاكهم

---

[1] – ابن خلدون، المقدمة، ص 750 – سحر السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 46 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 141.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص 65.

[3] – سبق لبلاد المغرب أن عرفت توافد عدّة علماء مشارقة في خضم تيار الفتح الإسلامي بالخصوص و الذين عملوا على نشر الإسلام و توطيد أركانه و كذلك نشر التعريب. محمد مخلوف، المصدر السابق، ج2، ص 97-98- القلصادي، المصدر السابق، ص65.

[4] – عمار هلال، **العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين /3-14هـ** ، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995، ص 252.

بالعلماء المالكيين فحسب بل اختلطوا وتبادلوا المعارف مع الفقهاء من جميع المذاهب وبدون تمييز، ممّا يسمح لنا بالقول بأنّ مصر كانت تعيش جوّا من التّسامح والتّعايش بين المذاهب الفقهية السّنية المختلفة، وهو ما جعل مسألة التّبادل الثّقافي تتجاوز الأطر المذهبية والعرقية، فتوسعت المعارف العلمية لدى علماء البلدين .

وفيما يلي عيّنة عن بعض العلماء من المغرب الأوسط من الّذين قصدوا مصر ودرّسوا بها وكذلك عيّنة عن علماء مصر ممّن قصدوا المغرب الأوسط واستفادوا من علماء تلمسان.

عيّنة من العلماء:

كثر عدد العلماء المرتحلين من المغرب الأوسط باتجاه مصر و منهم:

أبو إسحـــاق إبراهيم بن يـــخلف التّنســـي (ت:680هـ/1281م):

بعد ما درس بمسقط رأسه تنس، و بمليانة و شلف و تلمسان و بجاية و تونس، ارتحل إلى القاهرة و التقى في رحلته أعلام المصريين كالشّمس الأصبهاني[1] وشهاب الدّين القرافي (ت:684هـ/ 1286م)[2] والشيخ سيف الدّين الحنفي، وأخذ عنهم مجموعة من العلوم والمصنفات و الإجازات العلمية[3].

وعرض عليه نقيب الجيوش بالدّيار المصرية الأمير طيبرس بن عبد الله الوزيري (ت719هـ/1419م) وظيفته التّدريس بمدرسته الّتي أنشأها بجوار الجامع الأزهر بالقاهرة و قرّر بها درسًا للفقهاء الشّافعية[4]، لكن أبا إسحاق التّنسي رفض الوظيفة و اعتذر عنها رغم إصرار الأمير المملوكي الّذي قام بتكليف الشّيخ تقيّ الدّين بن دقيق العيد قاضي القضاة لإقناعه، كما عرض عليه راتبا مغريًا لكنه أصرّ على عدم القبول[5].

---

1 – أبو عبد الله محمد بن محمود بن عباد الكافي الأصبهاني نزيل مصر (ت 688 هـ/ 1289م)، من تصانيفه شرح المحصول للرازي و كان أصوليا، و ألّف كتاب القواعد، و عنه أخذ التنسي علوم المنطق و الجدل. الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 246.

2 – درس على ابن الحاجب والعز بن عبد السلام، من تآليفه:كتاب التنقيح في أصول الفقه المالكي. مخلوف، المصدر السابق، ص 188-189.

3 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 67.

4 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 383.

5 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص 329.

وقد وفّرت هذه الرّحلة لأبي إسحاق التّنسي إضافة إلى زيادة معارفه في المنطق والجدل والعلوم الدينيّة أن صارت له سمعة طيبة في المشرق والمغرب، وعاد إلى تلمسان وقد انتهت إليه رئاسة المذهب المالكي واستفاد منه طلبة العلم بها[1].

محمد بن عبد الله حافـــي رأســـه (ت:693هـ/1292م):

هو محي الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر المالكي التلمساني، ولد سنة 606هـ/1209 بتيهرت[2] وتعلم بتلمسان[3] ، ثمّ ارتحل إلى مصر واستقر بالإسكندريّة و أخذ بها عن جملة من العلماء [4]، ثمّ تصدّر للتّدريس مدّة طويلة و تخرّج به الكثير من العلماء منهم تاج الدّين الفاكهاني[5]، و انتهت إليه رئاسة النّحو بالإسكندريّة و صار شيخ هذا العلم بها[6]، وكان أحد النّحاة الثلاثة المشهورين بالمشرق، حتّى قيل : حافي رأسه بالإسكندريّة و ابن مالك بدمشق وابن النّحاس بمصر[7].

وكان في رأسه حفرة فقالوا حفي رأسه، و قيل كان أوّل أمره مكشوف الرّأس فأعطي ثيابا فقال : هذا لبدني و رأسي حافي؟ فأمر له بعمامة[8].

محمد بن إبراهيـــم الآبـــلي (ت:757هـ/1356م):

ارتحل الآبلي إلى مصر، وقد واجهته محنة كبيرة في سفره بحرًا، حيث ركب السّفينة من تونس إلى الإسكندرية و أصيب بمرض أثناء الرّحلة، ممّا تسبّب في عدم تمكنه من استغلال رحلته بشكل جيّد، و ممّن التقى بهم من العلماء بمصر: ابن دقيق العيد، و ابن الرّفعة، و الصّفي الهندي، والتبريزي[9]، ثمّ حجّ و رجع إلى تلمسان، و لازم علماء فاس و مرّاكش و انتصب للتّدريس

---

[1] – التنبكتي، كفاية المحتاج، ص 83– ابن مريم، المصدر السابق، ص 67 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 114 – التنسي، تاريخ بن زيان، ص 126.

[2] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[3] – عمّار هلال، المرجع السابق، ص 244.

[4] – منهم شيوخ الإسكندريّة في النحو: عبد العزيز بن مخلوف بن الجراد، ابن الصفراوي، ابن رواج، أبو زيد بن الزّيات، كما تلقى عـــن المعيـــد اليعمري صاحب ابن بري. انظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج17، ص 175.

[5] – أبو حفص عمر بن أبي اليمن الإسكندري (ت: 734هـــ/1334م)، محدث وفقيه وأصولي وأديب. ابن فرحون، الديباج، ص186.

[6] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 119.

[7] – شاوش رمضان، الغوثي بن دحمان، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[8] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 175.

[9] – ابن خلدون ، التعريف، ص 325-828.

وغصّت مجالسه بالطلبة و انتشر علمه العقلي والنقلي و بثّ آراءه الّتي كانت تبدو غريبة عن علماء ذلك العصر في نفوس و عقول تلاميذه الذّين أخرجوها إلى الوجود من خلال مؤلفاتهم خاصّة عبد الرّحمن بن خلدون[1].

أبو عبد الله المقّري (ت:759هـ/1359م):

ارتحل المقري إلى المشرق، و عند مروره بمصر التقى بالكثير من العلماء منهم: أثير الدّين أبي حيّان الغرناطي و روى عنه و استفاد منه، و شمس الدّين الأصبهاني، وشمس الدين بن عدلان الّذي سمع منه بعض شروحه على كتب المزني، و شمس الدين بن اللّبان، وفقيه المالكيّة أبي محمد المنّوفي، وتاج الدّين التّبريزي[2] وغيرهم، ثمّ انتقل إلى باقي المراكز الثّقافية كمكّة و المدينة و دمشق وبيت المقدس وناظر وأفاد و استفاد، ثمّ رجع إلى تلمسان وانتهت به الرّحلة إلى غرناطة، وممّن تخرّج عنه عبد الرحمن بن خلدون ولسان الدّين بن الخطيب[3].

ابن أبي حجلة التلمساني (ت: 776هـ/1375م)[4]:

ولد بتلمسان سنة 725هـ/1325م وسط عائلة صوفية، وتعلّم على شيوخ المدينة، ثمّ ارتحل رفقة عائلته إلى المشرق فزار الحجاز، واستقرّ بدمشق، ثمّ ارتحل منها إلى القاهرة، و تولى مشيخة الصوفيّة بجامع صهريج منجك[5] بظاهر المدينة في أواخر حياته، وتوفّي بالطّاعون سنة 776هـ/1375م[6]. وكان ابن أبي حجلة شاعرًا وأديبًا، و ألّف أكثر من ثمانين مصنفا في العلوم

---

[1] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 120 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 214- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 202- Bouali, op.cit, p. 8-21.205

[2] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 209-229.

[3] – ابن الخطيب، الاحاطة، ج2، ص 136-165 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 249-254 – النباهي، المصدر السابق، ص 169-170 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 154-164.

[4] – انظر ترجمته في: ابن الأحمر، **مشاهير الشعراء والكتاب في المشرق والمغرب وهو كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان**، تح: محمد رضوان الداية، عالم الكتب، بيروت، 1986، ص41- المقري، نفح الطيب، ج2، ص 337 – المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ج2، القاهرة، 1939، ص 321 – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 383 – ابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص 350 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص 131 ، المقريزي، السلوك، ج3، ص 243 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص 240 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 55- الزركلي، الأعلام، ج1، ص255.

[5] – بناه الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الوزيري سنة 751 هـ/1350م، و جعل به صهريجًا فعرف به و رتب فيه صوفية و خطيبًا للجمعة . انظر: المقريزي، الخطط، ج2، ص 320- ابن طولون، إعلام أهل الورى، ص22.

[6] – عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 173.

الدينيّة و النّحو والآداب[1] أهمها ديوانه الشّعري المسمّى "الصّبابة" والّذي كان موضوعه المحبّة، وقدّمه إلى السّلطان النّاصر حسن[2] سنة (756هـ/1355م)[3].

أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت: 781هـ/1379م) :

يعدّ ابن مرزوق الخطيب من أبرز علماء المغرب الأوسط الّذين كان لهم أثر ملحوظ في مصر نظرًا لمكانته المعتبرة بين العلماء المصريين و عند السّلطان المملوكي و الأمراء المماليك، وكانت له عدّة رحلات إلى مصر التقى خلالها كبار العلماء وتولى الوظائف العلمية بالمدارس المملوكية، فارتحل أوّل مرّة سنة 717هـ/1317م وعمره 15 سنة[4] ، ثمّ ارتحل مرّة ثانية ما بين 724هـ/1324م و 729هـ/1329 جاور خلالها مع والده بمكّة والمدينة مدّة خمس سنوات وزار خلالها القدس و الخليل[5]، وفي سنة 734هـ/1334م ارتحل مع والده للمرّة الثالثة و أقام رفقته بالقاهرة لمدّة سنتين تزود خلالها بالعلوم على كبار الشّيوخ المصريين في العلوم الدينية والتّصوف ومنهم بالقاهرة علاء الدّين القونوي (ت:739هـ/1339م)، تقيّ الدّين محمد الأقنائي (ت:750هـ/1349م)، جلال الدّين القزويني (ت739هـ/1339م) والبرهان الحنبلي (ت:741 هـ/1340م) ومحمد بن نباتة الفارقي (ت:768هـ/1366م) وأبي محمد بن المنير (ت:736هـ/1336م)[6]، وأبي حيّان (ت:745هـ/1344م) وتقيّ الدينّ السّبكي (ت:756 هـ/1355م) وبالإسكندريّة: أحمد المرادي بن العشاب، وأبي القاسم بن علي بن البراء، وناصر الدّين بن منير (ت 737هـ/1337م)[7].

---

[1] – عادل نويهض، المرجع السابق، ص 364-365.

[2] – الناصر بدر الدين أبو المعالي حسن بن محمد بن قلاوون، تسلطن سنة 748 هـ/1348م، و كان المتحدث في الدّولة و صاحب القرار في عهده الأمير شيخو صاحب الخانقاه الشيخونية. ابن أبي حجلة التلمساني، **سكردان السلطان**، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001، ص54- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 257 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 240.

[3] – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص 383 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 403 – جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 129.

[4] – ماريا خيسوس بغيرا، مقدّمة تحقيق المسند، ص 23.

[5] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة 93- ابن فرحون، الديباج، ص307- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 323-324 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 184.

[6] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة 93- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 325 – ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 37.

[7] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة 93- ماريا خيسوس بغيرا، مقدمة تحقيق المسند، ص 41 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 307.

وكان ابن مرزوق الخطيب لّما ارتحل مع والده و كان عمره آنذاك 19 سنة، حمله إلى الشّيخ المتصوف محمّد المرشدي[1] الّذي قدّمه لإلقاء خطبة الجمعة، فاستحسن المرشدي خطبته وسمّاه بالخطيب، و أمره بأنّ يخطب بالجامع الغربي بالإسكندرية[2].

وقد ذاع صيت ابن مرزوق بمصر فعرض عليه العمل كمعيد للدّروس بجامع الحاكم وجامع ابن طولون و بمرتّب مغر، لكن والده الّذي كان يصاحبه في رحلته رفض ذلك[3].

وفي سنة 763هـ/1360م، ارتحل ابن مرزوق إلى مصر بنية الاستقرار[4]، فنزل الإسكندرية ثمّ قدم القاهرة، فأكرمه السّلطان الأشرف شعبان و ولاه الوظائف العلمية والتّدريس بالخانقاه الشّيخونية[5] والمدرسة الصّرغتمشية[6] والنّجمية، وكان له حرمة و قدر كبير عند المماليك، وظلّ ملازمًا لنفع الطلبة حتّى وفاته بالقاهرة سنة 781هـ/1379م، و كان من المرشحين لتولي قضاء قضاة المالكية بمصر[7].

عبد الرّحمن بن خلدون (ت: 808هـ/1406م):

يعد عبد الرّحمن بن خلدون من أبرز الشّخصيات العلميّة المغاربية الّتي قامت بدور كبير في ربط العلاقات و الصّلات الثقافية بين المشرق و المغرب، حيث كانت رحلاته المتعدّدة إلى الأندلس و المغرب الأقصى والأوسط و الأدنى ثمّ إلى مصر قد مكنته من تحديد معالم التفكير لدى المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي و وضع أسس المقارنة بينها و مدى اتّصالها، و يعد فكره امتدادًا لفكر أساتذته خاصّة محمد بن إبراهيم الآبلي.

---

1 – هو صاحب زاوية فوة بين القاهرة و الإسكندريّة في صعيد مصر و قد سبق التعريف به.

2 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 344-355.

3 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 333.

4 – كان للظروف السياسيّة دور كبير في دفع ابن مرزوق الخطيب إلى الارتحال و الاستقرار بمصر. ابن مرزوق، المجموع، ورقة 94- 95- ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 157-162 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 185 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص 309.

5 – هي الخانقاه التي بناها الأمير شيخو و تسمى أحيانا بالمدرسة و قد سبق التعريف بها.

6 – تقع هذه المدرسة خارج القاهرة بجوار جامع ابن طولون، بناها الأمير صرغتمش الناصري من مماليك الناصر محمد بن قلاوون (ت: 759 هـ/1359م) سنة 756-757 هـ/1356-1357م، و كانت من أبدع المباني و أحسنها. المقريزي، الخطط، ج2،ص 403-405 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج6، ص 242 – حسن عبد الوهاب، المرجع السابق، ج1، ص 160.

7 – ابن خلدون، التعريف، ص 848 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 186-187 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 143

وكان ابن خلدون قد دوّن زبدة فكره في كتابه المقدّمة بالمغرب الأوسط[1] ، ثمّ قام برحلته إلى الأقطار الإسلامية مشرقا و مغربًا، و لما حلّ بمصر سنة 784هـ/1382م[2]، اتّصل بالسلطان الظّاهر برقوق الّذي أكرمه وولاّه التّدريس بالمدرسة القمحية، كما درّس بالمدرسة البرقوقية والصّرغتمشية[3]،و في الخانقاه البيبرسية، و درّس مدّة بالجامع الأزهر[4]، و تولّى قضاء قضاة المالكية بالدّيار المصرية[5].

وكانت حلقات ابن خلدون العلميّة بالمؤسّسات التعليميّة بمصر قد مكّنت الطلاّب المصريين والوافدين من الأقطار الإسلاميّة من الاستفادة من أفكاره و علومه، و تمكن ابن خلدون من غرس أسس مناهج عدّة علوم في عقول الطلبة أمثال المقريزي[6]، فطبقوها بشكل لم يطبّقه حتّى هو نفسه في كتاباته، فتمّ بذلك انتقال عدّة نظريات عقليّة من المغرب الأوسط إلى مصر عن طريق عبد الرّحمان بن خلدون خاصة في مجال تفسير التاريخ و فلسفته[7].

أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمد بن الإمام (ت845 هـ/1443م):

درس بتلمسان و تمكن في علوم البيان و التّصوف و الطّب و الآداب، و قد أثنى عليه كلّ من السّخاوي و المقريزي[8]، ارتحل إلى القاهرة و زار القدس، و تزاحم عليه النّاس بدمشق، و هو أوّل من أدخل بعض الكتب المشرقية إلى بلاد المغرب منها كتاب شامل بهرام[9] و شرحه على المختصر[10]، و حاشية التفتازاني على العضد و شرح ابن هلال على ابن الحاجب الفرعي

---

1 – دوّن ابن خلدون مقدمته في مغارة بني سلامة بتاوغزوت قرب جبل بني راشد. ابن خلدون، العبر، ج7، ص 335.

2 – ابن خلدون، التعريف، ص 1058.

3 – ابن خلدون،التعريف، ص 1121.

4 – ابن خلدون،التعريف، ص 1138– ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج7، ص208– التنبكتي، المصدر السابق، ص170.

5 – ابن خلدون، التعريف، ص 1223– القرافي، توشيح الديباج، ص118.

6 – قاسم عبده قاسم، المقريزي، **مجلة العربي**، ع 566، يناير 2006، ص 154.

7 – الشوكاني، البدر الطالع، ج1، ص 237– مخلوف، المصدر السابق، ص228– سعيد محمد رعد، دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخيّة العمرانية عن العمران البشري، و أثر ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، 1974، ص 533.

8 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 220-221 – السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص 74 التنبكتي، المصدر السابق، ص 305 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 254– ابن القاضي، درة الحجال، ج2، ص289– القلصادي، المصدر السابق، ص108– القرافي، توشيح الديباج، ص233– ابن القاضي، لقط الفرائد، ص250 .

9 – ألفه أبو عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عوض قاضي القضاة بمصر (ت: 805هـ/1402م) وكان أحد العلماء الصلحاء، وكتابه الشامل من كتب الفقه المالكي. ابن حجر، رفع الإصر، ص108– السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص19– القرافي، توشيح الديباج، ص83– التنبكتي، كفاية المحتاج، ص109– التنبكتي، المصدر السابق، ص101.

10 – هو شرح بهرام على مختصر الشيخ خليل في الفقه المالكي. التنبكتي، المصدر السابق، ص101.

وغيرها من الكتب الّتي لم تكن معروفة و متداولة بالمغرب[1]، وممّن أخذ عنه بمصر الشيخ تقيّ الدّين الشّمني شارح المغني[2].

قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ/1450م):[3]

درس بتلمسان ثمّ ارتحل إلى مصر سنة 830هـ/1430م ، و حضر إملاء ابن حجر العسقلاني، و استجاز ابن حجر فأجازه، و حضر درس البساطي (ت: 842هـ/ 1440م) ، و انتفع بهما كثيرًا، وعاد إلى تلمسان بدرجة علمية كبيرة ما أهّله لتولّي التّدريس، وتخرّج به الكثير من علماء تلمسان أمثال ابن زكري و ابن مرزوق الكفيف و غيرهما.

و من العلماء المصريين الذين ارتحلوا إلى المغرب الأوسط:

عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشيخي الأصل الملطي ثمّ القاهري الحنفي (ت:920هـ/1514م)[4]:

ولد عبد الباسط بن خليل سنة 844هـ/1440م بملطية[5] ونشأ بها و بحلب و دمشق، الّتي قرأ فيها القرآن و بعض القراءات، ثم حفظ منظومة النّسفي و الكتر و نصف المجمع[6]، و أقرأه

---

[1] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

[2] – هو تقي الدين أبي العبّاس أحمد القسنطيني التميمي الحنفي، كان إمام النحاة في زمانه، برع في العلوم الدينية، ولد بالإسكندرية و قدم القاهرة و أخذ بها عن الشمس البساطي و الولي العراقي و أبي الفضل بن الإمام التلمساني، توفي سنة 872 هـ/1468م، و من مؤلفاته: شرح المغني لابن هشام. انظر: السيوطي، بغية الوعاة، ج1، ص375- القلصادي، المصدر السابق، ص 151 – عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 218.

[3] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 147-149 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 223-224 – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 181 – القلصادي، المصدر السابق، ص 106-107 – القرافي، توشيح الديباج، ص169- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 255 – الحفناوي، المرجع السابق، ص 85.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27 – السيوطي، نظم العقيان، ص 122 – محمود بوعياد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 9 هـ، **الأصالة**، ع 24، 1975، ص 124-135 – زكي محمد حسن، **الرحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 172 – أوغناطيوس يوليانوفيتش كرا تشكو فسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ج1، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، القاهرة، 1963، ص445، ص 445.

[5] – ملطية: من مدن الشام، بناها الإسكندر، و بنى جامعها الصحابة بعد الفتح. اليعقوبي، المصدر السابق، ص 205 – الحموي، معجم البلدان، ج5، ص 192.

[6] – كانت هذه الكتب من المصنفات الأساسية لدراسة المذهب الحنفي. القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص473- 474.

أبوه[1] الكثير، وحضر دروس قوام الدّين و حميد الدّين النّعماني و غيرهما من علماء الحنفية، و قرأ على جماعة من علماء الرّوم كالعلاء الرّومي قاضي قضاة العسكر بدمشق، و البرهان البغدادي في مدينة طرابلس الشّام، و قدم القاهرة و لازم النّحم القرمي في العربية و المعاني والبيان، والشّرف يونس الرّومي نزيل الخانقاه الشّيخونية في المنطق والحكمة و الكلام، والمحيوي الكافياجي الّذي استفاد منه كثيرًا، وأجاز له الشّمني و ابن الدّيري و آخرون[2].

ومال عبد الباسط إلى دراسة علم الطّب، و لما كانت بلاد المغرب لا تزال مشهورة بهذا العلم قرّر أن يرتحل للأخذ عن كبار علماء الطّب بها عبر حواضرها[3].

وتحت ستار التّجارة غادر الإسكندرية على ظهر سفينة للتّجّار الجنويين سنة 866هـ/1462م، ونزل طرابلس ثمّ قصد تونس، الّتي وصلها في يوم الأربعاء 12 ذي القعدة 866هـ/1462م بعدما بقوا في البحر ثلاثا وثلاثين يومًا[4]، ثمّ توجّه إلى بجاية في ذي القعدة 868هـ/1464م واجتمع بالشيخ أبي القاسم محمّد المشدالي[5] وأخذ عنه الكثير[6] ثمّ دخل مدينة الجزائر وتبرّك بالشّيخ الوليّ عبد الرّحمن الثّعالبي وسمع بعضا من فوائده وسأله بعض الأسئلة التي كانت تشكل عليه فأفاده بإجابتها كما رأى تفسيره وقرأ عليه من أوائله بعض السّطور وأجازه[7]، ثمّ قصد تلمسان و مرّ في طريقه إليها بمدينة مازونة و قلعة هوّارة و البطحاء و دخل عاصمة الزيانيين أواخر ذي القعدة 868هـ/1464م[8]، و صادف وصوله إليها مناسبة عدد النّحر أو عيد الأضحى فحضر الاحتفال في المصلّى بظاهر المدينة مع السّلطان المتوكل محمد بن أبي ثابت[9]. وفي المحرم سنة 869هـ/1465م قصد عبد الباسط العبّاد بظاهر تلمسان وزار ضريح القطب أبي

---

[1] – أبوه خليل بن شاهين الظاهري (ت: 873هـ/ 1470م)،كان من كبار أمراء المماليك و أعلام رجال الإدارة، كما كان أديبا بليغا وشاعرا ومؤرخا، و هو صاحب كتاب زبدة كشف الممالك و بيان الطرق و المسالك. السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص195– ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص258– جرجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص 273.

[2] – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27.

[3] – السخاوي، المصدر نفسه، ج4، ص 27 – كرا تشكو فسكي، المرجع السابق، ص 445 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 16.

[4] – عبد الباسط بن خليل، **رحلة عبد الباسط**، نشر و ترجمة إلى الفرنسيّة روبرت برونشفيك في كتـــاب Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XV siècle ABDALABA Sit B.HALILET ADORNE, LAROSE éditeurs, Paris, 1936, p.17.

[5]- أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم المشدالي البجائي عالم بجاية و مفتيها وخطيبها (ت 866 هـ/1462م)، مخلوف، المصدر السابق، ص263.

[6] – عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص 41.

[7] – عبد الباسط،نفسه، ص 41

[8] – عبد الباسط ، نفسه، ص41.

[9] – هو أبو عبد الله محمد المتوكل الزياني، تولى الحكم سنة 866 هـ حتى 873 هـ /1469م. التنسي، تاريخ بني زيان، ص 255.

مدين شعيب واجتمع بالشيخ أبي عبد الله محمد بن العبّاس[1] وقال عنه: "عالمها و خطيب جامع العبّاد تغمّده الله، فوجدته بحرًا في الفنون العلميّة آية في ذلك، فأنس بي ثمّ سمعت من خطبته الّتي شنّف بها الأسماع و موعظته الّتي بها الانتفاع وتردّدت إليه بعد ذلك وحضرت كثيرًا من دروسه الحافلة في كثير من الفنون العلمية واستنفذت الجمّ من فوائده في مدّة ستّة شهور، وكان أجلّ علماء تلمسان في عصره ذلك وله من السّن نحو الثّمانين سنة أو جاوزها مع تمتّعه بحواسّه وسلامة بدنه"[2].

كما التقى عبد الباسط من علماء تلمسان قاضي الجماعة بها الشيخ أبي عبد الله محمد العقباني و أخيه أبي سالم إبراهيم[3] خطيب الجامع الكبير و إمامه الشّيخ محمد بن مرزوق الكفيف[4]، والشيخ ابن زكري مفتي تلمسان، و الشريف يحي بن أبي الفرج[5] قريب الشريف التلمساني قاضي غرناطة[6].

كما التقى بالطّبيب محمد بن علي بن فشوّش أحد أطبّاء تلمسان، و سمع من فوائده و حضر دروسه و أجازه[7]، و لازم في الطّب الطّبيب موشي بن سمويل بن يهودا الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المعروف بابن الأشقر و قال عنه: " لم أسمع بذمّي و لا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم و في علم الوقف والميقات وبعض العلوم القديمة، مع التعبّد الزّائد في دينه على ما يزعمه ويعتقده، و هو في الأصل من يهود الأندلس و ولد بمالقة قبل 820هـ /1417م وأخذ

---

[1] – هو محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العبادي، أخذ عن ابن مرزوق الحفيد و أبي الفضل العقباني و أخذ عنه الحافظ التنسي و ابن مرزوق الكفيف و السنوسي و ابن زكري، توفي سنة 871 هـ/1469م. ابن مريم، المصدر السابق، ص 223 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 264 – القلصادي، المصدر السابق، ص 109– التنبكتي، المصدر السابق، 318– السخاوي، الضوء اللمع، ج1ن ص322.

[2] – عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص 43–44.

[3] – إبراهيم بن قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني قاضي الجماعة ولد سنة 808 هـ/1406م و توفي سنة 880 هـ/1478م. السخاوي، الضوء اللامع، ج1، ص117– ابن مريم، المصدر السابق، ص 57–58 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 265.

[4] – أبو عبد الله بن محمّد بن أحمد بن الخطيب بن مرزوق الكفيف (ت 901 هـ/1498م)، تفقه بعلماء تلمسان و مصر كأبي الفضل العقباني و أبي زيد الثعالبي و بن حجر، و أخذ عنه الكثير من علماء تلمسان. المقري، نفح الطيب، ج6، ص 347 – التنبكتي، المصدر السابق، ص330– ابن مريم، المصدر السابق، ص 249 – مخلوف، المصدر السابق، ص 268.

[5] – قاضي الجماعة أبو جعفر أحمد بن أبي يحي الشريف التلمساني (ت 895 هـ1493م). ابن مريم البستان، ص 45 – مخلوف، المصدر السابق، ص 267– السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص243.

[6] – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44.

[7] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 246 – محمد بن عمرو الطّمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر و الخارج**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1983، ص 230.

عن أبيه وغيره، وشهر في صناعة الطّب و انتقل إلى تلمسان فقطنها و قصده الكثير من الفضلاء للأخذ عنه، لازمته مدّة و أخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطّب و غيره و أجازني"[1].

وفي 24 ربيع ثاني سنة 869هـ/24 ديسمبر 1464م اتجه عبد الباسط نحو مدينة وهران ووصلها بعد ثلاثة أيام و أقام بالقرب من زاوية الشّيخ إبراهيم التّازي و التقى بكبار علماء المدينة أمثال الشيخ أبي العبّاس أحمد بن العبّاس المالكي مفتي وهران، و الشّيخ سليمان الحميدي[2].

وفي وهران دائما حضر عبد الباسط وليمة في منـــزل خطيب المدينة بمناسبة ختم ولده للقرآن وحضرها جماعة من أعيان المدينة و أهل البلد، و حصّل الشّيخ عبد الرّحمن بن عزّوز إمام الزّاوية التّازية و فقيه المكتب الّذي أنشأه الشيّخ المذكور و هو فقيه الصّبيّ الّذي أتم حفظ القرآن كمية كبيرة من المال قدّرها عبد الباسط بمائة دينار ذهبا[3].

ثمّ توجه من وهران إلى تلمسان في شهر رمضان 869هـ/1465م و نزل في بيت صاحب الأشغال عبد الرحمن بن النّجّار و كان له نفوذ كبير في الدّولة الزيانية، وسأله بن النّجّار أن ينظم قصيدة يمدح فيها السّلطان الزّياني يوم عيد الفطر فأجابه عبد الباسط ونظم قصيدة مكوّنة من أربعين بيتًا وبعثها إليه، فدعاه بن النّجّار إليه و رفع من شأنه وشكره على ذلك وكتب له ظهيرًا بمسامحته في كلّ ما كان يتصرّف فيه من البضائع لتسهيل تجارته، و أمر بإقامة نزل له بوهران إلى حين سفره من المغرب الأوسط و رتّب له طعامًا، و سأله عن مواضع من القصيدة أشكلت عليه فأجابه عنها و باحثه في ذلك، فقال عبد الباسط عنه: " فوجدته ممّن ينسب للعلم والفضيلة التامّة و معرفة الأدب و نقد الشّعر"[4]، ثم أمر بأن تكتب القصيدة بخطّ جيّد و أن يقرأها إنسان من أهل تلمسان ممّن له حسن الصّوت حتّى ينشدها بين يدي السّلطان الزياني المتوكّل في يوم العيد، و ممّا جاء فيها:

أعني المليك الّذي شاع مكارمــه * من آل زيّان أقيال أمــاجيـــــد
هم الملوك و أبناء الملوك و مـــن * يقل سوى ذا فذاك القول مردود[5].

---

[1] – عبد الباسط بن خليل، المصدر السابق، ص 44 – و ص 107 من النّص الفرنسي.
[2] –عبد الباسط، المصدر السابق، ص 45 – Brunshvie, op.cit, p.110.
[3] – عبد الباسط، المصدر السابق، ص 47.
[4] – عبد الباسط خليل، المصدر السابق، ص 48.
[5] – عبد الباسط بن خليل ، المصدر السابق، ص 49.

ثمّ قصد عبد الباسط الأندلس و جال في بعض المدن، ثمّ عاد إلى وهران و استقرّ بها مدّة، وسافر عائدا إلى مصر سنة 871هـ/1467م[1]، و قد بلغت شهرته الآفاق كفقيه حنفي وكخبير في علم الطب، و زهد في آخر حياته[2] و توفي سنة 920هـ/1514م، و قد أثنى عليه علماء عصره كشمس الدّين السّخاوي الّذي سمع من نظمه و فوائده[3].

ثـــالثـــا: دور الأندلسيين:

شهد المغرب الأوسط و مصر تدفق الكثير من الأندلسيين لعدّة أسباب أهمها: تدهور الحالة السّياسية في مملكة بني نصر الّتي كانت تقاوم حركة الاسترداد من أجل البقاء في الجزء الجنوبي من الأندلس[4] ممّا دفع بسكان هذه المملكة إلى البحث عن أماكن أكثر أمنا و استقررًا بعد تساقط مدنهم الواحدة تلوى الأخرى، تحت ضربات النصارى، فاضطرّوا إلى الانسحاب و ترك مواطنهم والهجرة إلى البلدان الإسلاميّة الأخرى.

كما كان شغف بعض أهل العلم بالرّحلة في طلب العلم دافع مهم إلى مغادرة الأندلس والالتقاء بالعلماء في بلاد المغرب و مصر و الأخذ عنهم، خاصّة و أن غرناطة كانت تفتقر إلى المؤسّسات التعليمية الّتي كان عليها تقديم العلوم و المعارف للطّلبة، و لم تكن بها إلاّ مدرسة واحدة هي المدرسة النصريّة[5]، وكان الأندلسيون يقومون بالتّعليم في المساجد على الأخص[6].

---

[1] – كراتشكوفكي، المرجع السابق، ص 446.

[2] – عبد الباسط، المصدر السابق، ص 48.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 27.

[4] – عادل بشتاوي، المرجع السابق، ص 91-92 – واشنطون إيرفينج، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلاميّة بالأندلس**، تر: إسماعيل العـربي، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 33 و ما يليها – سالم العبادي، **البحرية الإسلاميّة في المغرب و الأندلس**، ص 303-310 – محمود السيد، **تاريخ العرب في بلاد الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2003، ص 102-113 – عبادة كحيلـة، **المغـرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، المطبعة الإسلاميّة الحديثة، القاهرة، 1997، ص 267-286.

[5] – بنيت سنة 1349م/749هـ من طرف أبي الحجاج يوسف النصري. Dhina, op.cit, p.319

[6] – حسن عزوزي، المرجع السابق، ص 247.

كما كانت فريضة الحجّ من بين الدّوافع الّتي حدت بالأندلسيين إلى الارتحال إلى بلاد المشرق مرورا ببلاد المغرب، و كانوا يستغلّون تلك الفرصة للالتقاء بالعلماء ونسج العلاقات الثّقافية بين الأقطار الإسلامية، و إفادتهم بعلومهم و فنونهم[1].

وشملت حركة الهجرة الأندلسية الكثير من الفئات الاجتماعية، و كان منهم الطّلبة والعلماء و أصحاب الحرف و الصنّاع و غيرهم، حيث انتقل هؤلاء إلى حواضر المغرب و المشرق واستقروا في المدن أو البوادي و نشروا علومهم و حرفهم و فنونهم[2].

وقد اختار الكثير من الأندلسيين المغرب الأوسط كموطن جديد بعد مغادرة مدنهم الأصلية في الأندلس، و فضّلوا الاستقرار في تلمسان وهنين ووهران و مستغانم[3]، خاصّة و أنّ هذه المدن كانت بها جاليات أندلسيّة منذ القديم وكانت الموانئ منها تقابل الموانئ الأندلسيّة كألمرية[4] ، الّتي كانت تقابل هنين، ومستغانم الّتي كانت تقابل دانية[5]، و ساعد على ذلك وجود علاقات دبلوماسيّة بين ملوك بني زيان و بني الأحمر تبادلوا خلالها الرسائل[6] والمساعدات[7].

ومن الأندلسيين الذين اختاروا تلمسان مستقرًّا لهم و لنشاطهم العلمي و العملي نذكر الأديب الكاتب أبا بكر محمد بن داود بن خطّاب المرسي الّذي وفد على يغمراسن بن زيان فأكرمه هذا الأخير و جعله صاحب القلم الأعلى بديوان الإنشاء[8]، وأسرة بني وضّاح الّتي وفدت من شرق الأندلس و استعان يغمراسن بأفرادها في تسيير شؤون دولته[9]، و أسرة بني ملّاح الّتي وفدت من قرطبة و تولى أفرادها مناصب هامّة في الدّولة الزيانية كالحجابة والوزارة[10] .

---

1 – ابن عباد الرندي، المصدر السابق، ص 70.

2 – المقري، نفح الطيب، ج4، ص 4-5.

3 – مستغانم: مدينة قديمة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين وكانت أرضها تنتج القطن. البكري، المصدر السابق، ص69.

4 – ألمرية كانت من أهم مدن مملكة بني الأحمر و هي في وسط جغرافي في جاف يشبه الصحراء و كانت مشتهرة بصناعة الحرير. الإدريسي، المصدر السابق، ص 289-290- عبد العزيز سالم، **مدينة ألمرية قاعدة أسطول الأندلس**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1967.

5 – دانية: مدينة على البحر كانت محصنة و بها كروم كثيرة و كانت مقصودة من طرف السفن و كان بها دار لصناعتها. الإدريسي، المصدر السابق، ص 282.

6 – ابن خطاب، فصل الخطاب، ورقة 10- 11- المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 249-261 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص 170، 181، 280، 307.

7 – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 57-58.

8 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 127 – ابن الخطيب، الإحاطة، ص 275.

9 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 163.

10 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 205-206 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 217-218.

وقام السّلطان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول باستقدام المهرة من الصّنّاع الأندلسيين لبناء منشآته الّتي أقامها بمدينة تلمسان[1].

وفي الأيام الأخيرة لمملكة بني الأحمر هاجرا الكثير من الأندلسيين إلى تلمسان و مدن المغرب الأوسط منهم القاضي أبي عبد الله بن الأزرق (ت: 895هـ/1494م) صاحب كتاب "روض الأعلام بمنـــزلة العربيّة من علوم الإسلام"[2]، والشاعر المتفقه أبي عبد الله بن محمد بن الحداد الوادي آشي ثمّ الغرناطي[3]، وعلي بن أحمد بن داود البلوي الغرناطي(ت 896هـ/1493م) الذي كان عالما في العربية والفقه وتولى الإقراء والإمامة والخطابة والتدريس في بلده، ثم انتقل مع أولاده إلى تلمسان بعد سنة 890هـ/ 1488م[4].

هذا واضطرّ بعض من الأندلسيين إلى الهجرة من تلمسان باتجاه المدن المغاربيّة و المشرقية الأخرى خاصة مصر بسبب اضطراب المسالك و فقدان الأمن ببلاد المغرب الأوسط خلال القرن التاسع الهجري/15م[5].

وكان للمماليك علاقات متينة مع الأندلسيين[6]، ممّا سمح لهؤلاء بحُريّة التنقل بالمدن المصريّة عند مرورهم بها للحجّ، بل فضّل بعضهم الاستقرار بها لمزاولة نشاطهم العلمي، وكان أبرز علماء العصر المملوكي من الأندلسيين. ومن العلماء الّذين ارتحلوا من الأندلس إلى مصر وكان لهم صيت وذكر:

أبو حيان الغرناطي النّحوي (ت: 745هـ/1344م)[7]:

هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، أثير الدين أبي حيان الغرناطي النّفزي، قرأ القرآن بالروايات و سمع الحديث بالأندلس و إفريقيّة والإسكندريّة ومصر والحجاز وحصل

---

[1] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 140-141.

[2] – المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 71، ج3، ص 318- مخلوف، المصدر السابق، ص261- 262.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج5، ص 391.

[4] – التنبكتي، المصدر السابق،ص210- مخلوف، المصدر السابق، ص273.

[5] – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 27.

[6] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص 106-115 – المقري، نفح الطيب، ج7، ص 368-369 – ج2، ص 254-257.

[7] – لسان الدين بن الخطيب، **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963، ص81- البلوي، تاج المفرق، ص227- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص122- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج5، ص70- الصفدي، نكت الهميان، ص280- 284- ابن قنفذ ، الوفيات، ص55- الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص288- 291- ابن العماد، شذرات الذهب، ج6، ص145-147- مخلوف، المصدر السابق، ص213.

الإجازات من علماء المشرق والمغرب، وهو ناظم وناثر و وشّاح، و مفسّر و محدّث، وكان له معرفة بتراجم الرّجال خاصة من المغاربة، وكان يرغّب النّاس في مصنفات ابن مالك. درّس بالقبّة المنصوريّة وأقرأ بالجامع الأقمر، وألّف عدّة مؤلفات منها: البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب، شرح كتاب سيبويه، تحفة الندس في نحاة الأندلس، ارتشاف الضّرب من لسان العرب، كتاب الإدراك للسان الأتراك، زهو الملك في نحو الترك[1]. وكان أبو حيان إمام النّحاة بمصر، و إليه انتهت رئاسة النّحو بها[2].

أبو الحسن الأنصاري الوادياشي (ت: 724هـ/1324م):

هو أحمد بن محمد بن عبد الله نور الدين الأندلسي و الد سراج الدّين أبي حفص عمر بن الملقّن صاحب طبقات الأولياء، و هو من أحواز غرناطة، ترك الأندلس طلبا للأمن و الرّزق، وكانت ثقافته تتّسع لعلوم القرآن و القراءات و علوم اللّغة و النّحو، و قد اتجه في رحلته إلى بلاد التكرور و أقرأ بها القرآن و علم النّحو، ثمّ ارتحل إلى مصر أوائل القرن 8هـ/14م، و أخذ عنه جملة من العلماء المصريين كالإسناوي صاحب طبقات الشّافعية (ت: 772هـ/1370م)، و صاحب ابن جماعة[3].

الشيخ الإمام أبي عبد الله الشاطبي المقرئ نزيل الإسكندرية (ت 672هـ/1273م)[4]:

قرأ بالأندلس وبرع في علم القراءات والتّفسير، وألّف تفسيرا صغيرا.

أبو الحسن بن سعيد المغربي (ت 685هـ/1287م) :

الّذي يرجع أصله إلى أحواز غرناطة، وكان مصنّفا أديبًا، و اشتهر برحلته و تجوّله في الأقطار، و قد زار دول المغرب و مصر و الشام وبلاد فارس والتقى كبار العلماء و أخذ عنهم وصنّف كتابا عن رحلته سماه "النّفحة البدرية في الرّحلة الملكية"[5].

---

[1] – الصفدي، نكت الهميان، ص 280-284.

[2] – ابن العماد، شذات الذهب، ج6، ص 145-147.

[3] – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 100 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 28-29.

[4] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 243.

[5] – المقري، نفح الطيب، ج3، (تح: عباس)، ص 38- مخلوف، المصدر السابق، ص197. أحمد محمد الطوخي، **مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997، ص 326.

شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن إسماعيل الرّاعي الغرناطي (ن 855 هـ/1454م) :

الّذي رحل إلى مصر وأخذ عن ثلّة من علمائها كابن حجر العسقلاني واستقرّ بالقاهرة[1].

ومن بين أشهر العلماء الذين ارتحلوا من الأندلس إلى تلمسان و منها إلى مصر:

أبو الحسن علي القلصادي (ت: 891 هـ/1487 م) [2]:

وهو علي بن محمّد القرشي البسطي، أصله من الأندلس، و قام برحلة في المغرب الإسلاميّ و بلاد المشرق و أخذ عن جملة من العلماء، أمثال: ابن مرزوق الحفيد و أبي عبد الله محمد الشريف التلمساني و أبي عبد الله محمد بن النّجار، و ابن زاغو و قاسم بن سعيد العقباني[3] بتلمسان، و أبي العبّاس القلشاني و أحمد المنستيري و أبي عبد الله الدهان الطبيب بتونس[4]،و زين الدين طاهر النّويري المالكي وعلم الدّين الحصني الشّافعي بالقاهرة، و كذلك بن حجر العسقلاني وجلال الدين المحلي و قاسم النّويري و تقي الدّين الشّمني الحنفي[5].

وكان القلصادي يعقد الحلقات العلميّة و يتولى الإقراء، وقد انثال عليه طلبة العلم لما حل بتلمسان، و من الّذين أخذوا عنه أبو عبد الله محمد بن يوسف السّنوسي الّذي قرأ عليه جملة من الحساب والفرائض وأجازه القلصادي في جميع ما يرويه[6].

كما استفاد منه طلبة القاهرة لما عاد من أداء مناسك الحجّ و أقام بمصر، فقرأ عليه النّاس وكتبوا مصنفاته، وكان مع ذلك يتردد إلى العلماء المصريين ويدرّس العقليات على وجه الخصوص[7].

---

[1] – السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص 203 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص 278– التنبكتي، المصدر السابق، ص310– مخلوف، المصدر السابق، ص248.

[2] – القلصادي، المصدر السابق، ص 82-168 – القرافي، توشيح الديباج، ص132– ابن القاضي، لقط الفرائد، ص270– ابن مريم، المصدر السابق، ص 141 – السيوطي، نظم العقيان، ص 131 – السخاوي، الضوء اللامع، ج5، ص 14 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 209 – المقري، نفح الطيب، (تح: عباس)، ج5، 692– مخلوف، المصدر السابق، ص261.

[3] – القلصادي، المصدر السابق، ص 96-109.

[4] – نفسه، ص 115-122.

[5] – نفسه، ص 129، 149-156.

[6] – محمد أبو الأجفان، مقدمة تحقيق رحلة القلصادي، ص 33.

[7] – السخاوي، الضوء اللامع، ج6، ص 15.

وقد ترك القلصادي مجموعة من المؤلفات في الحساب والفرائض والفقه والنحو والعروض والمنطق و التراجم و القراءات و الحديث[1] منها: عتية أولي الألباب في شرح كشف الجلباب، كشف الأسرار في علم الغبار، كشف الجلباب عن علم الحساب، شرح الأرجوزة الياسمينية، شرح مختصر خليل، شرح جمل الزجاجي، شرح إيساغوجي، شرح حكم ابن عطاء الله[2].

وتعد رحلته الّتي دَوَّنَ فيها مشاهداته و عرّف فيها بالعلماء الّذين التقى بهم من أهم مصادر التراجم والرحلات.

وكان الأندلسيون الّذين يفدون مصر يصفون بلاد المشرق و مدى تقدمها الثّقافي والعلمي في مراسلاتهم إلى المغاربة[3]، و بذلك ساهموا في جعل مصر تستقطب أكبر عدد ممكن من طلبة العلم و العلماء من المغرب عموما، ممّا كوّن جوّا ثقافيّا مميزا جعل من الدّولة المملوكيّة ملتقى لأصحاب الفكر و الثقافة، و فيها كان يتم التواصل و التبادل الثقافي.

كما كان طلبة العلم الأندلسيون الّذين أخذوا العلم عن علماء المغرب الأوسط و مصر معًا، يمزجون من خلال ذلك بين طرائق و مناهج و علوم المغاربة و المصريين، فأتاح لهم ذلك إمكانيّة المقارنة واستخلاص مدى تقدم هذه المناهج في البلدين والدّمج بينها لتصير مناهج موحدة.

كما نقل الأندلسيون إلى المدن التي استقرّوا بها في المغرب الأوسط ومصر، علومهم و فنونهم وصنائعهم و مدارسهم في العلوم الدينية و الآداب والموشّحات، و ساهموا في الحركة الفكرية عن طريق التّدريس و تولي الوظائف العلميّة بالمدارس والمؤسّسات التّعليمية بالبلدين وكوّنوا جسر تواصل ثقافي بينهما[4].

[1] – أبو الأجفان، مقدمة، ص 40-47.

[2] – ابن مريم، البستان، ص 142-143 – التنبكتي، المصدر السابق، ص 210.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج3، ص 4-5.

[4] – الغبريني، المصدر السابق، ص 36-40 – الطمار، الروابط الثقافيّة، ص 177 – عبد العزيز سالم، قرطبة، ج2، ص 62 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 28 – إبراهيم بلحسن، المرجع السابق، ص 197.

الفصل الرابع

مظاهر العلاقات الثقافية وأثرها بالبلدين

تمهيـــد

أولا: دينيا وروحيا

1. انتشار المذهب السني
2. انتشار عقيدة الأشاعرة
3. انتشار ظاهرة التصوف والطرق الصوفية
4. الاعتقاد في الأولياء والمشايخ

ثانيا: علميا وفنيا

1. بناء المدارس
2. تطور مناهج التعليم وطرق التدريس
3. الإجازات العلمية
4. حركة الجدل والمناظرات العلمية
5. الوراقة والنسخ وتبادل الكتب
6. فنيا وعمرانيا

تمـــهيـــــد:

توطّدت العلاقات بين المغرب الأوسط ومصر بفعل المراسلات بين ملوك بني زيان وسلاطين المماليك، و عن طريق رحلات المغاربة إلى مصر بمختلف فئاتهم من الطّلبة و العلماء والحجيج، والتقائهم في المدن المصرية والحجازية و الشّامية، ما مكن من نسج علاقات متنوّعة بينهم و بين المصريين، ونتيجة لذلك حدث تبادل ثقافي واسع النطاق شمل الميادين الدّينية والرّوحية والعلمية و الفنية بمختلف جزئياتها و مركباتها، وكان هذا التّبادل من الطّرفين في عملية أخذ وعطاء وتأثير وتأثّر من الجانبين.

وقد حاول بعض المؤرخين الغربيين حصر مظاهر العلاقات الثّقافية بين المغرب والمشرق عمومًا في الاستفادة الّتي تلقاها المغاربة من المشارقة و المتمثّلة حصرًا في الدّيانة الإسلامية والتّعريب[1] ، وإن كان هذا صحيحًا في الفترات الأولى من تاريخ المغرب الإسلامي نظرا للضّرورة الّتي أملتها مهمّة الفاتحين و هي نشر الإسلام و اللّغة العربية[2] ، إلاّ أنّ الأمر اختلف في مرحلة ما بعد الفتح و قيام الدّول المغاربية و مساهمتها في إثراء الحضارة الإسلامية، وأصبح المشارقة يأخذون من المغاربة بقدر ما كان المغاربة يأخذون منهم من العلوم و التّأثيرات الثّقافية و الفنية المختلفة.

---

[1] - جورج مارسي، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، تر: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف،الإسكندريّة، 1991، ص 44-54.

[2] - أبو زيد الدباغ، **معالـــم الإيمـــان في معرفة أهـــل القـــيروان**، ج1، تح: ابراهيم شبوح، مكتبة الخـــانجي، القـــاهرة، 1968، ص 71-180- محمد مخلوف، المصدر السابق، ج2،ص 98 – عبد الحميد حاجيات، تلمسان مركز الإشعاع الثقافي، المرجع السابق، ص 36-37 – عبد الحميد سعد زغلول، **تاريخ المغرب العربي**، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ص 262-263.

أوّلا: دينيـــا و روحيـــا

1 – انتشار المـــذهب السّـــني:

شهد المغرب الأوسط و مصر خلال عهد بني زيان والمماليك حركة دينيّة نشيطة، تميّزت بحدوث انقلابات في الاتجاه المذهبي السّائد بالنّسبة للزيانيين، ومواصلة جهود الأيوبيين في تدعيم المذهب السّني بالنسبة للمماليك.

وعمل بنو زيان على إرجاع مكانة المذهب المالكي إلى سابق عهده قبل مجيء الموحدين، الّذين اتبعوا سياسة مذهبيّة رسم معالمها محمد المهدي بن تومرت، و تتلخّص في الاعتناء بالمذهب الظاهري[1] على حساب المذهب المالكي، إضافة إلى فكرة الإمامة و المهدوية و العصمة[2] .

وكان الموحدون قد عملوا على تحويل المغاربة بشتى الطّرق عن المذهب المالكي الّذي كان سائدًا أيام المرابطين، و أمروا بالاجتهاد و العودة إلى الأصول و نبذ علم الفروع[3] ، و استخدموا المناظرات مع الفقهاء المالكية و اللغة البربرية لزرع عقيدتهم في أعماق المجتمع البربري، و ادعاء بعض الكرامات، و استعمال المعارك الكلاميّة و المسلّحة لنشر الدّعوة الموحدية و بث أفكارها[4].

ولما قامت دولة بني زيان بالمغرب الأوسط عمل حكامها على تدعيم أركان المذهب المالكي عن طريق إقامة المؤسّسات التّعليمية و استقدام كبار فقهاء المالكية للتدريس بها، فاستقدم يغمراسن بن زيان الفقيه المالكي أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي ليدرّس بالجامع الكبير بتلمسان[5]، و استقدم السّلطان أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل الفقيه أبا عمران موسى المشدالي للتّدريس في المدرسة التّاشفينية[6].

---

[1] – ينسب المذهب الظاهري إلى ابن حزم الأندلسي الذي كان يلتزم بنص القرآن و السّنّة و الاجتماع و نبذ القياس و الرّأي في الدّين و ساد هـذا المذهب في بلاد المغرب أيام يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن و أحرقت كتب الفروع بعدما جرّد ما فيها من قرآن و أحاديث. انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص 799-800- المكي قلاينة، التعديل عند ابن حزم، مجلة الحضارة الإسلاميّة، ع1، أبريل 1993، ص 188-203.

[2] – ابن تومرت، المصدر السابق، ص 229-234.

[3] – حاجيات، ملاحظات، المرجع السابق، ص 107.

[4] المراكشي، المصدر السابق، ص 202-204 – حسن علي حسن، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب و الأندلس (عصر المرابطين و الموحـدين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص 400 – لي تورنو، المرجع السابق، ص 42-43.

[5] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126-127.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 130-131 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 141.

ونتيجة لذلك عادت إلى حلقات الدّرس بتلمسان كتب المالكية الّتي اشتهرت ببلاد المغرب و هي الموطأ للإمام مالك، و المدوّنة للإمام سحنون (ت 240هـ/854م) [1]، والرّسالة لابن أبي زيد القيرواني (ت:386هـ/996م)[2]، وكتاب التمهيد للبراذعي (كان حيا حوالي 430هـ/1039م)[3] وغيرها[4] ، ثمّ دخلت المؤلفات المصريّة المشهورة في المذهب المالكي، خاصة مختصر ابن الحاجب أو المختصر الفرعي، وكذلك مختصر خليل الّذي كان يعد من أجل كتب الفروع، وعرف تداولاً كبيرًا واعتنى بدراسته الطلبة والعلماء[5]، وعاد الفقه المالكي إلى سابق عهده وازدهاره، وواصل الطلبة الاشتغال به و بعلم الفروع، وكان أغلب العلماء التلمسانيين على مذهب مالك، وكانوا يفتخرون به ويجتهدون و يفتون في إطاره[6].

أمّا بمصر، ورغم أنّ المماليك قد حكموا بعد قرن من سقوط دولة الفاطميين، ورغم الجهود الّتي بذلها الأيوبيون في محاربة المذهب الشّيعي، إلاّ أنّ المعتقدات الشّيعية كانت لا تزال منتشرة في بعض مدن الصّعيد مثل أسوان و إدفو و إسنا[7] ، فعمل سلاطين المماليك على إتّباع سياسة مذهبية واضحة و موثّقة بمراسيم عليا، ففي سنة 665هـ/1264م قام السّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري بتحريم أي مذهب ما عدا المذاهب السّنية الأربعة، و لم تعد تقبل شهادة و لا يرشّح للقضاء أو الخطابة أو الإمارة أو التّدريس إلاّ إذا كان الشّخص من أتباع إحدى المذاهب السّنية المعتمدة و هي: المذهب المالكي، و المذهب الشافعي، و المذهب الحنفي، و المذهب الحنبلي[8].

وكان لهذه المذاهب أتباع و فقهاء يقومون على تدريسها في المؤسّسات التّعليمية الّتي خصّصت لكلّ مذهب أو الّتي كانت تجمعها معًا، و تخرّج منها عدّة علماء[9]، كما ذاعت عدّة

---

[1] – هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي قاضي القيروان. انظر: أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي، **رياض النفوس**، ج1، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984، ص 385-376 – الدباغ، معالم الإيمان، ج2، ص 77- ابن فرحون، الديباج، ص132- سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 138.

[2] – هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن القيرواني النفـزي، كان يلقب بمالـك الصغيـر. ابن فرحون، الـديباج، ص136-138- ابن العماد، شذرات الذهب، ج3، ص 131 – سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 154.

[3] – هو أبو سعيد خلـف بن أبي القـاسم سليمـان الأزدي القـيرواني البراذعـي. الزركلي، الأعـلام، ج2، ص 359-360- سـزكين، المرجع السابق، ص164.

[4] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 39.

[5] – الونشريسي، المعيار، ج2، ص 169 – ابن زكري، المصدر السابق، ج1، ص 213-214.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 96 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 100-101.

[7] – فوزي أمين، المرجع السابق، ص 210.

[8] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 344 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 134.

[9] – عبد اللّطيف حمزة، المرجع السابق، ص 196-197.

كتب بين الطّلبة المصريين كانوا يتدارسون من خلالها الفقه على هذه المذاهب ومنها: المسند للإمام الشّافعي، والرّوضة لجمال الدّين الإسنوي، والوسيط للغزالي، والمنهاج للنووي في فقه الشّافعية، والنوادر لابن أبي زيد، والذّخيرة للقرافي في فقه المالكية، والمغني لابن قدامة والنّهاية الصغرى لابن رزين في فقه الحنابلة، والبداية ومجمع البحرين والجامع الكبير في فقه الحنفية وغيرها[1].

ونتيجة للسّياسة المذهبية الّتي اتبعها الحكام الزّيانيون و المماليك، فقد ضيّق الخناق على باقي المذاهب الّتي لم تجد لها منفذاً في مجتمع البلدين، خاصّة المذهب الشّيعي الّذي أعلن المماليك حربا حقيقية على منتحليه، و هذا الأمر هو مواصلة لما بدأه صلاح الدّين الأيّوبي وخلفاؤه من جهود لمحو آثار الشيعة و التشّيع من المجتمع المصري و إحلال مذهب أهل السّنة[2]، وكان مذهب الشّيعة شبه مختف من المغرب الأوسط رغم بعض المحاولات من طرف البعض لنشر أفكار التّشيّع كما أورده ابن خلدون عند تعرضه لترجمة شيخه الآبلي[3].

لقد كان انتشار المذهب السني بالمغرب الأوسط و مصر ممثلا في المذهب المالكي عند بني زيان و المذاهب السّنية الأربعة عند المماليك من السمات البارزة في مجال العلاقات الثقافيّة في جانبها الدينيّ، و لا شكّ أنّ حكام الدولة الزيانية قد أدركوا أنّ المذهب المالكي هو الأكثر قبولا في الأوساط الشّعبية للمغاربة، فعملوا على تدعيمه رسميّا و جعله المذهب الأوحد و الرّسمي للدّولة، كما كان المماليك على دراية تامّة بميولات المجتمع المصري المذهبيّة لذلك فسحوا المجال للمذاهب السّنية الأربعة وعيّنوا لكلّ مذهب قاض[4] يفصل في المسائل الّتي كانت تحدث بين المتخاصمين من أبناء المذهب الواحد، وفي ما يخصّ قضاء المالكية بمصر فقد تولّاه بعض المغاربة منهم عبد الرّحمن بن خلدون الّذي أسند له هذا المنصب من طرف السّلطان الظّاهر برقوق عدّة مرّات كان آخرها سنة 808 هـ/ 1406م حتّى وفاته[5] ، كما كان أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب من المرشحين لتولي قضاء قضاة المالكيّة بمصر[6].

---

[1] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 473-474.

[2] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 343 – ابن خلدون، المقدمة، ص 804-805.

[3] – ابن خلدون، التعريف، ص 827.

[4] – القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص 35 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 121.

[5] – ابن خلدون، التعريف، ص 1223-1224 – الشوكاني، البدر الطالع، ج2، ص 237.

[6] – ابن خلدون، التعريف، ص 848.

2 – انتشار عقيدة الأشاعرة:

غلب على العلاقات الثقافيّة بين المغرب الأوسط و مصر في مجال العقيدة انتشار مذهب الأشاعرة الّذي ينسب لأبي الحسن الأشعري[1] وتلامذته الّذين واصلوا نشر فكره بعده أمثال أبي بكر الباقلاني[2]، وإمام الحرمين الجويني[3]، والإمام أبي حامد الغزالي[4]، وغيرهم من أئمة الأشاعرة[5].

وقد اشتهر المذهب الأشعري في العراق حوالي سنة 380هـ/990م، ثمّ انتقل إلى بلاد الشام، و لما ملك صلاح الدّين الأيّوبي مصر و كان على هذا المذهب منذ نشأته حمل النّاس على التزامه، ومن مصر انتشر في سائر أقطار العالم الإسلامي[6].

ودخل مذهب الأشاعرة إلى بلاد المغرب بقوّة عن طريق المهدي محمّد بن تومرت عقب عودته من رحلته إلى بلاد المشرق أين أخذ العلم عن جملة من مشاهير الأئمة على هذا المذهب

---

[1]- هو أبو الحسن علي بن إسماعيل من ذرية أبي موسى الأشعري أحد الصحابة. ولد بالبصرة حوالي 266 هـ/880م و توفي في سنة 324 هـ/955م، و كان معتزليا ثمّ تبرأ من ذلك، و مجمل عقيدته أنّ الله عالم بعلم، قادر بقدرة، و صفاته أزلية قائمة بذاته تعالى، و سلك طريقا بين النفي الّذي هو مذهب الاعتزال وبين الإثبات الّذي هو مذهب المجسمين. انظر: ابن عساكر الدمشقي، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت، 1979، ص 34 و ما يليها- المقريزي، الخطط، ج2، ص 358 – ابن فرحون، الديباج، ص193- 195- أبو الحسن الندوي، **رجال الفكر و الدّعوة في الإسلام**، ج1، دار القلم، دمشق، 2002، ص 221 – الزركلي، الأعلام، ج5، ص 69 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 440- محمد مشنان، تقديم لكتاب غاية المرام لابن زكري، ج1، ص 23-79.

[2]- أبو بكر الباقلاني (ت 403 هـ/1013م)، متكلّم أشعري مالكي، كان كثير التصنيف في علم الكلام و من تآليفه: التبصرة، دقائق الحقائق، التمهيد في أصول الفقه و شرح الإبانة. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ص 217 – ابن فرحون، الديباج، ص267- ابن كثير، البداية و النهاية، ج11، ص 350 – المقريزي، المقفي الكبير، ص 74- ابن فرحون، الديباج، ص 267- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج4، ص 234- سزكين، المرجع السابق، ج2، ص 384.

[3] – إمام الحرمين أبي المعالي الجويني النيسابوري (ت 478 هـ/1085م)، أحد كبار أئمة الأشاعرة، من تصانيفه في العقيدة: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد، الشامل في أصول الدين، العقيدة النظامية. انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ص 278 – إمام الحرمين الجويني، **الشامل في أصول الدين**، تح: هملوت كلوبغر، دار العرب، القاهرة، 1960، مقدمة المحقّق – ابن زكري، المصدر السابق، ج1، ص 261-262- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 442.

[4] – ولد سنة 1059/540م و توفي سنة 505 هـ/1111م، و كان يعرف بحجة الإسلام، و كان معاصرًا للسلاجقة الّذين كانوا يؤيدون المذهب الأشعري. و أشهر تآليفه: إحياء علوم الدين. ابن عساكر، المصدر السابق، ص 291 – ابن العماد، شذرات الذهب، ج4، ص 11 – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج1، ص 257.

[5] – حول أتباع الأشعري انظر: ابن عساكر، المصدر السابق، ص 177-330.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 258.

أمثال أبي حامد الغزالي[1]، وتأثّر بمذهبهم و استحسن طريقتهم في فهم العقائد والدّفاع عنها بالحجج العقلية[2]، وكان ذلك مخالفا لما كان عليه أهل المغرب من الابتعاد عن التّأويل و إقرار المتشابهات و الاقتداء بالسّلف في ذلك[3]، و عبّر عن ذلك آدم متز بقوله أنّ أهل المغرب السّنيين قد تردّدوا في إتباع الأشعري في تفسيره للقرآن، و كانوا يتركون التأويل و المتشابهات اقتداءً بالسّلف حتّى جاء ابن تومرت و حملهم على القول بالتأويل و الأخذ بمذهب الأشعرية[4].

وبعد قيام دولة الموحدين و توسعها في كامل بلاد المغرب عمل حكامها على تثبيت أركان المذهب الأشعري، و نتيجة لذلك ذاعت مؤلفات أئمة الأشاعرة كالغزالي و الباقلاني والجويني، وأقبل النّاس على دراستها، و أثر ذلك في الحركة الفكريّة عمومًا، حيث خرجت العلوم الدينيّة بالمغرب كما عبّر عن ذلك أحد الباحثين "من طور منابذة الرّأي والعقل وانتقلت إلى طور عقائدي أكثر توازنًا و اعتدالاً"[5].

وعمل الزيانيون و المماليك على جعل العقيدة الأشعرية تسود على باقي العقائد الّتي حاربوها، خاصّة عقيدة ابن تيمية الّتي قام ضدها المماليك و اعتبروها خطرًا على الحياة المذهبية بدولتهم، خاصّة و أنّ ابن تيمية قد تصدّى للانتصار لمذهب السّلف و بالغ في الرّد على مذهب الأشاعرة و صدع بالتنكير عليهم و على غيرهم من الرّافضة و الصوفيّة في كثير من المناسبات، غير أنّ مذهبه لم يلق انتشارًا واسعًا في مصر كما في بلاد الشّام[6].

أمّا بالمغرب الأوسط فلم تكن الحركة الدّينية في جانب العقائد متشعّبة ومعقّدة كما في مصر، بل كان عامّة النّاس على المذهب المالكي و على عقيدة الأشاعرة[7]، و عمل الفقهاء على تبسيط هذه العقيدة وتنقيتها ممّا التصق بها من أفكار معتزليه وشيعية كالعصمة والمهدوية وفكرة الإمامة الّتي كانت سائدة على عهد الموحدين، لتتماشى مع بساطة المذهب المالكي[8].

---

[1] – ابن القطان المراكشي، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تح: محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 61- 72- اسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص33- 34- الونشريسي، المعيار، ج12، ص 48.

[2] – حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 466.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص 468 – الناصري، الاستقصا، ج1، ص 63.

[4] – آدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ج1، تر: محمد عبد الهادي أبو ريده، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967، ص 365 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 440.

[5] – حاجيات، أبو حمو، المرجع السابق، ص 39.

[6] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 359.

[7] – أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج2، الشركة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص 96.

[8] – بوكلي حسن، المرجع السابق، ص 145 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 377.

كما اعتنى العلماء في البلدين بدراسة وشرح كتب أئمة الأشاعرة وتدريسها للطّلبة ومن تلك الكتب:

الإبانة في أصول الدين والرّد على المجسمة واللّمع في الرّد على أهل الزيغ والبدع لأبي الحسن الأشعري، وجامع الحلى في أصول الدّين و الرّد على الملحدين للباقلّاني، والشامل في أصول الدّين و الإرشاد للجوني[1]، و كتاب الإحياء للإمام الغزالي[2].

و تخرج من المدارس التّلمسانية و المصرية عدّة أعلام على عقيدة الأشاعرة، منهم الشّيخ أبي العباس بن زكري التلمساني المالكي الّذي كان أشعريا على مذهب أهل السنة و الجماعة، و صرّح عن أشعريته في عدّة مناسبات منها ما يظهر من نظمه الّذي يقول فيه:

فصل أبو الحسن الأشعـــري * واضع ذا العـــلم المرضـي
بكتبه الموافق الرّســـول * فخصّ بالسّنة و القبـــول
لقّب تابعوه بالأشاعـــر * وهو بالشيـــخ اتّبع مؤازره
و نسبوا له بالأشعريـــة * إلى أهـــل الحـقّ في البريّة[3]

و قوله:

فالأشعريون هم المصيبـــون * مُخَـالِفُو رَأيهم المحزومـــون[4]

كما يعتبر معاصره الإمام محمد بن يوسف السّنوسي من كبار علماء العقيدة و حامل لواء الأشعريّة فيها خلال القرن 9هـ/15م[5]، وألّف العقيدة الكبرى[6] الّذي تعرّض فيه إلى عقيدة الأشعري كإثبات وجود الله و الصّفات وغيرها[7].

---

[1] – ابن عساكر، المصدر السابق، ص 34 و ما يليها – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 126.

[2] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 23–24 – إبراهيم القادري بوتشيش، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي و الاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، 2002، ص 131.

[3] – محند مشنان، تقديم لكتاب غاية المرام لابن زكري، ج1، ص 213.

[4] – المرجع نفسه، ص 213.

[5] – حسن بوكلي، المرجع السابق، ص 141–146 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 130.

[6] – التنبكتي، المصدر السابق، ص328– حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 1157.

[7] – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 130.

3 – انتشار ظاهرة التّصوف و الطّرق الصّوفية:

تعد ظاهرة انتشار التّصوّف في المغرب الأوسط و مصر خلال عهد بني زيان والمماليك من أبرز مميّزات ومظاهر العلاقات الثّقافية الّتي جمعت بين البلدين، ودليلا على عمق الرّوابط الرّوحية بينهما و تأصلها.

وما ميّز التّصوّف خلال هذه الفترة خروجه عن صبغته الدّينية البحتة، وأخذه لصبغة اجتماعية، خاصّة بعد تأسيس الطّرق الصّوفية وانتساب عامّة المجتمع في البلدين إلى هذه الطّرق.

والتصوّف[1] قديم في المجتمع الإسلامي، وظهر حوالي القرن الثّاني الهجري في شكل زهد وورع، و كان عبارة عن احتجاج على الانحراف عن المبادئ الإسلامية، ثمّ تطور حتّى صار نظاما للعبادة و اتجاهًا نفسيا و عقليا خاصًّا[2].

وعرّفه ابن خلدون بأنّه: "العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدينا و زينتها، والزهد فيما أقبل عليه الجمهور من لذة ومال و جاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة و العبادة"[3].

وقد انتشر التّصوّف في العالم الإسلاميّ مشرقا و مغربا، وكان يستند في أصوله ومبادئه إلى الإسلام و مضمونه، و يقتبس من الكتاب و السنّة[4].

ودخل التصوّف إلى بلاد المغرب على شكل زهد وورع، ثمّ تطور إلى تصوّف فلسفي نتيجة عدّة مؤثرات أهمها اتصال المغاربة بالمشارقة عن طريق الحجّ والرّحلة واطلاعهم على مؤلّفات ومذاهب واتجاهات الصّوفية بالمشرق، والتّزوّد بمصنفاتهم الّتي نقلوها، خاصّة رسالة القشيري و كتاب إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي[5].

واشتهر تياران للتّصوّف بالمغرب، يمكن تسميتهما بتيار التّصوّف الفلسفي وتيار التّصوّف السنّي، وتزعّم هذا الأخير القطب أبي مدين شعيب الاشبيلي دفين العبّاد (ت:595هـ/1198م)[6]

---

[1] – اختلف في اشتقاق هذه الكلمة، انظر: عبد الرّحمن بن خلدون، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تح: الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1959، ص 27 – عمر فروخ، **تاريخ الفكر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1966، ص 470.

[2] – مختار فيلالي، المرجع السابق، ص 11.

[3] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 863.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 384.

[5] – ابن خلدون، المقدمة، ص 866 – إبراهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 147.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 108 – الغبريني، المصدر السابق، ص 55-65 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 131.

الّذي أخذ التّصوّف عن عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ/1166م) [1] ببغداد و الّذي كان متأثرا بفكر الغزالي في هذا الجانب.

وكان للموحّدين موقف خاص من أبي مدين و تياره الصّوفي، واستبعد بعض الباحثين أن يكون هذا الموقف عدائيا كما هو شائع لدى عامّة المؤرّخين، فمنهم من أرجع استدعاء الخليفة الموحدي يعقوب المنصور لأبي مدين من بجاية أين كان يقيم إلى مراكش بدافع ورعه وزهده وتقديره للصّالحين و رغبة منه في التّبرّك بالوليّ الصّالح و نيل رعاية الله و رضاه من خلال دعائه له بالنّصر على العدوّ خاصّة في خضمّ جهاده المستمرّ بالأندلس، ويمكن القول بأنّ التّيار الصّوفي لم يضطهد في عهد الموحدين بقدر ما عظم شأنه و انتشاره[2].

وفي عهد بني زيان شهد المغرب الأوسط خاصّة تلمسان ازدهار تيار التّصوّف الّذي انتشر بها بقوّة منذ نهاية القرن 6هـ/12م بعدما صارت قرية العبّاد القريبة منها مدفنا للقطب أبي مدين شعيب، و انتقل التصوّف من كونه ظاهرة دينيّة خاصّة ببعض المتصوّفة إلى الانتشار وسط المجتمع، و اعتقد الكثير من الأمراء السلاطين في رجال الصوفيّة[3].

أمّا بمصر فكان التصوّف من السّمات البارزة للحياة الدّينية و الاجتماعية، و أدت أحداث العالم الإسلاميّ خاصّة الهجمة الصليبية وحركة التّتار والمغول والاضطرابات السياسية والكوارث الطّبيعية و الاجتماعية إلى نزوع عام تجاه تيار التّصوّف[4].

كما أصبحت مصر مقصدًا لرجال التّصوّف من بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، خاصّة من العراق والمغرب، ونتيجة لذلك ازدهرت الحركة الصّوفية، وأسّست عدّة طرق صوفية، وساهم في ذلك اهتمام سلاطين المماليك بتيار التصوّف ورجاله فابتنوا لهم المؤسّسات الصّوفية كالخانقاوات و الزّوايـــا و الرّبط.

واشتهرت بمصر عدّة طرق صوفية كانت في معظمها وافدة و ليست من تأسيس المصريين وأهمها:

---

[1] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 108 – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج1، ص 319-350.

[2] – عبد الحميد حاجيات، ملاحظات، المرجع السابق، ص 109.

[3] –عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 387.

[4] – سعيد عبد الفتاح عاشو، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 162-163 – سحر سالم، العراقيون في مصر، المرجع السابق، ص 50.

الطّـــريقـــة القـــادريـــة:

الّتي أسّسها الشّيخ عبد القادر الجيلاني (ت:561هـ/1166م) [1]، واعتمد في تصوّفه على الكتاب والسّنّة، و انتشرت طريقته في مصر[2]، وأصبحت هذه الطّريقة أصل الكثير من الطرق الصوفيّة بمصر و المغرب.

الطّـــريقـــة الـــرّفاعيـــة:

نسبة لمؤسّسها الشّيخ أحمد بن أبي الحسن بن أبي العبّاس المعروف بابن الرّفاعي (ت:587هـ/1191م) [3]، وقد أسّسها بالعراق، ثمّ انتقلت هذه الطّريقة إلى مصر عبر تلميذه أبي الفتح الواسطي (ت:580هـ/1184م) [4] أواخر القرن 6هـ/12م، وأنشأ رباطا له ولمريديه بالإسكندريّة عرف برباط الواسطي[5]، واستمر نشاط هذه الطّريقة بمصر خلال عصر المماليك وانتسب إليها الكثير من أفراد المجتمع المصري[6].

الطّـــريقـــة السّهْـــرُورَديـــة:

أسّسها أبو النّجيب عبد القادر السّهْرُورَدِي (490-564هـ/1096-1167م)[7] وابن أخيه شهاب الدّين أبي حفص عمر السّهْرُوردي البغدادي (ت:632هـ/1235م) [8] صاحب كتاب

---

[1] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص246- الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص2-3 – ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص52 – ابن العمـــاد الحنبلي، شذرات الذهب، ج4، ص198 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 108 – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج1، ص 319-350 – أبو الوفاء الغنيمي التفتازاني، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، ط3، دار الثقافة، القاهرة، 1979، ص 236 – منى محمـــت، المرجـــع السابق، ج1، ص 125 – مختار فيلالي، المرجع السابق، ص 35- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص592.

Louis Rinn, **Marabouts et Khouans**, Alger, 1884, p.173.

[2] – استقر في مصر أحد أبناء عبد القادر الجيلاني و هو الشيخ عيسى صاحب كتاب لطائف الأنوار في التصوّف و نشر طريقة أبيـــه. Louis Rinn, op.cit, p.178

[3] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 92 – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 120 – عبد الستار عثمان، المرجع السابق، ص 189.

[4] – ابن الملقن، طبقات الأولياء،ص 489- الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 171.

[5] – سحر سالم، العراقيون في مصر، المرجع السابق، ص 53-54 – التفتازاني، المرجع السابق، ص 238.

[6] – محمد توفيق، **تذييل كتاب بحر الأنساب المحيط للنجفي**، مصر، 1336 هـ، ص 3 و ما يليها.

[7] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 119.

[8] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 480 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص162– ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص178 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 283- 285- ابن العماد، شذرات الـــذهب، ج5، ص153- البغـــدادي، هديـــة العـــارفين، ج1، ص758- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص126.

عوارف المعارف، و قد انتشرت هذه الطّريقة بمصر بشكل كبير، و أصبح أتباعها يؤسّسون المدارس و الرّبط الخاصّة بهم لنشر تعاليم طريقتهم[1].

الطّـــريقـــة الأحـــمديـــة:

أسّسها السّيد أحمد البدوي (ت:675هـ/1276م) [2]، الّذي ارتحل من المغرب إلى مكّة ومنها إلى مصر حوالي 634هـ/1237م، ودعا النّاس إلى طريق الله، ولما توفي خلفه في رئاسة الطّريقة تلميذه عبد العال الأنصاري (ت 733هـ/1333م) [3].

الطّـــريقـــة البَـــرْهَاميـــة:

أسّسها الشّيخ إبراهيم الدّسُوقي القرشي (ت:676هـ/1278م)[4]، وهو مصري الأصل و المولد، و انتشرت طريقته في مصر و بقية بلدان المشرق[5].

غير أنّ أشهر طريقة عمّت مصر و منها انتقلت إلى المغرب الأوسط وإن كان أصل مؤسّسها مغربي هي:

الطّـــريقـــة الشّـــاذليـــة:

وهي منسوبة لمؤسّسها الشيخ أبي الحسن الشاذلي (ت 656 هـ/1258م) [6]، وهو صوفي بارز الاتجاه، و أصله من شاذلة بإفريقية، ووفد إلى مصر مع جملة من تلاميذه، واستوطنوا مدينة الإسكندرية حوالي سنة 642هـ/1243م وكونوا بها مدرسة صوفيّة[7].

---

[1] – سحر سالم، ، المرجع السابق، ص 52 – التفتازاني، المرجع السابق، ص 239 – من بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 125.

[2] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 252 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 422. الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 155-159.

[3] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 242 – منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 126.

[4] – الشعراني، المصدر السابق، ج1، ص 140-155.

[5] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 243.

[6] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص458- الصفدي، نكت الهميان، ص213- الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 4-11 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج2، ص 43 – السيوطي، حسن المحاضرة، ج1، ص 52 – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 12 – ابن العمـــاد شـــذرات الذهب، ج5، ص 278 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 186 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 50- البغدادي، هدية العارفين، ج1، ص709.

[7] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 240.

وكان من أشهر تلامذة أبي الحسن الشّاذلي الشّيخ أحمد أبي العبّاس المرسي الّذي خلفه وتولى قيادة الطّريقة الشّاذلية حتّى وفاته بالإسكندرية سنة 686 هـ/1284م[1]، ثمّ خلفه تاج الدّين بن عطاء الله السّكندري المصري الّذي ألّف في مناقب شيوخه كتاب لطائف المنن[2].

وكانت الطّريقة الشّاذلية قريبة في تعاليمها[3] و منهجها في التّصوّف من مذهب الإمام أبي حامد الغزالي وهو التصوّف السّني الّذي يتقيد بنصوص القرآن و السُّنّة[4]، كما كانت امتدادًا لتصوف أبي مدين شعيب الغوث، خاصّة و أنّ أبا الحسن الشّاذلي يعد تلميذا و خليفة للشّيخ عبد السّلام بن مشيش[5] الّذي تتلمذ بدوره على أبي مدين شعيب[6].

وكان للطّريقة الشّاذلية أثر كبير في العالم الإسلامي، فانتشرت في جميع أقطاره، ووصلت إلى الأندلس، وكان أبرز ممثليها هناك خلال القرن 8هـ/14م ابن عباد الرندي (ت790هـ/1390م) شارح الحكم العطائية، والذي كان يحث المريدين على مطالعة كتب التّصوّف السّني من خلال رسائله[7].

كما دخلت الطّريقة الشّاذلية إلى المغرب الأوسط بقوّة خاصّة وأنّها كانت تتوافق في منطلقاتها و أفكارها مع المذهب الدّيني و العقائدي الّذي كان سائدا في أوساط الفقهاء وعامّة النّاس، و عبّر أحد الكتاب عن ذلك بقوله : " أمّا التصوّف السّنيّ ذو البعد العملي والتّربوي، فقد أخذ جرعة جديدة على يد أبي الحسن الشّاذلي الذّائع الصّيت في بلاد المغرب، وانتهج أبو الحسن منهج أبي مدين و الغزالي المستمد من الكتاب والسّنّة و هو العامل الّذي ساعد على انتشار طريقته و ازدياد عدد مريديه"[8].

---

[1] – الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 11 – المقري، نفح الطيب، ج2، ص 330.

[2] – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 421- الشعراني، المصدر السابق، ج2، ص 18 – ابن العماد، شذرات الـذهب، ج6، ص 19-20 – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 204- أحمد بن عجيبة، **القاط الهمم في شرح الحكم**، ج1، المطبعة الجمالية، مصر، 1913، ص9- المقري، نفح الطيب، ج2، ص330.

[3] – تتلخص تعاليمها في خمسة أصول هي: تقوى الله في السرّ و العلانية - إتباع السنّة في القول و الفعل – الإعراض عن الخلق في السرّ و العلانية و الإقبال و الإدبار – الرضا عن الله في القليل و الكثير – الرجوع إلى الله في السراء و الضراء. التفتازاني، المرجع السابق، ص 241.

[4] – التفتازاني، المرجع السابق، ص 240.

[5] – هو أحد أقطاب التصوف بالمغرب و الأندلس. و كانت مدرسته في التصوف أصل المدرسة الشاذلية. عبد الغني قاسم عبد الحكـيم، **المـذاهب الصوفيّة و مدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 178-179.

[6] – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 186- .Louis Rinn, op.cit, p211

[7] – ابن عباد الرندي، الرسائل الصغرى، ص 210.

[8] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 386-387.

وأصبحت الطّريقة الشّاذلية أصل كثير من الطّرق الصّوفية في المغرب الأوسط، كما كانت من أبرز مميزات و مظاهر الرّوابط الرّوحية بينه و بين مصر، خاصّة و أنّ المدرسة الأم في مصر وقبر الشاذلي بصحراء عيذاب أصبحا مقصودين من طرف المغاربة لزيارته[1]، ونسجت علاقات روحية و ثقافية وطيدة بين مريدي الطّريقة في البلدين.

هذا و قد ارتبط كبار المتصوّفة بتلمسان مع نظرائهم المصريين بعلاقات وثيقة، وكعيّنة عن ذلك شخصيّة الصّوفي الشيخ أبي العبّاس أحمد بن محمد بن مرزوق التّلمساني (ت:741هـ/1341م)[2]، والذي كان له أصدقاء و إخوان كثيرون بمصر، لاسيما من الفقهاء و القضاة و خاصّة رجال التّصوف، وكان الاحترام متبادلاً بينهم و بينه، وكان شديد الاعتقاد بالشيخ محمد المرشدي صاحب زاوية فوّة بصعيد مصر[3] ، وكان يزوره كلّ سنة في شهر رجب، و كان المرشدي يقدر أبا العبّاس، و يصفه بأنّه من أحبابه و أخوانه و أنّه خير خلف لخير سلف[4].

وكان أبو العبّاس بن مرزوق يلبس الخرقة بالقاهرة مع أمثاله من المتصوّفة، و كان أمراء المماليك يطلبونه للإقامة في خانقاه سعيد السعداء[5].

وتوثقت الصلات الرّوحية بين المتصوّفة من المغرب الأوسط و مصر عن طريق مثل هذه اللّقاءات، وشكّلت بذلك جسر تواصل ثقافيّ ميّزه انتشار التصوّف السّنيّ وتعاليم الطريقة الشّاذلية بالخصوص.

ولما كان للمتصوّفة في البلدين أثر كبير في المجتمع، و كان لهم الكثير من الأتباع و المريدين، فقد كان بيدهم توجيه هؤلاء و تعليمهم و تربيتهم روحيا و علميا عن طريق دروس التصوف في الخانقاوات والزّوايـــا والرّبط الّتي انتشرت بالمغرب الأوسط و مصر، وكان يلتقي فيها شيوخ التصوّف والمريدون، وكان بعض المتصوّفة من المغرب الأوسط قد تولى التّدريس

---

[1] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 43 – الصفدي، نكت الهميان، ص 213.

[2] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة32- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص115- ابن مريم، المصدر السابق، ص 27.

[3] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 47 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 568.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 394.

[5] – المرجع نفسه، الصفحة عينها.

بالمؤسّسات الصّوفية المصرية بل و رئاستها مثل ابن أبي حجلة التّلمساني (ت 776هـ/1375م) الّذي تولّى مشيخة صهريج منجك بظاهر القاهرة، و كان به مجموعة من الصّوفية[1].

كما انتشرت بين المتصوّفة بالبلدين كتب معيّنة في التصوّف تداول دراستها وتدارسها الطلبة المغاربة والمصريون على حد سواء مثل: مقالات الهروي ورسالة القشيري وإحياء علوم الدين للغزالي وكتاب الشّفاء للقاضي عيّاض[2].

لقد أدى انتشار تيار التصوّف و ظهور الطّرق الصّوفية بالمغرب الأوسط ومصر. وذيوع الأفكار الصوفيّة على نطاق واسع في أوساط المجتمع بالبلدين، واتخاذ كلّ طائفة صوفية مجموعة من العادات والشعارات والسّلوكات[3] الّتي كانت في نظر بعض الفقهاء مخالفة للشّرع، إلى بروز صراع بين رجال التصوّف ومناصريه وبين رجال السّلف، تبادل الفريقان خلاله كلّ التّهم.

ففي تلمسان كان الصّراع بين المتصوّفة و فقهاء السّنّة عنيفًا و أدى إلى الإضرار بكثير من رجال التصوّف، منهم أبو عبد الله بن خميس التلمساني (ت 708هـ/1308م) الّذي شنّ ضدّه القاضي أبو عبد الله بن هدية القرشي (ت:735هـ/1335م) حملة واسعة وتابعه عبر المحاكمات والقضاء و اتهمه بالزندقة[4]، و شرح رسالة ابن خميس الّتي استفتحها بقوله:

عجبـــا لها أيذوق طعم وصالهـــا * من ليس يأمـــل أن يمر ببالهـــا

و أنا الفقـــير إلى تعلة ساعـــة * منها و تمنعني زكاة جمالهـــا[5]

كما اتهم باشتغاله بالفلسفة الّتي كانت ممقوتة حينذاك من طرف الفقهاء. و قد اضطر ابن خميس نتيجة لتضييق الخناق عليه إلى الهجرة باتجاه غرناطة الّتي قتل بها سنة 708هـ/1308م[6].

---

[1] – ابن العراقي، المصدر السابق، ج2، ص383 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج11، ص131 – عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 173.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص 866 – الغبريني، المصدر السابق، ص 320-321 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 401.

[3] – تعددت شعارات و سلوكات المتصوفة في البلدين، ففي مصر على سبيل المثال كانت الطائفة الأحمدية تتخذ من اللّون الأحمر شعارا لها أما الرفاعية فاتخذو العمائم السوداء و كانت لهم عادات منها أنهم كانوا يركبون الأسود وغير ذلك. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 55 – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 163.

[4] – المهدي البوعبدلي، "أهم الأحداث الفكريّة بتلمسان عبر العصور و نبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها"، **مجلة الأصالة**، ع 26، س 4، جويليّة/أوت 1975، ص 131.

[5] – النباهي، المصدر السابق، ص 135 – الطاهر توات، المرجع السابق، ص 41.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 109.

كما برز نقاش بين أبي عبد الله بن مرزوق الحفيد، و بين القاضي قاسم بن سعيد العقباني الّذي أفتى في مسألة الفقراء الصّوفية و ساندهم فيما ذهبوا إليه[1]، و خالفه ابن مرزوق الحفيد في فتواه و ألّف في الموضوع كتابا سماه :" النّصح الخالص في الرّد على مدعى رتبة الكمال الناقص"[2]، وألّف محمد بن يوسف السنوسي: "رسالة نصرة الفقير في الرّد على أبي الحسن الصغير". دافع فيها عن المتصوّفة و أهل الطّريقة.

أمّا بمصر فكان قائد لواء السّلفية الشيخ ابن تيمية قد قام بجملة واسعة ضدّ الصّوفية ورجال التصوّف و أظهر الكثير من معتقداتهم الفاسدة، وكان يجتمع معهم لمناظراتهم مثلما فعل مع أصحاب الطّريقة الأحمدية سنة 705هـ/1305م وإنكاره عليهم لجملة من البدع ابتدعوها[3].

وكانت الحملات الّتي شنها فقهاء السّلف على المتصوّفة مركزة على الطّبقات المثقّفة الّتي دار بينهما النّقاش، و لم تمنع من انتشار التصوّف الّذي أصبح من أساسيات الحياة الرّوحية في مجتمع المغرب الأوسط ومصر.

4 – الاعتقاد في الأولياء و المشايخ:

كان لانتشار تيار التصوّف والطّرق الصّوفية بالمغرب الأوسط و مصر في أوساط الطّبقة الحاكمة وأفراد المجتمع على حدّ سواء، وبروز أقطاب التصوف وكبار المتصوّفة، قد ترك آثارًا عميقة في النّفوس، و تجلّى ذلك من خلال ظاهرة جديدة هي تقديس الأولياء و المشايخ والاعتقاد فيهم وفي بركتهم، وترسخت هذه الأفكار بقوّة لدى المغاربة والمصريين على حد سواء، وأصبح الاعتقاد فيها من أبرز السّمات الثّقافية المشتركة في الجانب الرّوحي و النّفسي بالبلدين.

وقد تباين مفهوم الوليّ بالنّسبة لأهل المغرب الأوسط والمصريين، حيث اقترن عند المغاربة بالأشراف من نسل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، بينما اقترن اسم الولي في مصر بالتّقوى والصّلاح[4]، و كان ذلك تابعًا لمفهوم التصوّف في حدّ ذاته بالبلدين، حيث كان مقترنا عند أهل

---

[1] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 355– ابن مريم، المصدر السابق، ص 211 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 411.

[2] – الونشريسي، المعيار، ج11، ص 48–50 – و كان موضوع الفتوى عن جماعة من الفقراء يجتمعون بعد صلاة الجمعة في مجلس على شيخ يختارونه و لهم طريقة و نظام معيّن في الجلوس و الذكر فأجاب العقباني بالاستحسان و قال:" هو دائر بين المرغب فيه و المندوب إليه".

[3] – المقريزي، السلوك، ج2، ص 16– أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج2، ص 77– ابن تيمية، **الفرقان بين أولياء الرّحمان و أولياء الشيطان**، دار البعث، قسنطينة، 1987، ص 11 و ما يليها.

[4] – منال عبد المنعم جاد الله، **التصوّف في مصر و المغرب**، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1997، ص 177.

مصر بالجانب الأخلاقي و السّلوكي و المعرفي الكشفي، في حين جاء مفهومه مقترنًا بالزّهد والانقطاع للعبادة بالمغرب الأوسط[1].

وكان الأولياء في البلدين يقيمون في الرّباطات[2] وكانوا مقصدًا للعامّة و الخاصّة لنيل البركات، و لم تقتصر ظاهرة تقديسهم والاعتقاد فيهم على أفراد المجتمع فقط، بل شملت الملوك والسّلاطين.

ففي المغرب الأوسط كان لملوك بني زيان اعتقاد كبير في شيوخ التصوّف، حتّى أنّ يغمراسن بن زيان قد أوصى بأن يدفن أبو عبد الله بن مرزوق إلى جانبه تبركًا بجواره[3]، وكان ابن مرزوق هذا كما قال عنه يحي بن خلدون:"من الصّلحاء المشاهير و الأولياء الأعلام، محدّثا فقيها متصوّفا زاهدًا عابدا، مجاب الدّعاء، له كرامات ومكاشفات، وآثار في الترهّب والعلم شهيرات"[4]، فلما توفي سنة 681هـ/1283م دفن في دار الرّاحة بالجامع الأعظم تنفيذًا لوصية يغمراسن بن زيان[5].

كما كان ليغمراسن اعتقاد في الفقيه أبي عبد الله محمد بن عيسى من أهل أغادير، وقد كان من الصلحاء وحج خمسا وعشرين حجة ونسبت له كرامات، وكان يغمراسن يأتيه إلى محله التماسا لدعائه[6].

وكان للسّلطان أبي العبّاس أحمد العاقل اعتقاد كبير في الصّوفي الزاهد أبي علي الحسن بن مخلوف الشهير بأبركان "فكان يكثر من زيارته و يقتبس من إشارته و مدار أكثر أموره عليه"[7]، وكان له هيبة كبيرة في نفسه[8].

أمّا بمصر فكان لسلاطين المماليك عناية خاصّة بأهل التصوّف، وشاركوا عامّة المجتمع المصري في الاعتقاد في الأولياء و العطف عليهم[9].

---

[1] – المرجع نفسه، ص 176.

[2] – Aboubekr Abdesselam Ben Chouaib, les marabouts Guérisseurs, Revu Africaine, n° 51, 1907, p. 250-255 – Couvet, Les Marabouts petits Monuments funéraires et notifs du Nord de L'Afrique, Revu Africaine, n° 64, 1923, p. 448-552.

[3] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 115.

[4] – المصدر نفسه، ص 114.

[5] – نفسه، ص 115.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص112.

[7] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 248.

[8] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 89.

[9] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 167.

وكان للسّلطان الظّاهر بيبرس البندقداري اعتقاد كبير في الشيخ خضر بن أبي موسى المهراني العدوي (ت 676هـ/1277م) [1]، وبني له عدّة زوايـــا في القاهرة والقدس ودمشق وبعلبك وحماه بالشام[2].

وكان الشّيخ خضر قد بشّر الظّاهر بيبرس قبل سلطنته بالملك، فلما تسلطن "صار له فيه العقيدة العظيمة حتّى أنّه كان ينزل إليه في الجمعة المرّة و المرتين، و كان يطلعه على غوامض أسراره و يستشيره في أموره ويستصحبه في أسفاره"[3].

وحدث أنّ تغيّر السّلطان الظّاهر عليه، و حبسه، و مال إلى قتله، فقال له الشّيخ خضر:"اسمع ما أقول لك، إن أجلي قريب من أجلك، و بيني و بينك مدّة أيام يسيرة، و من مات منّا لحقه صاحبه عن قريب"[4]، فكف الملك الظّاهر عن قتله و اكتفى بحبسه في شوال 671هـ/1271م، وتوفي الشّيخ خضر في ليلة الجمعة 6 محرم 676هـ/1276م، ودفن بزاويته بالحسينية بالقاهرة، وكان الملك الظّاهر بيبرس بدمشق، فلمّا بلغه موته اضطرب وخاف على نفسه من الموت، فمرض بعد ذلك بقليل و توفي، وكان بين وفاتهما دون الشهر[5].

وكان للسّلطان الظّاهر برقوق اعتقاد كبير في رجال التصوّف و مشايخهم، وكان يجلهم ويقضي حوائجهم و يقبل شفاعاتهم في المهمّات، ومنهم ابن المشَبب خليل بن عثمان بن عبد الرّحمن بن عبد الجليل الشّيخ المعتقد المغربي (ت 801هـ/1398م) [6]، الّذي كان للنّاس اعتقاد فيه، وكانوا يتبرّكون به و يقرؤون عليه، وخصّه الظّاهر برقوق بالعناية[7]، وكذلك الشّيخ الزّهوري العجمي (ت 801هـ/1398م)[8]، الّذي كان للنّاس اعتقاد كبير فيه لاسيما الظّاهر برقوق، و هو

---

1 – ابن الفرات، المصدر السابق، مج 7 ص72– ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 276 – الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص 10 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 431.

2 – النويري، نهاية الأرب، ج30، ص 378.

3 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 276-277.

4 – ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 431.

5 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 277.

6 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج13، ص 6 – السخاوي، الضوء اللامع، ج3، ص 200 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 545.– ابن إياس، بدائع الزهور، ج1، ص 550.

7 – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 262-263.

8 – المقريزي، السلوك، ج3، ص 976 – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 13، ص 10.

الّذي بشّره بالسّلطنة لما كان بدمشق[1]، و لما توفي الزّهوري داخل الظاهر برقوق الوهم ثمّ مرض إلى أن مات في شهر شوال سنة 801 هـ/1398م[2].

وكانت خوند شكر باي الأحمدية زوجة السّلطان خُشقدم[3] قد غلب عليها التصوّف، فاتبعت الطّريقة الأحمديّة و صارت تنسب إليها، و كانت تداوم على زيارة ضريح السّيد أحمد البدوي بطنطا و عندما توفيت جعل على نعشها خرقة مرقعة للفقراء، و جعل أمامه أعلام أحمدية بوصية منها[4].

إنّ هذه العينات عن اعتقاد ملوك وسلاطين بني زيان والمماليك في أولياء والصّالحين تكفي للدّلالة على مدى رسوخ هذه الأفكار في نفوس سكان المغرب الأوسط ومصر حكامًا ومحكومين، وصار هذا الاعتقاد ملازمًا للحياة الرّوحية بالبلدين وتأصّل وأصبح من أهم المميزات الّتي اصطبغت بها العلاقات والرّوابط الرّوحية بين البلدين، حيث صار المغاربة والمصريون على عقيدة واحدة وأفكار ومعتقدات متشابهة ومتمازجة، ازداد تعمقها وتأصلها عن طريق الرّحلات وحركة النّاس بين البلدين طلبة وحجيجًا ومريدين، وترك ذلك عميق الأثر في التوجّه الرّوحي العام للمجتمع بالبلدين.

ثـــانيـــا: علميـــــا و فنيـــا:

1 – بناء المدارس:

تعدّ المدارس من أهم المنشآت التعليميّة الّتي انتشرت ببلاد المشرق ثمّ انتقلت إلى المغرب، كما تعتبر من أبرز التّأثيرات الوافدة من مصر على المغرب الأوسط، و قلّد ملوك بني زيان سلاطين المغرب و المشرق في بنائها و الإشراف الرّسمي عليها و توفير طاقمها للتّدريس وفق منهج وسياسة واضحة في سبيل خدمة المذهب المالكي على وجه الخصوص.

---

[1] – ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج5، ص 367.

[2] – المصدر نفسه، ص 368.

[3] – هو الملك الظاهر أبو سعيد خُشقدم الرومي المؤيدي، تولى الحكم سنة 865هـ/1464م، حتّى وفاته في 872 هـ/1470م، و كان مكرمـا للعلماء معتقدا في الصالحين، و بنا مدرسة بالصحراء دفن بها بعد وفاته. السيوطي، نظم العقيان، ص 109 – الشوكاني، البدر الطـالع، ج1، ص 242 – السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص392.

[4] – عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، المرجع السابق، ص 167.

وكان المماليك بدورهم قد أخذوا هذا التّقليد من الأيّوبيين الّذين تأثّروا بالسّلاجقة في بناء المدارس و استخدامها لأغراض مذهبية و هي محاربة التّشيّع و نصرة المذهب السّني على العقيدة الأشعرية[1].

وكان الوزير السّلجوقي نظام الملك رائد حركة إنشاء و تعميم المدارس في العالم الإسلامي و تنشيط الحركة العلمية و الفقهية بعيدا عن التّأثيرات الشّيعية[2].

وكان ظهور المدرسة ببلاد المغرب قد تأخر بكثير عن ظهورها بالمشرق، و في المغرب الأوسط أسّس السّلطان أبو حمو موسى الأوّل مدرسة أولاد الإمام[3] لتكون فاتحة عهد إنشاء المدارس بالمغرب الأوسط.

إنّ ما ميّز الروابط الثقافيّة من خلال بناء المدارس إضافة إلى نشر التّعليم و تخريج الطّلبة، كان الهدف المشترك لبني زيان و المماليك من وراء ذلك، وهو خدمة السّياسة المذهبية للدّولتين، فكان بنو زيان يعملون على تدعيم المذهب المالكي في دولتهم فاستقدموا للتّدريس في مدارسهم كبار فقهاء المالكية في عصرهم أمثال إبراهيم بن يخلف التنسي الّذي كانت الفتاوى تأتيه من إفريقيّة و المغرب[4]، وابنيّ الإمام اللّذين ذاع صيتهما بالمشرق والمغرب[5]، وأبي موسى عمران المشدالي الّذي كان أحد أعلام المالكيّة في عصره[6]، وكذلك أبي عبد الله الشريف التلمساني[7] وغيرهم.

أمّا بمصر فكانت جميع المدارس الّتي أنشئت تهتم بتدريس المذاهب السّنية الأربعة المعتمدة من طرف الدّولة و هي: المذهب الشّافعي والمالكي و الحنفي و الحنبلي، و اشترط على متولي التّدريس بهذه المدارس الانتماء إلى إحدى هذه المذاهب[8].

---

[1] – عندما أسّس صلاح الدين الأيوبي المدرسة النّاصرية خصصها لتدريس المذهب الشّافعي في الفقه و العقيدة الأشعرية في علم الكلام، و نص على ذلك في اللوحة التأسيسية للمدرسة. المقريزي، الخطط، ج2، ص 363 – مني بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 119.

[2] – ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص 143-144 – نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 59.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 206 – يحي بن خلدون، المصدر السابق ج1، ص 130- William et Georges Marçais, op.cit, p.185

[4] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 126.

[5] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 182-183.

[6] – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 131- التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 249-254.

[7] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 164-184.

[8] – ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص 134 – المقريزي، الخطط، ج2، ص 344.

وكانت بعض المدارس المصرية مخصّصة لدراسة الفقه على المذاهب الأربعة مثل المدرسة الصّالحية[1] والمدرسة المنصورية[2] والمدرسة النّاصرية[3]، وكانت أخرى مخصّصة للمذهبين الشافعي والحنفي مثل المدرسة القطبية[4]، والمدرسة الفارقانية[5]، والمدرسة الظّاهرية[6]، والمدرسة الأقبغاوية[7]، ومدرسة الجاي[8]، ومدرسة أم السّلطان[9].

و خصّصت أخرى للمذهبين الشّافعي و المالكي مثل المدرسة الحجازية[10] والمدرسة المسلمية [11]، بينما خصّصت أخرى لمذهب فقهي معيّن مثل المدرسة الصّاحبية الّتي خصّصت للفقهاء المالكيّة[12] والمدرسة الصّرغتمشية الّتي خصّصت للفقهاء الحنفية[13]، المدرسة الطّيبرسية الّـــتي خصّصت للفقهاء الشّافعية[14].

هذا وقد انتقد بعض علماء المغرب الأوسط حركة بناء المدارس، و منهم الشّيخ محمد بن إبراهيم الآبلي، الّذي كان يقول:" إنّما أفسد العلم كثرة التّواليف، و إنّما أذهبه بنيان المدارس"[15]، واعتبر أنّ البناء يجلب الطّلبة لما كان يوفره من الجرايات، و الأجور، و أنّ المتخرّجين من هذه المدارس كانوا يتولّون المناصب العليا في الدّولة، ما كان يدفعهم للإقبال عليها ليس بدافع العلم وإنّما بدافع هذه المحفّزات[16].

---

[1] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 374.

[2] – المقريزي،المصدر نفسه، ص 379.

[3] – المقريزي، نفسه، ص 382.

[4] – المقريزي، نفسه، ص 368.

[5] – المقريزي، نفسه، ص 369.

[6] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 177.

[7] – المقريزي، الخطط، ج2، ص 383-384.

[8] – المقريزي، المصدر نفسه، ص 399.

[9] – المقريزي، نفسه، ص 400.

[10] – المقريزي، نفسه، ص 382.

[11] – ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص99.

[12] – المقريزي، الخطط، ج2، ص371.

[13] – المقريزي، نفسه، ص 403-404.

[14] – ابن دقماق، الانتصار، ج4، ص97.

[15] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 226 – ابن مريم، البستان، ص 216.

[16] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 216-217 – الحفناوي، المصدر، السابق، ص 96 – Bouali Sidi-Ahmed, op.cit, p. 8-21.

لكن ذلك لم يثني طلبة العلم عن التنقل بين المدارس التّلمسانية والمصرية طلبا للعلم على يد كبار الشّيوخ في مختلف أصناف العلوم، و وفرت هذه المؤسّسات فرصة اللّقاء بين طلبة المغرب الأوسط و نظرائهم المصريين و تبادل العلوم و الآراء ممّا دفع الحركة العلمية بالبلدين إلى الازدهار.

2 – تطـوّر مناهـج التّعليـم و طـرق التّـدريس:

نتج عن حركة العلماء بين المغرب الأوسط و مصر إطلاع هؤلاء على المناهج الّتي كانت معتمدة في التّعليم والتّدريس بأطواره المختلفة، فعملوا على الاقتباس منها وتوظيفها في حلقاتهم الدراسية بمدنهم الأصلية.

وكانت مدينة القاهرة تشهد حركة تعليمية نشيطة في عهد المماليك، ممّا دفع العلماء المغاربة إلى الارتحال إليها للاستفادة من المناهج المتّبعة لدى علمائها في التّدريس، فارتحل من إفريقية القاضي أبي القاسم بن زيتون[1] في أواسط القرن 7هـ/13م، فأخذ عن جماعة من العلماء ورجع إلى تونس بمنهج المشارقة في التعليم[2]، وارتحل من المغرب الأقصى أبو عبد الله بن شعيب الدّكالي وأخذ عن مشيخة مصر ورجع إلى تونس و استقرّ بها وكان تعليمه مفيدًا، فأخذ عنهما أهل تونس[3]،ولقّنا منهج تعليمهما لتلامذتهما جيلا بعد جيل، وانتقل منهجهما إلى تلمسان عن طريق ابني الإمام و تلامذتهما[4].

كما ارتحل من زواوة أواخر القرن 7هـ/13م أبو علي ناصر الدّين المشدالي[5] وأدرك جملة من جلّة المشايخ، وأخذ عنهم و استفاد من منهجهم في التّعليم، ورجع إلى المغرب بعلم غزير و تعليم مفيد ونزل بجاية ونشر بها طريقته في التّعليم[6].

---

[1] – هو قاضي الجماعة تقي الدين أبي القاسم بن أبي بكر بن مسافر اليمني التونسي المعروف بابن زيتون (621-691 هـ/ 1223- 1291م)، كانت له عدّة رحلات إلى المشرق الأولى سنة 648 هـ/1248م أخذ فيها عن العز بن عبد السلام و الفخر بن الخطيب، و الثانيـة سـنة 656 هـ/1257م. الغبريني، المصدر السابق، ص 114 – ابن فرحون، الديباج، ص99- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 193- ابن القاضي، درة الحجال، ج3 ص27.

[2] – ابن خلدون، المقدمة، ص 772 – مخلوف، المصدر السابق، ص 193.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 772.

[4] – ابن خلدون، المقدمة، ص772.

[5] – هو أبو عـلي ناصـر الدين منصـور بن أحمـد بن عبـد الحـق الـزواوي المـشدالي (631-731 هـ/1233-1331م)، دامـت رحلته إلى المشرق حوالي 20 عامًا، و هو أوّل من أدخل مختصر ابن الحاجب الفرعي إلى بجاية و المغرب. انظر: يحي بن خلدون، المصدر الـسابق، ج1، ص 132ابن قنفذ، الوفيات، ص 54 – الغبريني، المصدر السابق، ص 200 – التنبكتي، المصدر السابق، ص344- محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 218- ابن القاضي، درة الحجال، ج3، ص9 .

[6] – ابن خلدون، المقدمة، ص 775.

ومن إفريقية و بجاية انتشرت مناهج التّعليم الّتي اقتبست من المشرق، و وصلت إلى تلمسان عن طريق حركة الطلبة والعلماء بين هذه الأقطار.

أمّا في مصر فلم ينقطع سند التّعليم بها، وفي ذلك يقول ابن خلدون:"بل أسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتّصال العمران الموفور واتّصال السند فيه"[1].

وأبرز المناهج الّتي أدخلت من مصر إلى المغرب الأوسط في مجال التّدريس هي طريقة السّؤال و الجواب أو المحاورة الّتي انتقلت إلى إفريقية ثمّ إلى تلمسان عن طريق ابني الإمام و عمران المشدالي، ولقيت هذه الطّريقة القبول لدى العلماء و الطّلبة التّلمسانيين، و أصبح الطّالب يقوم بدور محوري في الوصول إلى المعلومات أثناء الدّرس، وكان الأساتذة يقومون بالتّوجيه و إدارة المناقشات بين الطّلبة[2]، و نتيجة لذلك ازدهر التّعليم بتلمسان ومدارسها.

كما انتقلت من مصر ظاهرة الكراسي العلمية، ونقل هذا التّقليد عن طريق الرّحلة، فأصبح العلماء يلقون دروسهم وهم جلوس وسط طلبتهم على كرسي.

وكانت ولاية الكراسي العلمية في بلاد المغرب كولاية القضاء و الفتيا و الوزارة، وكان السّلاطين يشرفون شخصيا على إسناد هذه المناصب لمن تتوفّر فيهم المؤهلات العلمية[3]، وكان كلّ كرسيّ مخصّص لإحدى المواد الدراسيّة الّتي كانت تدرّس بالمساجد و المدارس، وكانت هناك كراسي أخرى مخصّصة للعامّة من أجل الوعظ، فضلا عن الكراسي المخصّصة للتّدريس[4]، واعتبر بعض الفقهاء التّدريس على الكرسي بدعة[5]،وتصدى آخرون لإباحتها حتّى يتمكّن الأساتذة من إيصال المعلومات لجميع الطّلبة[6].

وفي مجال تعليم المرأة، لم يشتهر هذا النّمط من التعليم بالمغرب الأوسط، وانحصر في طبقة الحكام و الفقهاء و العلماء الّذين حرصوا على تعليم بناتهم في حدود المنـــزل و ليس في المؤسّسات التّعليمية كالمدارس[7]، و يبدون أنّ اهتمام هذه الفئة بتعليم البنات كان بدافع ما

---

1 – المصدر نفسه، الصفحة عينها.

2 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 353.

3– إدريس عزوزي،"الكراسي العلميّة بجامعة القرويين أيام ازدهارها وإشعاعها الفكري"،مجلة الحضارة الإسلاميّة، ع1،س1، أبريل 1993، ص103.

4 – الحسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 177-178– اسكان الحسن، المرجع السابق، ص52.

5 – الونشريسي، المعيار، ج2، ص 486.

6 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 349.

7 – ابن قنفذ، أنسر الفقير، ص 44-46 – اسكان الحسن، المرجع السابق، ص143.

شاهده بعض العلماء الّذين ارتحلوا إلى المشرق من وجود كثير من النّساء العالمات و الفقيهات في شتّى العلوم، خاصّة الدّينية منها، و نجد في تراجم علماء المغرب الأوسط بعضًا من شيوخهم من النّساء أخذوا عنهم العلم بمصر و الحجاز.

ومن عالمات مصر زينب بنت عزّ الدّين بن عبد السّلام (ت:735 هـ/1335م) الّتي أجازها العلماء، وكانت تروي المعجم الصّغير للطّبراني[1]، وسارة ابنة القاضي عز الدين بن جماعة (ت:763هـ/ 1367م)، التي سمعت الحديث على جدّها وحدثت [2]، والشّيخة الصّالحة أم أحمد أسماء ابنة الإمام المحدّث شرف الدين يعقوب بن أحمد بن يعقوب بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الصّابوني بالقاهرة(ت: 762هـ/1362م) [3].

أمّا بتلمسان فبرزت بعض المثقّفات منهنّ السّيدة فاطمة بنت العالم التّاجر أبي زيد النّجار وزوجة أبي عبد الله محمد بن مرزوق[4]، والمرأة الصّالحة المتصوّفة الشّهيرة بالمؤمنة التّلمسانية[5]، وعائشة بنت العالم القاضي الفقيه أحمد بن الحسن المديوني الّتي ألّفت مجموعا في الأدعية والأشعار[6].

3 – الإجـــازات العـــلميـــة:

كانت تبادل الإجازات العلمية بين علماء و طلبة المغرب الأوسط و مصر من أبرز مظاهر العلاقات الثّقافية في الجانب العلمي، و كان الطّلاب يترددون باستمرار بين المراكز الثّقافية في المغرب و المشرق للتّعمق في العلوم، حتّى إذا عادوا إلى بلدانهم و تهيئوا للتّدريس كانوا على بينة وإلمام بالمواضيع الّتي يمكن أن يطرحها عليهم الدارسون[7].

وكان طلبة المغرب الأوسط لا يكتفون بالإجازات الّتي كانت تمنح لهم من طرف شيوخهم بتلمسان، بل كانوا يرتحلون إلى الأقطار الإسلامية الأخرى، خاصّة مصر لأخذ العلم من منابعه،

---

[1] – الذهبي، المصدر السابق، ج 17، ص 557-558.

[2] – ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص84.

[3] – ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص60.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 355.

[5] – ابن قنفذ، أنس الفقير، ص 81.

[6] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 252.

[7] – أحمد شلبي، **تاريخ التربيّة الإسلاميّة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة 1973، ص 245-246.

وعن الشيوخ المبرزين و نيل الإجازات عنهم، وعبّر عن ذلك أحد الباحثين بقوله:" وذلك ما يمكن تسميته بالتّبادل الثّقافي بين بلدان المغرب والمشرق، حيث لعبت هذه الطّريقة دورًا هاما في توحيد الثّقافة والعلم و امتزاج طرائقها وأساليبها المتعدّدة في الهيئات العلمية ممّا وحّد المناهج التّعليمة وطرائق البحث في العالم الإسلامي"[1].

وكانت الإجازة تعني عند العلماء الإذن في الرّواية،[2] و كانت في الأصل تمنح لدارسي الحديث، ثمّ عمّمت على سائر العلوم، و كانت تدلّ على المستوى العلمي الّذي بلغه الطّالب بعد تحصيله لعدّة علوم نقلية و عقلية، ممّا كان يهيئه للتّدريس[3]، و اشترط في المجيز أن يكون عالما لما يجيز به و ثقة في دينه و روايته[4] و أن يكون المستجيز من أهل العلم[5]، وبعد الإجازة يصبح الطّالب شيخا، و يترقّى إلى مصاف العلماء والفقهاء و الأدباء، و تتميّز مكانته في المشيخة العلمية بين أقرانه[6].

وتزخر تراجم علماء المغرب الأوسط و مصر بأنواع الإجازات الّتي أخذها هؤلاء عن بعضهم البعض، و كان من عادة أي عالم أن يكثر من الإجازات في رحلته العلمية، حيث يأخذ من كلّ مدينة يمر بها إجازة من شيوخها، و ذلك ما يدلّ على مدى سعي طلّاب العلم في الاستزادة من الإجازات لتدعيم مصداقيتهم العلمية، لذلك كان العلماء والطّلبة المرتحلون يستغلون فرصة مرورهم بإحدى الحواضر بالمشرق أو المغرب لنيل الإجازة، و ذكر عبد الباسط بن خليل أنّه أخذ العلم عن الطّبيب موسى بن صموئيل بن يهودا الإسرائيلي بتلمسان فأجازه[7]، وكان قاسم بن سعيد العقباني لما حضر بمصر إملاء ابن حجر و استجازه، أجازه ابن حجر العسقلاني[8].

وكانت الإجازات عادة ما تكتب في آخر المؤلفات الّتي كان الطّلبة يرغبون في الاستجازة فيها، ففي تفسير الثّعالبي المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن وجد في آخر أسفل النّسخة إجازتان يرجع عهدهما إلى ثلاثين سنة قبل وفاة المؤلف و هي بخط الثّعالبي، و فيها ذكر المستجيز طريقته نشر تأليف الثعالبي خصوصا في التفسير، وممّا جاء فيها:" قرأت على الشيخ العالم المتفنن

---

1 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 101.

2 – الونشريسي، المعيار، ج11، ص 15-16.

3 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص 356 – سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 41.

4 – الونشريسي، المعيار، ج11، ص 15-16.

5 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 64 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 307- أحمد شلبي، المرجع السابق، ص 267.

6 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 357.

7 – عبد الباسط بن خليل، رحلة، ص 44.

8 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 148.

المحدث الزّاهد الورع الحاج المبرور و الحافظ المقرئ الثّبت أبي زيد سيدي عبد الرّحمن بن الشّيخ الصّالح الزاهد سيدي محمد بن الشّيخ الصّالح الزاهد المتبرّك به سيدي مخلوف نفعني الله بهم جميعًا، و أعاد عليّ بركاتهم، ختمت عليه من تواليفه النّفيسة و تصانيفه الرّفيعة الّتي أقام الله بها الدّين... ورويته تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن...." [1].

وكتب الثّعالبي تحت إجازة تلميذه ما يلي: "الحمد لله سمع علي الفقيه المحبّ الفاضل إسماعيل بن إبراهيم السّنجاسي هذا السّفر إلى سورة سبأ وأجزته أن يرويه عني ويقرئه مثبتا ومتحرّيا بالوقف على الخوض فيما لم يصل إليه فهمه"[2].

وكان بعض الشّيوخ يكتب نسب المجاز له في الإجازة، وذكر الشّيخ أبو الفضل بن الإمام التلمساني عند تعرضه لنسب الشّيخ المقري قائلا: "نطقت به الألسن و المكاتبات و الإجازات"[3]. كما اشتهر بالبلدين أن يذكر على الإجازة اسم الطّالب و شيخه و مذهبه و تاريخ الإجازة، خاصّة في مصر الّتي تعدّدت بها المذاهب السّنية[4].

4 – حـركـة الجـدل و المناظـرات العـلميـة:

عرفت المناظرات العلمية منذ أقدم العصور، وفي العالم الإسلاميّ ذاع صيت مناظرات الخليفة العبّاسي المأمون الّذي خصّص لها يوما في الأسبوع لمناظرة العلماء و الفقهاء والمتكلمين[5].

وكانت المناظرات العلمية وسيلة فعّالة و عقلية و منظّمة للرّد على أهل المذاهب الّتي كانت محرمة في البلدان الإسلامية، كما كانت عبارة عن فرصة يتمكّن من خلالها العلماء من تبادل الآراء والنقاش حول أفكار معيّنة في أصناف مختلفة من العلوم.

وقد عمل سلاطين الدولتين الزيانية والمملوكية على إحياء مجالسهم بالمناظرات، وكان السلطان أبو تاشفين عبد الرّحمن الأوّل يجلس في مجلسه، ويتناظر أمامه العلماء مثل المناظرة الّتي

---

[1] – المهدي البوعبدلي، "اهتمام علماء الجزائر بعلم القرآءات في القديم والحديث"، **ضمن كتاب الأصالة:** ج1، دار البحث، قسنطينة 1983، ص 154-155.

[2] – المرجع نفسه، ص 156.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 172.

[4] – بيبرس الدوادار، المصدر السابق، ص 18.

[5] – أحمد فريد رفاعي، **عصر المأمون**، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1927، ص406 – منى بهجت، المرجع السابق، ج1، ص 135 – وصفى أبو مغلي، "مساهمة الحضارة و الفكر الإسلاميين في مختلف مجالات العلوم و الفنون"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، المجلد 2، بجاية 1974، ص 887.

حدثت بحضرته بين الشّيخين العالمين أبي زيد عبد الرّحمن بن الإمام، وأبي موسى عمران المشدالي في مسألة التّقليد و الاجتهاد[1].

واعتنى المماليك بالمناظرات خاصّة و أنّهم كانوا في حرب مستمرّة ضدّ بعض العقائد كالشّيعة و مذهب بن تيمية، الّذي تعد مناظراته الكثيرة إحدى مميزات الحوار الفكري بين مختلف المذاهب و الآراء في الفقه على وجه الخصوص[2].

وازدادت أهمية المناظرات و كثر انتشارها تبعًا لحركة بناء المدارس، حيث كانت المكان الأمثل لالتقاء أهل العلم من جميع المذاهب والتّخصّصات العلمية، وفيها كان يتم تبادل الآراء حول المسائل المختلفة في جميع أصناف العلوم، وساهمت هذه المناظرات في تشجيع الحوار الفكري و العقلي بين علماء البلدان الإسلامية على اختلاف مذاهبهم.

وأشهر المناظرات الّتي حدثت بين علماء المغرب الأوسط و علماء الدّولة المملوكية:

أ – مناظـــرة ابـــني الإمـــام لابن تيمية:

ذكرت المصادر التاريخية أنّ ابنا الإمام أبي زيد عبد الرّحمن و أبي موسى عيسى قد ارتحلا إلى بلاد المشرق في حدود سنة 720هـ/1320م وناظرا الشّيخ تقيّ الدّين بن تيمية فظهرا عليه[3].

وكان الشّيخ ابن تيمية أحد الأعلام الكبار في عصر المماليك، و قد وقعت له محن كثيرة بسبب بعض مواقفه و آرائه الفقهيّة الّتي خالف فيها الفقهاء من المذاهب السنيّة الأربعة، و فيه يقول الذهبي:"كان قَوّالاً للحق، نهاءًا عن المنكر و كان يحتج للمسائل المفردة بالقرآن و الحديث أو القياس و يبرّرها و يناظر عليها و يطيل الحديث"[4]، وقال عنه الكتبي:"لا يعرف أنّه ناظر أحدًا فانقطع منه"[5].

---

[1] – الونشريسي، المعيار، ج11، ص 383 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 183-184.

[2] – أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج2، ص 77-113.

[3] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 182 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 166 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 123 – الحفنـــاوي، المرجـــع السابق، ص 210 – عبد الرّحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 165.

[4] – الذهبي، المصدر السابق، ج17، ص 542.

[5] – الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 65.

وكان ابن تيمية قد بلغ رتبة الاجتهاد في وقته، و اجتهد في مسائل فقهية كثيرة، منها مسألة الطّلاق الثلاث[1] الّتي ربّما تكون أحد المواضيع الّتي ناظره فيها ابني الإمام، خاصته و أنّها حدثت في السّنة التي ارتحلا فيها إلى مصر و هي سنة 720هـ/1320م، حيث عقد مجلس لابن تيمية بحضرة نائب السّلطنة في الدّولة المملوكية، و حضر القضاة و المفتون من المذاهب، و حضر الشّيخ ابن تيمية وعاتبوه على الإفتاء بمسالة الطّلاق ثمّ حبسوه بالقلعة[2].

وذكر ابن بطوبة في رحلته بعض الأمور و المواقف المتعلّقة بابن تيمية، لكن يبدو أنّه كان متحاملاً ضدّه ما يدفعها للاحتراز ممّا أورده، خاصّة مسألة حمل حديث النزول على ظاهره و قوله كنزولي هذا وقيام العامّة إليه وضربه بالأيدي والنعال[3]، خاصّة وأنّ ابن تيمية كان فقيهًا ذائع الصّيت ببلاد الشّام، و كان له أتباع، و حتّى سلاطين المماليك الذّين قاموا ضد مذهبه قد استعانوا به في بث روح الحماس و الجهاد لدى المسلمين لقتال التّتار[4].

و مهما يكن فقد زادت مناظرة ابني الإمام للشّيخ ابن تيمية من شهرتهما في المشرق، فذاع صيتهما و أصبحا مقصدًا للطّلبة و العلماء للأخذ عنهما[5].

ب – مناظرة محمد بن عبد الكريم المغيلي للجلال السّيوطي في علم المنطق:

عرّف ابن خلدون علم المنطق بقوله:"هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات، وذلك لأنّ الأصل في الإدراك إنّما هو المحسوسات بالحواس الخمس"[6].

---

[1] – كان الحلف بالطلاق عاما بين النّاس و رآه ابن تيميّة على أنّه أسلوب من القسم و تنفذ عليه الأحكام المتعلّقة بالطلاق، و قال أنّ على الحالف أن يحنث إذا خالف قوله و عمل بخلافه و تلزم عليه كفارة اليمين من غير وقوع الطلاق. و كانت هذه الفتوى تعارض القول المشهور بين الفقهاء، و أحدثت اضطرابا عاما، و منعت الفتوى، كما كان ابن تيمية يقول بأنّ المطلّق بالثلاث في كلمة واحدة لا تلزمه إلاّ طلقة واحدة. أبو الحسن الندوي، المرجع السابق، ج2، ص 112-113.

[2] – ابن الوردي، المصدر السابق، ص382- 386- ابن كثير، البداية و النهاية، ج14، ص 97 – المقريزي، السلوك، ج1، ص 16 ، ص 400 – ابن عبد الهادي، العقود الدرية، ص194- 197 – ابن تيمية، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، ج5، جمع وترتيب: عبد الرحمن النجدي، مطابع الرياض، السعودية، 1381هـ ، ص 194 – 225.

[3] – ابن بطوطة، المصدر السابق، ج1، ص 111-112.

[4] – الكتبي، فوات الوفيات، ج1، ص 71 – محمد أبو زهرة، **ابن تيمية**، ط2، دار الفكر العربي، 1958، ص39.

[5] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 124 – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 139 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 166 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 123-124.

[6] – ابن خلدون، المقدمة، ص 908 – ابن زكري ،المصدر السابق، ج1، ص 337.

وكان علم المنطق منذ القديم محلّ الرّفض والنّكير من طرف بعض الفقهاء المسلمين الّذين طعنوا فيه،وحظروا الخوض في مسائله، وأباح بعضهم الآخر الاشتغال به وبيّنوا فوائده وفضائله[1].

وقد اهتم بعض علماء المغرب الأوسط بهذا العلم و ألّفوا فيه المصنفات خاصّة الشّروح على جمل الخونجي[2] الّتي كانت عبارة عن طلاسم يصعب فهمها و حفظها فعكف علماء تلمسان على تبسيطها، ومنها شرح محمّد بن العبّاس التلمساني (ت871هـ/1466م) [3]، وشرح سعيد العقباني[4] وشرح الإمام المقري الجدّ[5] وشرح محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد[6].

كما ألّف محمّد بن يوسف السنوسي عدّة مصنفات في المنطق منها: شرح مختصر ابن عرفة وشرح إيساغوجي للبقاعي و غيرها[7].

وألّف محمّد بن عبد الكريم المغيلي مؤلّفات في شرح جمل الخونجي ومقدّمة في علم المنطق ومنظومة فيه سماها "منح الوهاب" ، ثمّ كتب ثلاثة شروح عليها[8].

وكانت للمغيلي مناظرة في هذا العلم مع الإمام جلال الدين السيوطي، هذا الأخير الّذي ألّف كتابا في تحريم علم المنطق، وذكر شمس الدين السّخاوي أنّه جرّده من مصنّف لابن تيمية "فقام عليه الفضلاء" بحيث كفّه بعض العلماء عنه وأخذ ما كان استكتبه في المسألة[9].

---

1 – ابن خلدون، المقدمة، ص 913.

2 – هو محمّد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشافعي نزيل مصر (ت 646 هـ/1247م)، كان منطقيا حكيما، من مؤلفاته أدوار الحميات في الطب، الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق. شرح مقامة ابن سينا في النبض، الموجز في المنطق، كشف الأسرار عن غوامض الأفكار في المنطـــق. الذهبي، المصدر السابق، ج16، ص 469 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602.

3 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 223.

4 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 106 – التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 125.

5 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 254.

6 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602.

7 – التنبكتي، المصدر السابق، ص329 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 246.

8 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 255-256 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 274.

9 – السخاوي، الضوء اللامع، ج4، ص 66.

و كان المغيلي من الذين انتصبوا للدّفاع عن علم المنطق و أهميته، فكتب للإمام السّيوطي رسالة ضمّنها قصيدة ناقشه فيها و حاجّه على تنفيره من دراسة المنطق مع أنّه الوسيلة الضّرورية لإدراك الحقيقة و حاول أن يكون قوي الحجّة و جاء في قصيدته[1]:

سمعت بأمر ما سمعت بمثله ... وكلّ حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجّة ... و ينهى عن الفرقان في بعض قوله
هل المنطق المعني إلاّ عبارة ... عن الحق أو تحقيقه حين جهله؟
معانيه في كلّ الكلام فهل ترى ... دليلا صحيحا لا يرد لشكله؟
أرني هداك الله منه قضية ... على غير هذا تنفها عن محلّه
و دع عنك ما أبدى كفور و ذُمّه ... رجال و إن اثبت صحّة نقله
خذ الحق حتّى من كفور و لا تقم ... دليلا على شخص بمذهب مثله
عرفناهم بالحقّ لا العكس فاستبن ... به لا بهم إذ هم هداة لأجله
لئن صحّ عنهم ما ذكرت فكم هم ... و كم عالم بالشرع باح بفضله

فأجابه السّيوطي بقصيدة أخرى أبدى من خلالها تعجبه من ميل كثير من العلماء بما فيهم المغيلي لدراسة علم المنطق وتحجج بأنه من علوم الكفرة وأنه لا يجوز للمسلمين الاشتغال به، ودافع عن كتابه الّذي صنّفه في تحريم علم المنطق، وختم قصيدته بالثّناء و التّقدير للمغيلي وجاء في ردّه:

حمدت إله العرش شكرا لفضله ... وأهدي صلاة للنبيّ و أهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثله ... أتاني عن حبر أقرّ بفضله
تعجّب منّي حين ألّفت مبدعا ... كتابا جموعًا فيه جم بنقله
أقرر فيه النهي عن علم المنطق ... وما قاله من قال من ذم شكله
وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل ... فذا وصف قرآن كريم لفضله
و قد قال محتجًّا بغير رواية ... مقالاً عجيبًا نائيًا عن محله
و دع عنك ما أبداه كفور و بعد ذَا ... خذ الحقّ حتى من كفور بختله

[1] – التنبكتي، المصدر السابق، ص332– ابن مريم، المصدر السابق، ص 256 – المغيلي، مصباح الأرواح ، ص 11 – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 155-156.

و قد جـــاءت الآثار في ذم من حوى علوم يهود أو نصارى لأهلـــــه
يجوز به علمًا لديه و إنّـــــــــه يـــعذّب تعـــــذيبًا يليق بفعلـــه
و قد منع المختـــــــار فاروق صحبه و قد خط لوحًا بعد توراة أهلـــــه
وكم جـــــاء من نهي اتباع لكافـــر و إن كان ذاك الأمر حقّا بأصلـــه
أقمت دليـــلاً بالحديـــث و لم أُقِـــم دليـــلاً على شخص بمذهب مثلـــه
ســـــلام على هذا الإمام فكم لـــه لـــدي ثنـــاء و اعترافا بفضلـــه[1]

ومن خلال هذه المناظرة يتضح لنا مدى والاحترام والتّقدير المتبادل بين علماء المغرب الأوسط ومصر.

5 – الوراقـــة و النّســـخ و تبـــادل الكتـــب:

ازدهرت الوراقة في العالم الإسلاميّ، و ظهر كثير من الورّاقين البارعين، واستُعمل ورق البردي خصوص في عملية النّسخ في مصر و الشام، و كان يسمى القرطاس، ومن مصر دخل البردي إلى بلاد المغرب عن طريق التجارة[2].

واتسع نطاق صناعة الوراقة بسبب كثرة التآليف العلمية و الدواوين، و حرص النّاس على تداولها و تناقلها عبر الأقطار جيلا بعد جيل فانتسخت و جلّدت[3].

وظهر بالمغرب الأوسط و مصر فئة من الورّاقين اهتموا بنسخ التّراث العربي الإسلاميّ العلمي والأدبي، و اتّخذوا ذلك حرفة لهم.

ففي تلمسان، ازدهر فنّ النّسخ، خاصّة نسخ المصاحف والكتب النّفيسة القديمة، وكتب الصّحاح، فضلا عن المصنّفات المحلية ومختلف المؤلّفات العلمية والأدبية، وتطوّر تبعًا لذلك فنّ الخطّ والتّحليد والتّوريق والتّذهيب وتلوين الحروف، وتجميل المخطوطات لإخراجها في ثوب يليق بمضمونها العلمي[4].

---

[1] – التنبكتي، المصدر السابق، ص332– ابن مريم، المصدر السابق، ص 257 – المغيلي، مصباح الأرواح، ص 17.

[2] – حسين محمد سليمان، التراث، **العربي الإسلامي دراسة تاريخيّة مقارنة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائـــر، 1988، ص 188-190 – الكتاني، المصدر السابق، ج2، ص 242-243.

[3] – ابن خلدون، المقدمة، ص 755.

[4] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 336.

وتنافس الخطّاطون والفقهاء والطّلبة وحتّى بعض السّلاطين الزيانيين في نسخ الكتب والمصاحف، فهذا السّلطان أبو زيان بن أبي حمو قد نسخ نسخة من المصحف الشريف بيده وحبّسها، و نسخة من صحيح البخاري و نسخا من الشفاء للقاضي عياض، جعلها بخزانته[1].

وذكر ابن مرزوق الخطيب في المجموع عن أحد أفراد أسرة المرازقة وهو أبو عبد الله بن مرزوق الأكبر قائلا: فكان قد اشتغل بالقراءة وغلب عليه علوم القرآن، وكان مصحفيا يكتب المصاحف التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس، وأدركت منها ربعة...غاية في الحسن خطا وضبطا،...ضاعت في دخلة تلمسان سنة سبع وثلاثين وكان مع ذلك تاجرا...وكانت له..حانوت بالقيسارية ينسخ فيها ويبيع السلع[2] . واشتهر محمّد السّنوسي بنسخ الكتب، وكتب نحو ثلاثين كتابا بخطه كلّفه بها أحد شيوخه[3].

وفي مصر اشتهر كثير من الخطّاطين والورّاقين وكانت صناعة الوراقة حرفة كثير من الطّلبة والفقهاء والصّوفية، و ممّن ذاع صيتهم في هذا المجال: الشّيخ زين الدّين عبد الرّحمن يوسف بن الصائغ (ت 845هـ/1442م) الّذي كان صاحب مدرسة في الخطّ، وكان شيخ النّساخ والكتاب في عصره، ونسخ عدّة مصاحف وقصائد بخطّه وقرّر في عدّة مدارس بالقاهرة لتعليم الخطّ[4].

وتأثر الخطّاطون في تلمسان بنظرائهم في مصر، واشتغل بعضهم بالخطّ المشرقي والمغربي مثل ابن مرزوق الخطيب الّذي كان يحسن الكتابة بالخطّين معًا[5].

وكانت الكتابة العربية قد وفدت إلى المغرب مع الفاتحين المسلمين، وأدّت رحلات المغاربة إلى المشرق و اطلاعهم على طريقة الكتابة المشرقية إلى اقتباس كثير من التّقنيات في هذا المجال، فأقبلوا على ترتيب الحروف الهجائية مع اختلاف يسير عن المشارقة، واستعملوا الإعجام مع نقط القاف بواحدة من أعلى، والفاء نقطة من أسفل، واستعملوا الشّكل لبيان الحركات الإعرابية بطريقة الخليل بن أحمد[6]، كما كانوا يكتبون أسماء السّور في المصاحف بخطّ الثّلث المشرقي[7].

---

[1] – التنسي، تاريخ بني زيان، ص 211.

[2] – ابن مرزوق، المجموع، ورقة 3.

[3] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 243.

[4] – السخاوي، الضوء اللامع، ج2، ص 162 – القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص 100-101.

[5] – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج2، ص 336.

[6] – هو أبو عبد الرّحمن بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي (ت 160 هـ/778م)، أوّل من استخرج العروض و ضبط اللّغة. انظر: أبو البركات كمال الدين الأنباري، **نزهة الألباب في طبقات الأدباء**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 49-51.

[7] – محمد سعيد شريفي، **خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من ق 4-10 هـ**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 245.

وكانت الكتب المنسوخة توقف وتحبّس على المؤسّسات التّعليمية كالمساجد والمدارس والزّوايـــا والخانقاوات، وكانت تزوّد بها المكتبات، في حين خصّصت بعضها لترسل إلى البقاع المقدّسة بالحجاز لوقفها على الحرمين الشّريفين أو بالقدس الشّريف[1].

مكّنت حركة النسخ و صناعة الوراقة من توفير الكتب و المؤلّفات في جميع أصناف العلوم، وتزامن ذلك مع حركة التأليف و غزارة الإنتاج العلمي لعلماء المغرب الأوسط و مصر على حدّ سواء، و أصبحت مؤلفاتهم تقطع المسافات بين المشرق و المغرب تبعًا لحركة العلماء و رحلاتهم في طلب العلم، وكذلك حركة التجارة بما فيها تجارة الكتب، وكانت المؤلّفات تصل من المشرق إلى المغرب عن طريق المرتحلين و الحجيج و التجار الّذين كانوا يعملون على اقتنائها من تلقاء أنفسهم أو بطلب من نظرائهم، مثلما حدث مع عبد الرّحمن بن خلدون الّذي وجّه إليه الوزير الغرناطي والشّاعر ابن زمرك[2] رسالة بأسماء كتب معيّنة ليقتنيها له من مصر سنة 789هـ/1387م، وممّا جاء فيها:" و المرغوب من سيدي أن يبعث لي ما أمكن من كلام فضلاء الوقت و أشياخهم على الفاتحة[3]...والسفر الأوّل من تفسير أبي حيان، وملخّص إعرابه وكتاب المغني لابن هشام..." [4].

كما كان لبعض علماء المغرب الأوسط قصب السبق في إدخال بعض الكتب غير المألوفة إلى المغرب الأوسط مثل محمد بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن محمد بن الإمام (ت:845هـ/ 1442م) الّذي أدخل كتاب شامل بهرام و شرحه على المختصر، وحاشية التّفتازاني على العضد، و شرح ابن هلّال على ابن الحاجب الفرعي[5].

وكان علماء المغرب يبعثون بكتبهم لتحبّس على رواق المغاربة بالجامع الأزهر مثل كتاب القواعد للإمام المقرّي الجدّ[6]، كما بعث لسان الدّين بن الخطيب نسخة من كتابه الإحاطة لتوقف

---

[1] – سعيد شريفي، المرجع نفسه، ص 58.

[2] – أبو عبد الله محمد بن يوسف الوزير الغرناطي (توفي بعد 795هـ/1393م)، تولى الوزارة بدولة بني نصر بعد لسان الدين بن الخطيب، وكان كاتبا وأديبا وشاعرا. ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص282– التنبكتي، المصدر السابق، ص282–283– مخلوف، المصدر السابق، ص231– 232.

[3] – كتب العلماء والمفسرون الكثير حول تفسير سورة الفاتحة. انظر: حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 454–456.

[4] – ابن خلدون، التعريف، ص 1090–1091.

[5] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 221.

[6] – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 232.

على أهل العلم في خانقاه سعيد السّعداء، و اعتمد عليه كثير من المؤرخين المصريين كالمقريزي والسّيوطي وابن دقماق والحافظ ابن حجر العسقلاني[1].

ودخلت إلى بلاد المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة عدّة كتب مصرية لقيت عناية العلماء الذّين عكفوا على دراستها و شرحها و اختصارها وتدريسها في المساجد والمدارس ومن أشهر هذه المؤلفات:

مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي:

وقد ألّفه أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت 646 هـ/1248م) [2] الّذي يعد أوّل من جمع بين فقه المالكيّة في مصر و بلاد المغرب، و كتابه عبارة عن مؤلّف لخص فيه طرق أهل المذهب المالكي في كلّ باب، و عدّد أقوالهم في كلّ مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب[3]، و أدخله إلى بلاد المغرب كبير مشيخة بجاية أبي علي ناصر الدّين الزّواوي الّذي كان قد ارتحل إلى مصر و أخذ العلم على أصحاب أبي عمرو بن الحاجب، و نسخ مختصره، و جاء به و نشره ببلده، و من بجاية انتقل إلى سائر أقطار المغرب بما فيها تلمسان[4]، وأكب الطلبة على دراسته وقراءته وتداوله، حتّى صار من مصادر الفقه المالكي و أحد الكتب الأساسيّة في تدريس العلوم الدينيّة في بلاد المغرب بأكملها[5].

---

[1] -لسان الدين بن الخطيب، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981، ص367- المقري، نفح الطيب، ج8، ص 288-289.

[2] – هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدّوني ثم المصري الفقيه المالكي الذائع الصيت المعروف بابن الحاجب و الملقب بجمال الدين. كان أبوه حاجبًا لأحد الأمراء و كان كرديا، و اشتغل ابن الحاجب بالقرآن في القاهرة، ثم تفقه على مذهب مالك و في العربيّة و القراءآت و برع فيها، ثمّ انتقل إلى دمشق و درس بجامعها، و أكب عليه الطلبة، ألف في الفقه المختصر الفرعي و الأصلي و في العربيّة و الأدب و القراءات . توفي بالإسكندريّة سنة 646 هـ/1248م و كان مولده سنة 570 هـ/1174م. انظر ترجمته في: النعيمي الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص 3- ابن فرحون، المصدر السابق، ص 189- ابن كثير، البداية و النهاية، ج13ن ص 176- ابن دقماق، نزهة الأنام، ص 180-181- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 492- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص 36- المنهل الصافي، ج7، ص 421-423- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج5، ص 234- محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 167 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 49-50- محمود زيتون، المرجع السابق، ص 185-186- حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 162-593.

[3]- ابن خلدون، المقدّمة، ص 808.

[4] – ابن خلدون، المقدّمة، ص 809 – الغبريني، المصدر السابق، ص 200 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 167-218 – ابن قنفذ، الوفيات، ص 54.

[5] – ابن مريم، المصدر السابق ، ص99- محمّد بوشقيف، المرجع السابق، ص 121.

وإضافة إلى هذا المختصر في الفروع، تداول علماء و طلبة المغرب الأوسط كتابا آخر لابن الحاجب في الأصول و هو مختصره الأصلي أو المختصر الكبير المسمّى "السّول و الأمل في علمي الأصول و الجدل"[1]، واعتنوا بشرحه و دراسته مع المختصر الفرعي، وأهم ما كتب حولهما :

- صنّف أبو زيد عبد الرّحمن بن الإمام (ت:743هـ/1343م) كتابًا ضمنه شرحًا لمختصر ابن الحاجب في الفروع[2]، كما ألّف ابن أبي حجلة التلمساني (ت:776هـ/1374م) شرحًا لمختصر ابن الحاجب الأصلي[3]، وألّف أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب شرحًا لابن الحاجب الفرعي سماه "إزالة الحاجب على فروع ابن الحاجب"[4] وصنف ابن مرزوق الحفيد "شرح فرعي ابن الحاجب"[5]، وألف ابن زاغو التلمساني شرحًا على مختصر ابن الحاجب الفرعي وبعض الأصلي[6]، وألّف سعيد العقباني شرحًا على ابن الحاجب الأصلي[7]، كما ألّف محمّد عبد الكريم المغيلي "شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب"[8] وألف الشّيخ السّنوسي تعليقا على فرعي ابن الحاجب[9]، وألّف أحمد بن يحي الونشريسي تعليقا على ابن الحاجب الفرعي في ثلاثة أسفار[10]. وألّف ابن زكري،"بغية الطالب في شرح عقيدة ابن الحاجب"[11]،وألّف أبو عبد الله المقري الجدّ حاشية على مختصر ابن الحاجب[12]،وألّف عبد الرّحمن الثّعالبي "شرح ابن الحاجب الفرعي"في سفرين[13].

---

1 - بوشقيف،المرجع السابق، ص 121.

2 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 126.

3 - عادل نويهض، المرجع السابق، ص 365.

4 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 189 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 346.

5 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 211 – المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354-355.

6 - القلصادي، المصدر السابق، ص 104 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 43.

7 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 106 – مخلوف، المصدر السابق، ص 274.

8 -ابن مريم، المصدر السابق، ص 255.

9 - محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 266.

10 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 54 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 275.

11 - الحفناوي، المرجع السابق، ص 42.

12 - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 254.

13 - الحفناوي، المرجع السابق، ص 70.

مختصر خليل:

ألّفه الشّيخ خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري (ت:767هـ/1367م) [1]، وهو عبارة عن مصنّف في الفقه المالكي، وذكر أنّه بقي في تأليفه 25 سنة، وأنّه وصل فيه إلى فصل النّكاح وباقيه وُجِدَ في تركته في أوراق مسودّة فجمعه أصحابه وضموه إلى ما ألّفه فكمل الكتاب[2] .

وقد دخل هذا الكتاب إلى بلاد المغرب وانتشر وذاع صيته حتّى صار من الكتب المعتمدة في تدريس العلوم الدّينية إضافة إلى الموطأ ومختصر ابن الحاجب والمدونة والرّسالة لابن أبي زيد[3].

وقد أثنى عليه علماء المغرب عامّة، وألّفوا عليه الشروح والتّعاليق حتّى بلغت ستين تعليقًا بين شرح وحاشية[4].

ومن العلماء الذّين اهتمّوا بدراسته وشرحه، ابن مرزوق الحفيد الّذي ألّفه عليه " المترع النبيل في شرح مختصر خليل"[5]، وعبد الكريم المغيلي الذي صنّف "إيضاح السّبيل في بيوع آجال خليل"[6]، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت: 818هـ/1415م) الذي أدخله إلى فاس[7].

كتاب تنقيح الفصول في الأصول:

ألّفه شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري (ت:684هـ/ 1286م) [8]، وهو كتاب في مقدمات و قواعد علم الأصول، و قد لقي عناية علماء المغرب الأوسط و ألّفوا عليه الشروح و أصبح مقرّرًا في برنامج تدريس العلوم الدينية[9].

---

[1] – ابن فرحون، الديباج، ص115– ابن العراقي، المصدر السابق، ج1، ص 196 – التنبكتي، المصدر السابق، ص115– ابن مريم، المصدر السابق، ص 96 – الزركلي، الأعلام، ج2، ص 364 – محمد مخلوف، المصدر السابق، ص 223.

[2] – التنبكتي، المصدر السابق، ص115– ابن مريم، المصدر السابق، ص 100.

[3] – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 121.

[4] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 99.

[5] – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.

[6] –ابن مريم، المصدر السابق، ص 255.

[7] – ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص317.

[8] – محمّد مخلوف، المصدر السابق، ص 188 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 499 – الزركلي، الأعلام، ج1، ص 90.

[9] – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص 121.

أليفة ابن مالك في النّحو:

ألّفها الشّيخ العلاّمة جمال الدّين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الطّائي الجياني المعروف بابن مالك النّحوي (ت:672هـ/ 1273م) [1]، وهي عبارة عن مقدّمة جمع فيها مقاصد اللّغة العربيّة وسمّاها الخلاصة و اشتهرت بالألفيّة لأنّها نظمت في ألف بيت في الرّجز ومطلعها:

قال محمد هو ابن مـــــــالك أحمد ربّي الله خير مـــــــالك[2] .

و أصبحت هذه الألفية من المقرّرات في تدريس آداب اللّغة العربية بالبلدين.

وقد ألّفت عدّة شروح عليها في كلّ من مصر والمغرب الأوسط و منها: شرح ابنه بدر الدّين أبي عبد الله محمّد (ت 686هـ/ 1286م) [3]، وكتب على هذا الشّرح عدّة حواشي منها حاشية للشّيخ عز الدين محمّد بن أبي بكر بن جماعة الكناني (ت 819هـ/ 1417م) ، وتعليقا للشّيخ جلال الدّين السّيوطي (ت 911هـ/ 1505م). وشرح العلامة تقيّ الدّين الشّمني (ت: 872هـ/ 1470م) ، و شرح أبي حيان النحوي (ت 715هـ/ 1315م) ، وشرح أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الحفيد (ت 842هـ/1439م) [4] سماه إيضاح المسالك على ألفيّة ابن مالك انتهى فيه إلى اسم الإشارة أو الموصول في مجلد، كما ألّف مجلدا في شرح شواهد شرّاحها إلى باب كان و أخواتها، كما ألّف أرجوزة في اختصار الألفيّة[5].

تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد في النّحو:

لابن مالك صاحب الألفيّة، وهو عبارة عن كتاب جامع لمسائل النّحو، و اعتنى به العلماء و صنّفوا له شروحًا[6]، مثل شرح ابن مرزوق الحفيد[7].

مغني اللبيب من كتب الأعاريب أو المغني لابن هشام (ت 761هـ/1360م) :

هو كتاب في علوم اللّغة العربيّة و النّحو، و قد أثنى عليه عبد الرّحمان بن خلدون كثيرًا وقال عن مؤلفه ابن هشام: " مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل

---

1 – ابن قنفذ، الوفيات، ص51– ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 339.

2 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 151.

3 – حاجي خليفة، المصدر نفسه، ص 151.

4 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 153.

5 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.

6 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 405.

7 – ابن مريم، المصدر السابق، ص 211.

صناعة العربيّة من أهل مصر يعرف بابن هشام، ظهر من كلامه أنّه استولى على غاية ملكة تلك الصناعة، لم تحصل إلاّ ليسبويه [1] وابن جني[2] وأهل طبقتهما، لعظم ملكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفا ريعه و حسن تصرفه فيه"[3].

وأضاف في موضع آخر: " ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملة ومفصلة. وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل، وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها وسماه المغني في الإعراب. و أشار إلى نكت إعراب القرآن كلّها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت سائرها فوقفنا منه على جم يشهد بعلوّ قدره في هذه الصّناعة و وفور بضاعته منها، وكأنّه ينحو في طريقته منحى نحاة أهل الموصل الّذين اقتفوا أثر ابن جنيّ و اتبعوا مصطلح تعليمه، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالّ على قوّة ملكته و اطّلاعه"[4].

وأصبح هذا الكتاب من المقرّرات الأساسيّة لتدريس علوم اللّغة العربية في المؤسّسات التعليمية بالمغرب الأوسط.

البردة للبوصيري:

ألّفها شرف الدّين البوصيري (ت 695 هـ/ 1296م) [5]، و هي عبارة عن نظم في مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، و اهتم علماء تلمسان خاصّة ذوي الميول الصّوفية بشرحها، مثل شرح سعيد العقباني (ت 811 هـ/1408م) [6]، كما ألّف ابن مرزوق الحفيد ثلاثة شروح عليها هي الشّرح الأكبر المسمى "إظهار صدق المودة في شرح البردة"[7] و الأوسط، والأصغر المسمى" الاستيعاب لما فيها من البيان و الإعراب"[8].

---

[1] -أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر فارسي الأصل، نشا بالبصرة و برع في النّحو (ت 194 هـ/809م) . الأنباري، المصدر السابق، ص 60-65.

[2] - أبو عثمان بن جني كان من حذاق أهل الأدب و أعلمهم بالنحو و التصريف (ت 392 هـ/1002م) . الأنباري، المصدر السابق، ص 287-288.

[3] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1022.

[4] - ابن خلدون، المقدمة، ص 1059.

[5] - ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص 432.

[6] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 106.

[7] - المقري، نفح الطيب، ج6، ص 354.

[8] - ابن مريم، المصدر السابق، ص 210.

الجمل في مختصر نهاية الأمل في المنطق:

لمحمد بن نامارو بن عبد الملك الخونجي الشّافعي (ت:646 هـ/ 1247م) نزيل مصر، و قد ألّف عليه علماء المغرب الأوسط الكثير من الشّروح[1].

حكم ابن عطاء الله السّكندري:

ألّفها تاج الدّين أحمد بن عطاء الله السّكندري (ت:709هـ/1309م) تلميذ الشّيخ أبي الحسن الشّاذلي و أبي العبّاس المرسي، و هي عبارة عن أقوال منثورة في التصوّف لشيوخ الطّريقة الشاذليّة، و أصبحت من المقرّرات الدّراسية بالمغرب الأوسط إضافة إلى شرحها لابن عبّاد الرندي (ت 792هـ/1392م) ممثل الطريقة الشّاذلية بالأندلس[2].

وقد انعكس دخول هذه الكتب و غيرها إلى بلاد المغرب الأوسط إيجابًا على تطور العلوم الدّينية و اللّغوية و العقلية، ولما صارت من المقرّرات الّتي على طلاب العلم دراستها، فإنّها كانت من أبرز الوسائل الّتي ساهمت في تمتين الرّوابط العلمية و المعرفية لدى طلبة و علماء البلدين على حد سواء و تركت آثارًا في توحيد المعارف وطرق البحث والتأليف.

6 – فنيا و عمرانيا:

إنّ المصادر الّتي اعتمد عليها في دراسة العلاقات الثّقافية بين المغرب الأوسط و مصر و إن كانت غنية فيما يخص الجانب الدّيني و العلمي إلاّ أنّها شحيحة فيما يخص الجانب الفني والمعماري، و من خلال دراسات الأثريين المحدثين يمكن أن نستخلص جملة من المؤثّرات والتّأثيرات المشتركة بين البلدين في هذا الجانب.

وأهم ما تميّزت به العمارة و الفنون بالبلدين هو طابعها الإسلامي، و كانت العمارة الإسلامية في طور نشأتها وتطورها قد اقتبست من جميع المؤثّرات الثّقافية للشّعوب الّتي اعتنقت الإسلام، ثمّ أخذت طابعًا مستقلاً، و ابتكر المهندسون المسلمون نماذج جديدة[3].

---

[1] – الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج16، ص 469 – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 602 – راجع أيضا مناظرة المغيلي للسيوطي.

[2] – حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص 675.

[3] – سيدي محمد الغوثي بسنوسي، **الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينيّة الإسلاميّة بالمغرب العربي**، رسالة دكتوراه، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2000، ص 577.

و تميّزت العمارة الإسلامية بصفات مشتركة، منها وحدتها بسبب وحدة العقيدة والمكوّنات الثّقافية الإسلامية، و قد أسهم في تحقيق هذه الوحدة بما فيها وحدة الجانب الفني، تنقلات المغاربة و المشارقة بين الأقاليم و الأقطار ولقاءاتهم في مواسم الحجّ و الرّحلات العلمية والتّجارية[1].

كما اتسمت العمائر في البلدين بالبساطة من حيث التّصميم و الإنشاء و الزّخرفة، باستثناء بعض المنشآت المملوكيّة الّتي كانت في غاية الفخامة[2].

- الاعتماد في تغطية المباني على القباب، و كانت القبّة العنصر الأكثر شيوعًا و الّذي لم يكن يغب عن المهندس الإسلاميّ خاصّة في المنشآت الدّينية و حتّى المدنية أحيانًا[3].

- استخدام الصّحن أو الفناء المحاط بالأواوين و الأروقة كعنصر أساسي في تخطيط المباني بجميع أنواعها[4].

- العناية بالواجهات و أسوار المباني و خاصّة البوّابات، فكانت بتلمسان عدّة أبواب أهمها باب القرمادين و باب الجياد و باب كشوطة [5]، و اشتهرت القاهرة بأبوابها مثل باب زويلة[6].

- مراعاة التقاليد الاجتماعية و الدّينية و الهندسية و إيجاد الحلول للتكيّف مع البيئة المناخيّة واستخدام الماء كمكيف و عنصر تجميل، واشتهرت تلمسان بكثرة عيونها الّتي وظفت لمثل هذه الأغراض، كما اشتهرت القاهرة بأسبلتها الكثيرة[7].

- تجنب تمثيل الكائنات الحيّة إلاّ ناذرًا في الزّخرفة و التّجميل، واستخدام الأشكال النّباتيّة والهندسيّة، و تسخير الخط العربي في الأغراض الفنيّة[8].

---

[1] - محمد الغوثي بن سنوسي، المرجع السابق، 277.

[2] - المقريزي، الخطط، ج2، ص 379-380.

[3] - الغوثي بسنوسي، المرجع السابق، ص 582.

[4] - محمد زكي حسن، فنون الإسلام، ص 73.

[5] - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 90.

[6] - الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 207.

[7] - جمال الغيطاني، المرجع السابق، ص 162.

[8] - جمال عبد الرّحيم إبراهيم، **الفنون الزخرفيّة في العصرين الأيوبي و المملوكي**، القاهرة، 2000، ص 35.

كما اشترك تصميم و إنشاء و زخرفة المباني في البلدين بالتّأثيرات الأندلسية بشكل كبير، وعمل الأندلسيون الذين ارتحلوا أو هاجروا نهائيا إلى المغرب الأوسط و مصر على نقل فنونهم وأنماطهم الزخرفيّة إلى هذه البلدان، وتجلت هذه التّأثيرات في العقود المنفوخة المتجاورة والعقود التوأمية في الواجهات والمآذن و في القبوات المقرنصة خاصّة في المساجد[1].

وتميّزت العمارة المملوكيّة خصوصا بكونها نتاج عدّة مؤثّرات محلية، طولونية و فاطمية وأيوبية، أو وافدة من أقصى الشرق وبلاد الرّوم والشّام والمغرب والأندلس[2]، بينما كان المغرب الأوسط أشدّ تأثرًا بالأندلس في هذا الجانب.

[1] – عبد العزيز سالم، قرطبة، ج2، ص 60-63.

[2] – إبراهيم عامر، تأثيرات معماريّة وافدة على العمائر المملوكيّة بمدينة القاهرة (648-923 هـ/1250-1517م) ضمن كتاب: **دراسات في آثار الوطن العربي**، ج2، الملتقى الثالث لجمعية الآثار بين العرب، القاهرة، نوفمبر 2002، ص 711.

الخاتمة

الخاتمة

وبعد، فإن العلاقات بين المغرب والمشرق قديمة في التاريخ، وازداد توطد هذه العلاقات بمختلف أشكالها بعد الفتح الإسلامي الذي قاده المشارقة باتجاه المغرب والأندلس وأوصلوا إليهما الإسلام والعروبة والثقافة الإسلامية عموما.

وفيما يخص بلاد المغرب الأوسط فقد ربطته علاقات متنوعة بالأقاليم المجاورة له شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكانت علاقاته بمصر مميزة خاصة في جانبها الثقافي.

وقد شهد المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة من القرن السّابع إلى القرن التّاسع الهجريين/ الثّالث عشر إلى الخامس عشر الميلاديين، أي خلال فترة الحكم الزّياني نشاطا ثقافيا ملحوظا مميزة اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء وتقربهم لأهل الثقافة من مختلف الأقطار واستقدامهم إلى العاصمة تلمسان لتدعيم الهيئة العلمية وإفادة الطّلبة، كما ازدهرت حركة إنشاء المؤسسات التّعليمية تبعا لذلك من مساجد ومدارس في مختلف المدن الزيانية، وقد تخرج من هذه المؤسسات الكثير من العلماء الذين ذاع صيتهم بالمغرب والمشرق في مختلف العلوم الدّينية والإنسانية والاجتماعية والعقلية.

أما بمصر فكانت القاهرة المركز الثقافي والعلمي الأول في العالم الإسلامي، ما جعلها مقصدا للطلبة من مختلف البلدان الإسلامية، وقد اهتم السلاطين المماليك بالمنجزات العلمية، فأكثروا من إنشاء المساجد والمدارس والخوانق والبيمارستانات، والتي كانت تؤدي عدة وظائف خاصة التعليم، وكان لهذه المؤسسات طاقم يسيرها وفق شروط معينة وكانت تنفق عليها الأموال بسخاء نظرا لوفرة المداخيل المالية من عائدات التجارة الدولية وتجارة العبور، ذلك ما مكن الطلبة من التفرغ التام للعلم والاستفادة من أعلام العلماء المصريين في شتى العلوم النقلية والعقلية.

والذي يمكن قوله أن الازدهار الثقافي بالمغرب الأوسط ومصر كان متوازيا خاصة خلال القرن الثامن الهجري/ 14م، ما جعل من البلدين وعاصمتيهما تلمسان والقاهرة مركزي جذب ثقافي في المشرق والمغرب، وتوطدت العلاقات بين الإقليمين عبر مراسلات الحكام الزيانيين والمماليك رغم وجود بعض النكسات التي أصابت العلاقات السياسية بسبب تفضيل المماليك للمرينيين على حساب بني زيان تبعا لموازين القوى.

كما توطدت العلاقات بشكل أكبر عن طريق الرحلة بين البلدين، وقد كانت الرحلة في طلب العلم ورحلة الحج من الفرص الثمينة التي توفرت لطلاب المغرب الأوسط ومكنتهم من لقاء المشايخ والعلماء ونسج العلاقات فيما بينهم، وأتاحت لهم فرصة الاطلاع على علوم ومناهج المصريين.

هذا وأتاح توفر مصر على بعض المنشآت التي خصصت للمغاربة على أراضيها، خاصة رواق المغاربة بالجامع الأزهر، من التفرغ لطلب العلم في جو ميزه وجود عدة طلبة من عدة أقطار إسلامية في مكان واحد ما سهل عملية التواصل الثقافي والتبادل العلمي.

كما ساهم العلماء الذين ارتحلوا من المغرب الأوسط إلى مصر، أو الذين ارتحلوا من مصر إلى المغرب الأوسط في نسج علاقات قوية مع بعضهم البعض في المؤسسات التعليمية التي انتشرت بالمدن المصرية خاصة القاهرة، إضافة إلى الدور الكبير الذي قام به الأندلسيون الذين ارتحلوا من الأندلس إلى المغرب الأوسط ومصر في تدعيم هذه العلاقات وإثرائها باختصاصاتهم العلمية وفنونهم.

لقد أنتج الاتصال الثقافي بين المغاربة والمصريين عدة مظاهر وآثار في الجوانب الدينية والروحية والعلمية والفنية بالبلدين، فانتشر المذهب السني وعقيدة الأشاعرة، وأصبح أهل المغرب الأوسط والمصريين على عقيدة واحدة في إطار المذهب السني، كما ألقت العلاقات الثقافية بظلالها على الحياة الروحية، فعم التصوف القطرين، وأصبح من مظاهر الحياة الدينية،

وانتشرت تعاليم الطرق الصوفية التي بدأت تظهر بمصر وانتقلت إلى المغرب الأوسط عن طريق الرحلة بين البلدين، خاصة الطريقة الشاذلية.

نالت الجوانب العلمية النصيب الأوفر فيما يخص مظاهر العلاقات الثقافية بين البلدين، حيث كان التأثر والتأثير متبادلا بين العلماء في مناهج وأساليب التعليم، كما تبادلوا الكتب والمصنفات التي أصبحت من المقررات الدراسية بالبلدين. وكانت المناظرات العلمية من أبرز المظاهر التي تجلت من خلالها العلاقات الثقافية، حيث أتاحت الفرصة لتقييم المستوى العلمي لعلماء البلدين. كما تجلت هذه العلاقات في بعض الجوانب الفنية خاصة طراز العمارة والفنون الإسلامية.

إن التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأقاليم الإسلامية خاصة مصر، كان له أبعاد إيجابية على الجوانب التي كان يشملها النشاط الثقافي في العصور الوسطى، خاصة الجوانب العلمية، حيث استفاد أهل العلم و الثقافة بالبلدين من إنتاج نظرائهم في عملية أخذ وعطاء علمي، وساهم ذلك في تشكيل معالم الوحدة الإسلامية بين البلدان الإسلامية، خاصة في الجانب الثقافي.

ملحق رقم 01:

قائمة سلاطين بني زيان (633- 962 / 1235- 1554م):

1-أبو يحي يغمراسن بن زيان: 633- 681هـ/ 1235- 1282م.

2- أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن: 681- 703 هـ/ 1282- 1303م

3- أبو زيان محمد بن عثمان الأول: 703- 707 هـ/ 1303- 1307م.

4- أبو حمو موسى بن عثمان الأول: 707- 718 هـ/ 1307- 1318م.

5- أبو تاشفين الأول عبد الرحمن بن أبي حمو الأول: 718- 737 هـ/ 1318- 1337م.

6- أبو سعيد عثمان الثاني: 749- 753 هـ/ 1348- 1352م.

7- أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف: 760- 791هـ/ 1359- 1389م.

8- أبو تاشفين الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 791- 795 هـ/ 1389- 1392م.

9- أبو ثابت يوسف بن أبي تاشفين الثاني: 795- 796 هـ/ 1392- 1393م.

10- أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو الثاني: 796- 797 هـ/ 1393- 1394م.

11- أبو زيان الثاني عبد الرحمن بن أبي حمو الثاني: 797- 801 هـ/ 1394- 1399م.

12- أبو محمد عبد الله الأول بن أبي حمو الثاني: 801- 804 هـ/ 1399- 1402م.

13- أبو عبد الله محمد الأول المعروف بابن خولة: 804- 813 هـ/ 1403- 1412م.

14- عبد الرحمن الثالث: 813- 814هـ/ 1411- 1412م.

15- السعيد بن أبي حمو الثاني: 814- 814 هـ/ 1412- 1412م.

16- أبو مالك عبد الواحد بن حمو الثاني (المرة الأولى): 814- 827 هـ/ 1412- 1424م.

17- أبو عبد الله محمد الثاني المعروف بابن الحمراء (المرة الأولى):827- 831هـ/ 1424- 1428م.

18- أبو مالك عبد الواحد (المرة الثانية): 831- 833 هـ/ 1428- 1430م.

19- أبو عبد الله محمد الثاني (المرة الثانية): 833- 834 هـ/ 1430- 1431م.

20- أبو العباس أحمد العاقل بن أبي حمو الثاني: 834- 866 هـ/ 1431- 1462م.

21- أبو عبد الله محمد الثالث المتوكل على الله: 866- 873 هـ/ 1462- 1468م.

22- أبو عبد الله محمد الرابع الثابتي: 873- 910 هـ/ 1468- 1505م.

23- أبو عبد الله محمد الخامس بن محمد الثابتي:910- 922 هـ/ 1505- 1516م.

24- أبو حمو الثالث بن محمد الثابتي (المرة الأولى): 922- 923 هـ/ 1516- 1517م.

25- أبو زيان أحمد الثالث: 923- 924 هـ/ 1520- 1521م.

26- أبو حمو الثالث محمد الثابتي (المرة الثانية): 924- 934 هـ/ 1521- 1528م.

27- عبد الله بن أبي حمو الثالث بن محمد الثابتي: 934- 947 هـ/ 1528- 1540م.

28- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني: 947- 949 هـ/ 1540- 1542م.

29- أبو عبد الله محمد بن أبي حمو: 949- 949 هـ/ 1542- 1542م.

30- أبو زيان أحمد الثاني بن عبد الله الثاني (المرة الثانية): 949- 957 هـ/ 1542- 1550م.

31- الحسن بن عبد الله الثاني الزياني: 957- 962 هـ/ 1550- 1554م.

المرجع: عبد العزيز فيلالي، تلسان في العهد الزياني، ج2، ص 500-501

ملحق رقم 02:

قائمة سلاطين المماليك :

سلاطين المماليك البحرية

1- المعز عز الدين أيبك	648هـ/1250م
2- المنصور نور الدين علي بن أيبك	655هـ/1257م
3- المظفر سيف الدين قطز	657هـ/1259م
4- الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري	658هـ/1260م
5- السعيد ناصر الدين محمد بركة خان بن بيبرس	678هـ/1279م
6- العادل بدر الدين سلامش بن بيبرس	688هـ/1289م
7- الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاون	689هـ/1290م
8- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاون	693هـ/1293م
9- العادل زين الدين كتبغا	694هـ/1294م
10- المنصور حسام الدين لاجين	696هـ/1296م
11- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاون (مرة أولى)	697هـ/1298م
12- المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير	708هـ/1308م
13- الناصر ناصر الدين محمد بن قلاون (مرة ثانية)	709هـ/1309م
14- المنصور سيف الدين أبو بكر الناصر محمد بن قلاون	742هـ/1341م
15- الأشرف علاء الدين كجك بن ناصر محمد بن قلاون	742هـ/1341م
16- الناصر شهاب الدين أحمد بن ناصر محمد بن قلاون	743هـ/1342م
17- الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاون	743هـ/1342م
18- الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد بن قلاون	746هـ/1345م
19- المظفر زين الدين حاجي بن ناصر محمد بن قلاون	747هـ/1346م
20- الناصر ناصر الدين حسين بن ناصر محمد بن قلاون	748هـ/1347م

21- الصالح صلاح الدين صالح بن ناصر محمد بن قلاون 752هـ/1351م

22- الناصر ناصر الدين حسين بن ناصر محمد بن قلاون (مرة ثانية) 756هـ/1354م

23- المنصور صلاح الدين محمد بن سيف الدين حاجي بن الناصر بن محمد بن قلاون 763هـ/1361م

24- الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد بن قلاون 765هـ/1363م

25- المنصور علاء الدين على بن شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد بن قلاون 778هـ/ 1376م

26- الصالح صلاح الدين حاجي شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد بن قلاون 783 هـ/ 1381م

سلاطين المماليك الجراكسة

1- الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق 784هـ/1382م

2- حاجي شعبان 790هـ/1388م

3- برقوق (المرة الثانية) 791هـ/1389م

4- فرج بن برقوق 800هـ/1398م

5- عبد العزيز برقوق 808هـ/1405م

6- فرج بن برقوق (المرة الثانية) 808هـ/1405م

7- الخليفة المستعين العباسي 815هـ/1412م

8- المؤيد أبو النصر شيخ 815هـ/1412م

9- أحمد بن شيخ 824هـ/1421م

10- طـطـر 824هـ/1421م

11- محمد ططر 825هـ/1421م

12- الأشرف برسباي 841هـ/1422م

13- يوسف بن برسباي 841هـ/1437م

14- جـقمـق 841هـ/1438م

15- عثمان بن جقمق	857هـ/1453م
16- أينال	857هـ/1453م
17- أينـــال	857هـ/1453م
18- أحمد بن أينال	864هـ/1460م
19- خشـــقدم	864هـ/1460م
20- بلباي المؤيدي	871هـ/1467م
21- تمربغـــا	872هـ/1468م
22- الأشرف قايتباي	901هت/1496م
23- قانصوه خمسمائة	902هـ/1497م
24- محمد بن قايتباي (مرة ثانية)	903هـ/1497م
25- قانصون الأشرفي	904هـ/1498م
26- جانبـلاط	905هـ/1500م
27- طومان باي الأول	906هـ/1501م
28- قانصوه الغوري	906هـ/1501م
29- طومان باي الثاني	922-923هـ/1516-1517م

المصدر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، الأجزاء 7-15، إبن إياس، بدائع الزهور، الأجزاء 1-4.

ملحق رقم 03:

رسالة أبي تاشفين عبد الرّحمن الأوّل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون مؤرّخة بـ 725هـ/1325م

" إلى الحضرة العالية السامية، السنّية، الماجدة، المُحْسنة، الفاضلة، المؤيّدة، المظفّرة، المنصورة، المالكة، حضرة السلطان، الملك، الجليل، الفاضل، المؤيّد، المنصور، المظفّر، المعظّم، ناصر الإسلام، و مُذلّ عَبَدَة الأصنام؛ الذي أيّده الله بالبراهين القاطعة، و الأنوار المُنيرة الساطعة، الأعْلى، الأوْحَد، الأكمل، الأرْفع، الأمْجَد، الأسمى، الأسْرى، ذي المجد الظاهر، والشّرف الباهر، الملك الناصر، ابن السلطان، المالك، الجليل، العادل، الفاضل، المؤيّد، المظفّر، الأعْلى، الأوْحد، الأكمل، الأرفع، الأمْجد، الأسْمى، ناصر الإسلام والمسلمين، ومُعلي كلمة الموحّدين، المقدس، المرحوم، ذي المجد المشهور، والفَخْر المَنْشُور، والذكر المَذْخُور، الملك المنصور؛ أدام الله علوّ قدره في الدُّنْيا والآخرة، وأسبغ عليه نعمة باطنةً وظاهرة، وجعل وُجوهَ مَحَاسنهم في صَفَحات الدهر سارّةً سافره، وصفْقةَ أعدائهم خائبةً خاسره.

وبعدَ حمد الله الّذي أظهر الأمْرَ العلي الناصري وأيّده، وبَسَط في قول الحق وفعْله لسانه ويَدَه، وسدد نحو الصّواب مَنحاه كُلّه ومقصده، والصلاة التّامة المباركة على سيّدنا محمّد رسوله المصطفى، الذي خصّه الله بعُمُوم الدّعوة وأفردَه، وقَرَن ذِكْره بذِكْره فأبْقَاه أبد الدّهر وخلّده. والرّضا عن آله الكرام، وصَحَابَته الأعلام، الذين حَفِظُوا بالتوقير والتعزير مَغيبه ومشْهده؛ وكانُوا عند استلال السُّيُوف، ومَجَال الحُتُوف، عدده المظَفّر وعُدده. والدعاء لذلكم المقام الشريف بسعْدٍ يُطيل في شرف الدين والدنيا مُدَده وأمَده.

سلامٌ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، من أخيكم، البرّ بكم، الحريص على تَصَافيكم، عبد الرحمن بن أبي موسى بن يغمراسن، وإنا كَتَبْنا إليكم كتبَ الله لكم أنجحَ المقاصد وأرجحها، وأثبتَها عزًّا وأوضَحَها، من حصن "تلمسان" حَرَسها الله تعالى، ولا ناشئَ بفضْل الله تعالى إلّا ما عوَد من بشائر تُحَثّ جيادُها، ومَسارَ يتطاول إلى المَزيد اعتيَادُها — وإلى هذا أعلى الله كلمتكم، وأمتع المسلمين بطول بقائكم، فإنا تعرّفكم بوصول كتابكم الخطير الأثير، فتلقيناه بما يجب من التكريم والتعظيم، وتتبّعنا فُصولَه، واستوعَبْنا فُروعَه وأُصُوله،

وتحقّقنا مقتضاه ومَحْصُولَه، وعلمنا ما انْطوى عليه من المنن والأفضال. واشتمل عليه من التفصيل والإجمال، ومن أعظم ذلك إذنكم لنا في أداء فرض الحجّ المبرور وزيارة سيّد البشر، الشفيع في المحشر، الذي وجبت له نبوّته، ومُنّتى الغيب عليه مُنْسدل، وآدم صلواتُ الله عليه في طينته مجندل؛ وعلم الله أنّنا لم تزل آمالُنا متعلّقة بتلكم المشاعر الكريمة، وقلوبُنا متشوّقة إلى تلْكُم المشاهد العظيمة؛ فلنا في ذلك نيّات صادقة التّحويم، وعزمات داعية التصميم، وكان بودّنا لو ساعدنا المقْدار، وجَرَى الأمر على ما نُحبُّه من ذلك ونَخْتَارهُ، أن نُمتّع برؤية المواطن التي تُقرّ أبصارا، ويُتَشَفّى بها إيرادا، ولعلّ الله تعالى ينفعُنا بخالص نيّاتنا، وصادق طوياتنا، بمنه وكرمه.

وقد وجب شُكْرُكم علينا من كلّ الجهات، واتّصلت المحبّة والمودّة طُولَ الحياة، غير أنّ في قلوبنا شيئًا من مَيْلكم إلى غيرنا واستئناسكم، ونحن والحمد لله أعلم النّاس بما يجب من حقوق ذلكم المقام الشريف، ولنا القُدْرة على القيام بواجبكم، والوفاء بكريم حقكم، وليس بيْنَنا وبين بلادكم مَنْ يُخْشى والحمد لله من كيده، ولا يُبَالى بهَزْله ولا جِدّه؛ وقد توجّه إلى بابكم الشّريف قرابتنا الشيخ الصالح الحسيب الأروع محمد بن جرار الوادي، وهو من أهل الدّين والخير، وقد شافَهْناه بما يُلْقيه إلى ذلكم المقام الشريف من تقرير الوُدّ والإخاء، والمحبّة، والصّفاء، مما يَعْجز عنه الكتاب؛ فالمقام الشريف يَثق إلى قوله ويعامله بما يليق ببَيْته ودينه، وعرضُنا أنْ تعرّفوه بجميع ما يصلُح لذلكم المقام الشريف ممّا في بلادنا، ويصلُكم إن شاء الله في أقرَّب الأوقات، على أحْسَن الحالات، ولكم بذلك علينا المنّة العُظْمى، والمزيّة القُصْوى، والله تعالى يُبْقي ذلكم المقام الشريف محروسَ المذاهب، مشكورَ المَناقب؛ إن شاء الله تعالى"[1].

1- القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص85-87.

ملحق رقم 04:

القصيدة التي بعثها أبو زيان إلى الظاهر برقوق:

لمن الركائب سيرهن دميـــــل ... فالصبر إلا بعدهـــن جميـــل
يا أيها الحادي رويدك إنهـــا ... ظعن يميل القلب حيث تميـل
رفقا بمن حملـــته فوق ظهورها ... فالحسن فوق ظهورها محمول
لله أيـة أنجم شفـا فـــــة ... ينجـاب عنها للظلام ســدول
شهب بآفـاق الصدور طلوعـها ... ولها بأستـار الخدور أفـــول
في الهودج المزرور منها غـــادة ... تزع الدجى بجبينها فيحـــول
فكأنهـا قمر على غصـــن على ... منمى كثيب والكثيب مهيـل
ثارت مطاياها فثار بي الهـــوى ... واعتـاد قلبي زفرة وغليـــل
أومـت لتوديعي فغـــالب عبرتي ... نظر تخالسه العيون كليـــل
والبـاب ليس بمرتج عن مـــرتج ... والظن في المولى الجليـل جميـل
من لي بزروة روضة الهـــادي الذي ... مـا مثله في المرسلين رســـول
هو أحمـد ومحمد والمصطفـــى ... والمجتبى ولـه انتهى التفضيـــل
يا خير من أهدى الهدى وأجـل من ... أثنى عليه الوحـي والتنزيـــل
وحي من الرحمـن يلقيه علـــى ... قلـب النبـي محمد جبريـــل
مدحتك آيـات الكتـــاب وبشرت ... بقدومـك التـوراة والانجيـــل
صلة الصـلاة عليك تحـلو في فمي ... مهما تكرر ذكرك المعـــول
فوربعك المـــاهول أن بأضلعـي ... قلبـا يحبـك ربعه مأهـــول
هـل من سبيل للسـرى حتى أرى ... خير الورى فهو المـنى والسـول
حتـام تمتطلني الليـــالي وعدها ... أن الزمـان بوعده لبخيـــل
مـا عاقني إلا عظيم جرائـــمي ... أن الجـرائم حملهـن ثقيـــل
دمع أغيض منه خوف رقيبهـــا ... طورا ويغلبني الأسـى فيسيـل
وبح المحب وشـت به عبراتـــه ... فكأنهـا قـال عليه وقيـــل

صان الهوى وجفونه يوم النوى ... لمصون جوهر دمعهن تذيل
وتهابه أسد الشرى في خيسها ... ويروعه ظبي الحمى المكحول
تأبى النفوس الضيم إلا في الهوى ... فالحر عبد والعزيز ذليل
يا بانة الوادي ويا أثل الحمى ... هل ساعة تصغين لي فأقول
ما لي إذا هب النسيم من الحمى ... أرتاح شوقا للحمى وأميل
خلوا الصبا يخلص إلي نسيمها ... إن الصبا لصبابتي تعليل
يا ليت شعري هل لحومي مورد ... أو للحمى قبل الحمام سبيل
ما لي أحلا عن ورود محله ... وأذاد عنه وورده منهول
أنا مغرم فتعطفوا أنا مذنب ... فتجاوزوا أنا عاثر فأقيلوا
وأنا البعيد فقربوا والمستجير ... فأمنوا والمرتجي فأنيلوا
ما للفؤاد وللهوى من بعدما ... رحل الشباب وللمشيب حلول
أو ما قبيح بي فؤاد بالهوى ... درن وفود بالمشيب غسيل
أن الشباب له نصول كلما ... نضيت عليه من المشيب نصول
صال المشيب على الشباب كأنه ... سيف الأمير على الطغاة يصول
يا سايقا نحو الحجاز حمولة ... والقلب بين حموله محمول
لمحمد بلغ سلام سميه ... فذمامه بمحمد موصول
وسل الاله له اغتفار ذنوبه ... يسمع هناك دعاؤك المقبول
وعن الأمير أبي سعيد فلتنب ... فلكم له نحو الرسول رسول
متحمل لله كسوة بيته ... يا حبذاك المحمل المحمول
سعد الأمير أبو سعيد أنه ... سيف على هام العدى مسلول
ملك يحج المغرب الأقصى به ... فلهم به نحو الرسول وصول
ملك به نام الأنام وأمنت ... سبل المخاف فلا يخاف سبيل
فالملك ضخم والجناب مؤمل ... والفضل جم والعطاء جزيل
والصنع أجمل والفخار مؤثل ... والمجد أكمل والوفاء أصيل
والصنع أجمل والفخار مؤثل ... وحباك من روح الإله قبول
يا متحفي ومفاتحي برسالة ... سلسلة يزهى بها الترسيل

أهديتها حسناء بكر ما لـــــها ... غيري وإن كثر الرجال كفـــيل
ضاء المداد من الوداد بصفحـــها ... حتى اضمحل عبوسه المجبـول
جمعت وحاملها بحضرتنا كمـــا ... جمعت بثينة في الهوى وجمـــيل
وتأكـدت بهديـــة وديـــة ... هي للإخاء المرتضى تكمـــيل
أطلعت فيها للقسي أهـــــلة ... يرتد عنها الطرف وهو كليـــل
وحسام نصر زاهـــيا بنظـاره ... راق العيون فرنده المعقـــول
ماضي الشبا لمضـــائه تعنو الظبا ... فيه نصول على العدى ونطـول
وبدائه الحلـــل اليـمانية الـــتي ... روى معاطفها بمصر النـــيل
فأجلت فيها ناظري فرأيتـــها ... تحفا يحول الحسن حيث تجـول
واقت محاسنها فأهوى نـــحوها ... بفم القبول اللثم والتقبيـــل
يا مسعدي وأخي العزيز ومنجدي ... ومن القلوب إلى هواه تميـــل
إن كان رسم الود منك مذيـــلا ... بالبر وهو بديله موصـــول
فنظيره عندي وليس يضيـــره ... بمعـارض وهم ولا تخليـــل
ود يزيد وثابت شهـــدا بـه ... ولخالد بخلوده تذييـــل
واليكها تنبيك صدق مودتـــي ... مع الدليل فوافق المدلـــول
فإذا بذلك المجلس السامي سمت ... فلديك إقبال لها وقبـــول
دام الوداد على البعاد موصـــلا ... بين القلوب وحبله موصـــول
وبقيت في نعم لديك مزيدهـــا ... وعليك يضفو ظلها المسدول[1]

---

1. التنسي، تاريخ بني زيان، ص220-227.

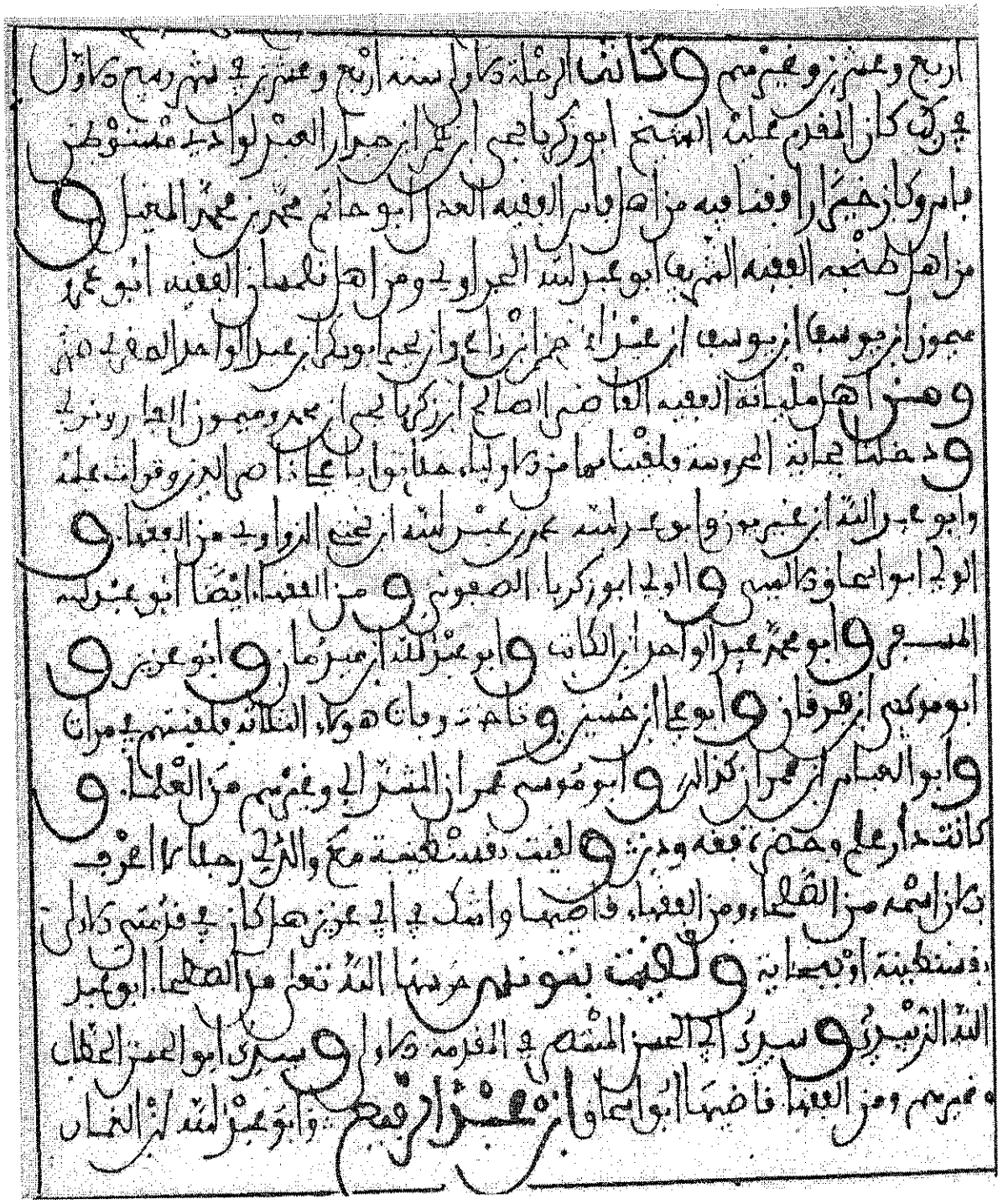

ابن مرزوق الخطيب في رحلته نحو الحج
سنة 724 هـ / 1324م
(المجموع، ورقة 92)

رحلة ابن مرزوق الخطيب في طلب العلم وعودته إلى المغرب
سنة 729 هـ / 1329م
(المجموع، ورقة 93)

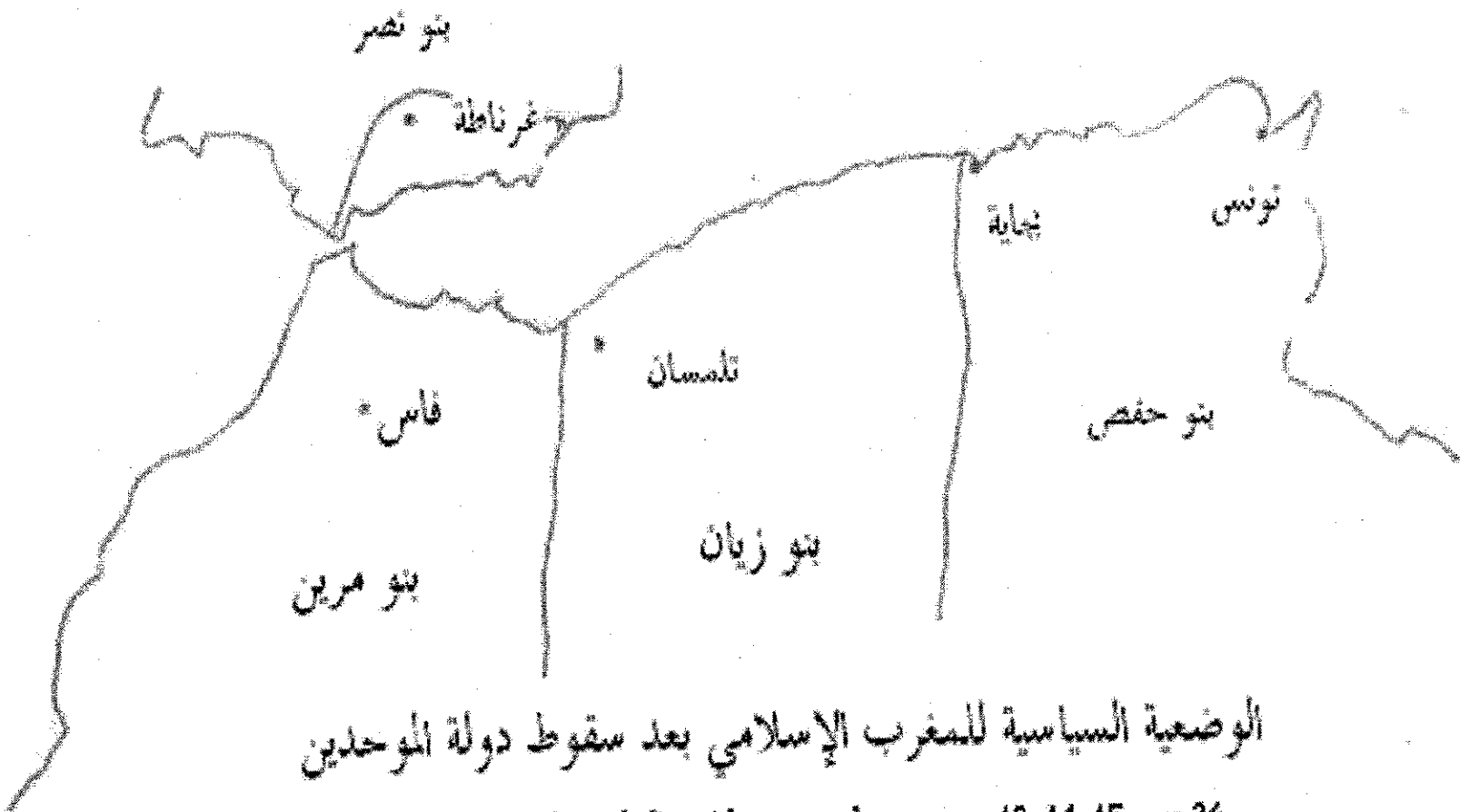

الوضعية السياسية للمغرب الإسلامي بعد سقوط دولة الموحدين

Atallah DHINA, Les états de l'occident musulman aux (13-14-15 s), p 36

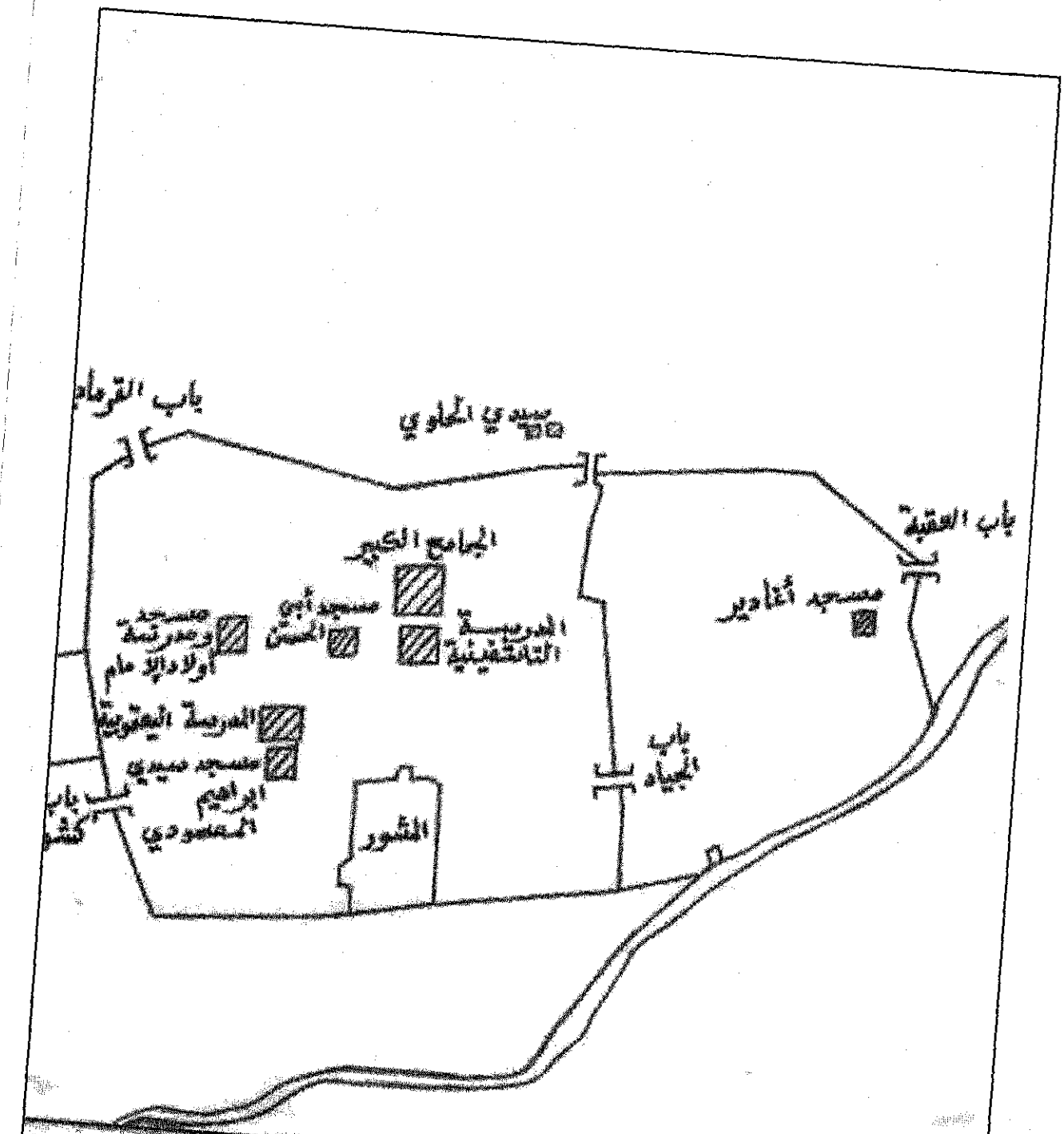

مخطط مدينة "تلمسان في العهد الزياني وأهم المؤسسات التعليمية"

المرجع : التنسي ، تاريخ بني زيان ، ص : 291 .

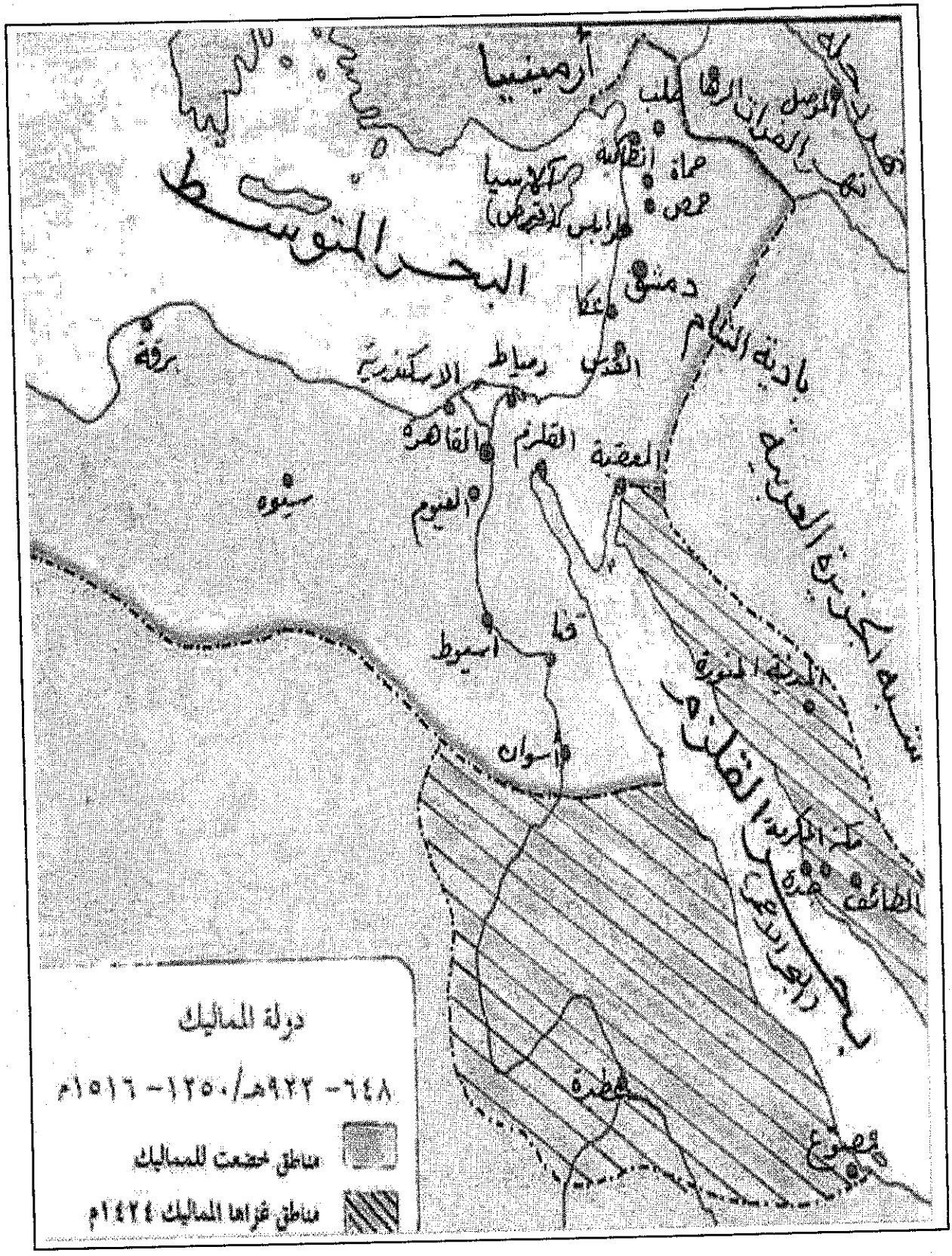

http://www.dimashkiat.com/celebrities/images/demap04.jpg

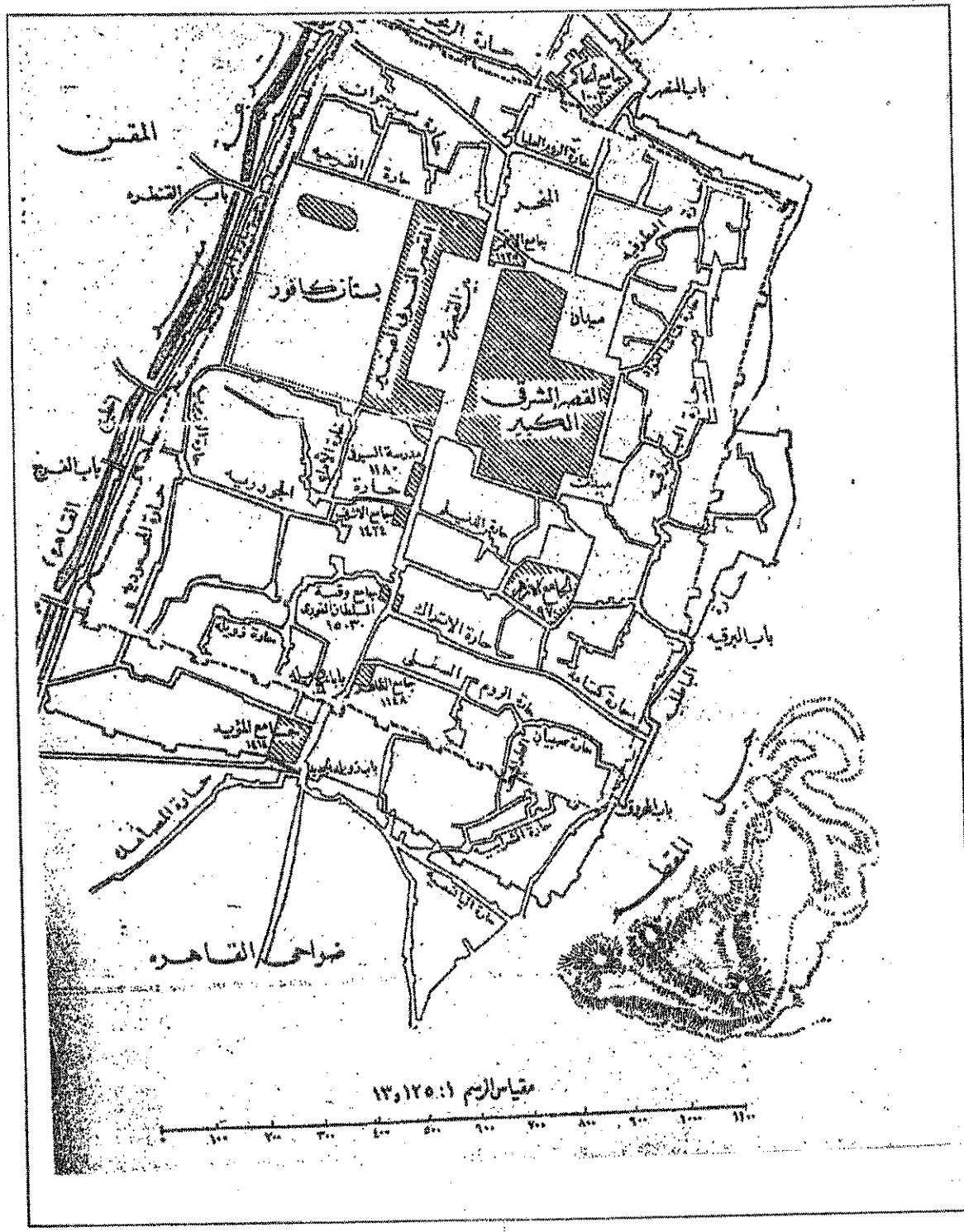

مخطط مدينة القاهرة

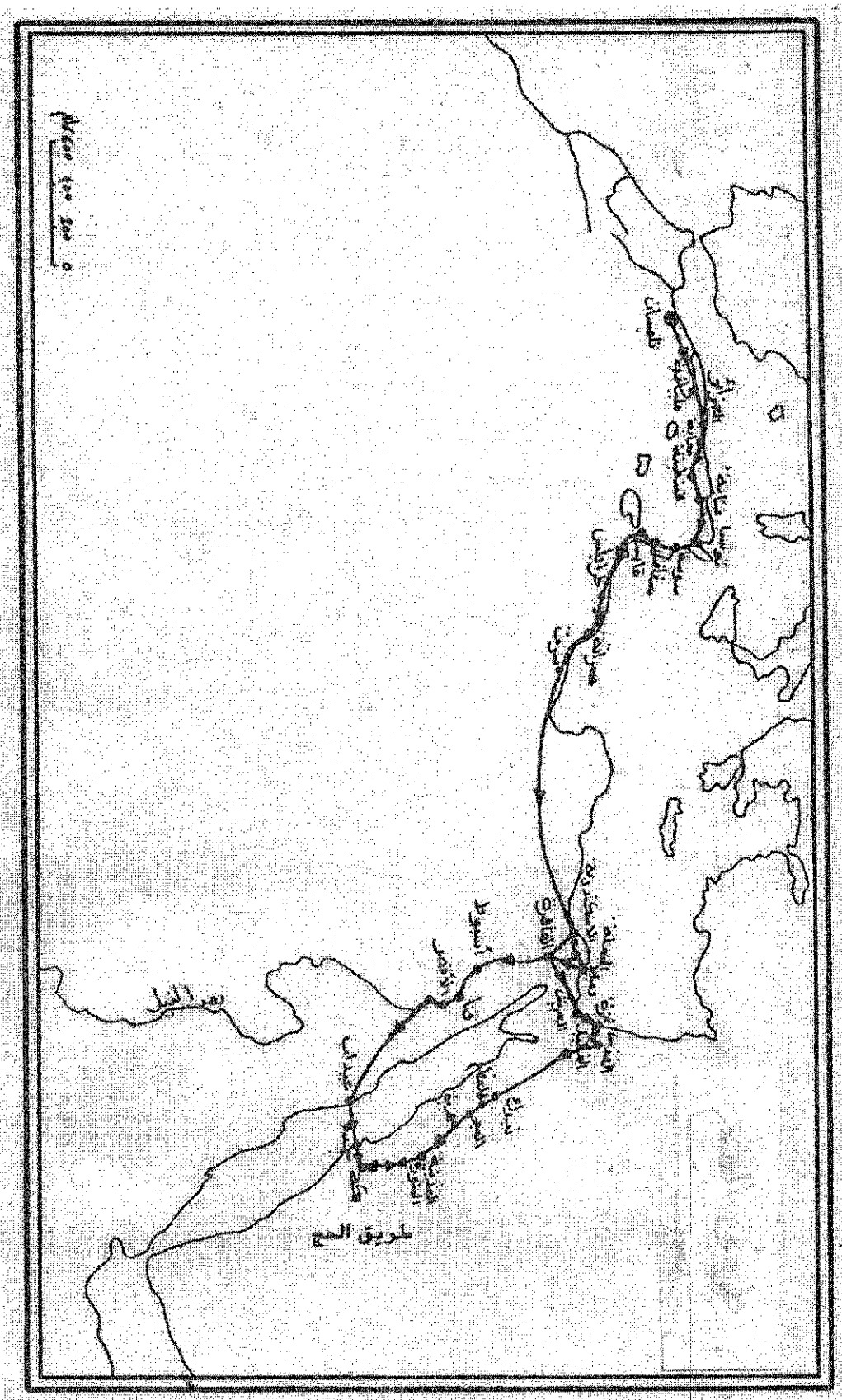

طريق الحج من تلمسان إلى البقاع المقدسة بالحجاز

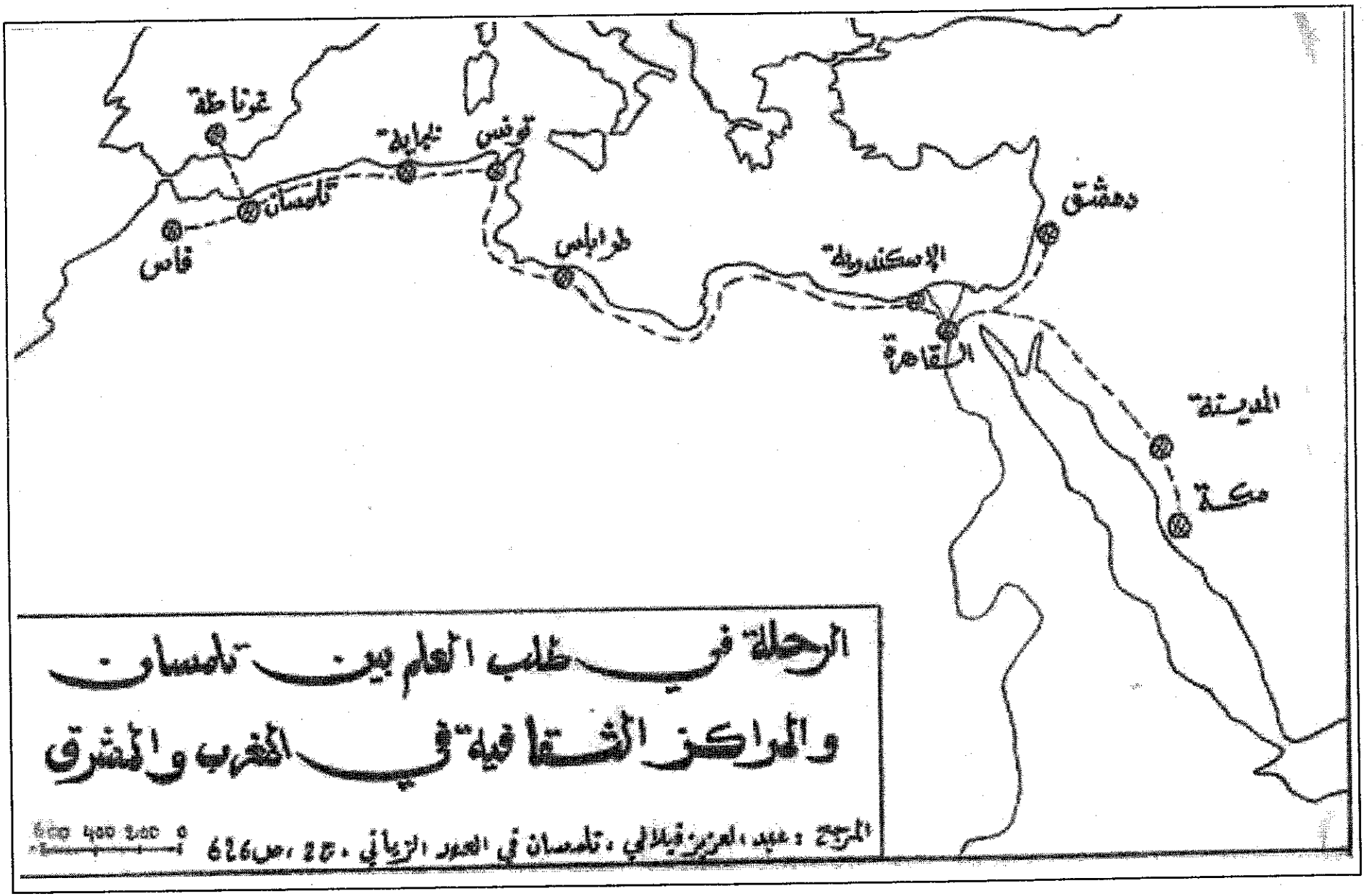

الرحلة في طلب العلم بين تلمسان والمراكز الثقافية في المغرب والمشرق

المرجع : عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج 2 ، ص 616

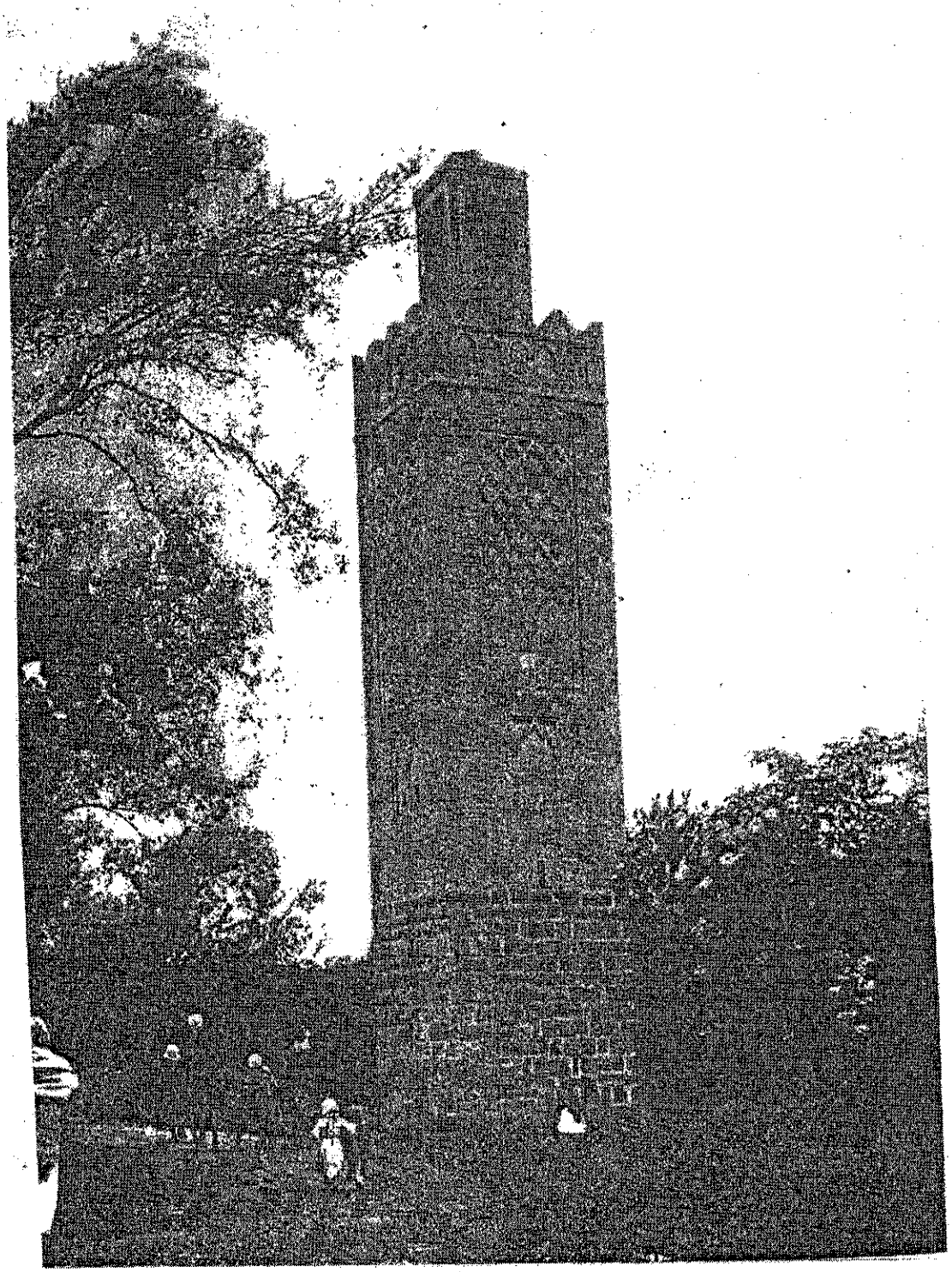

منارة مسجد أغادير

مسجد أبي الحسن التنسي

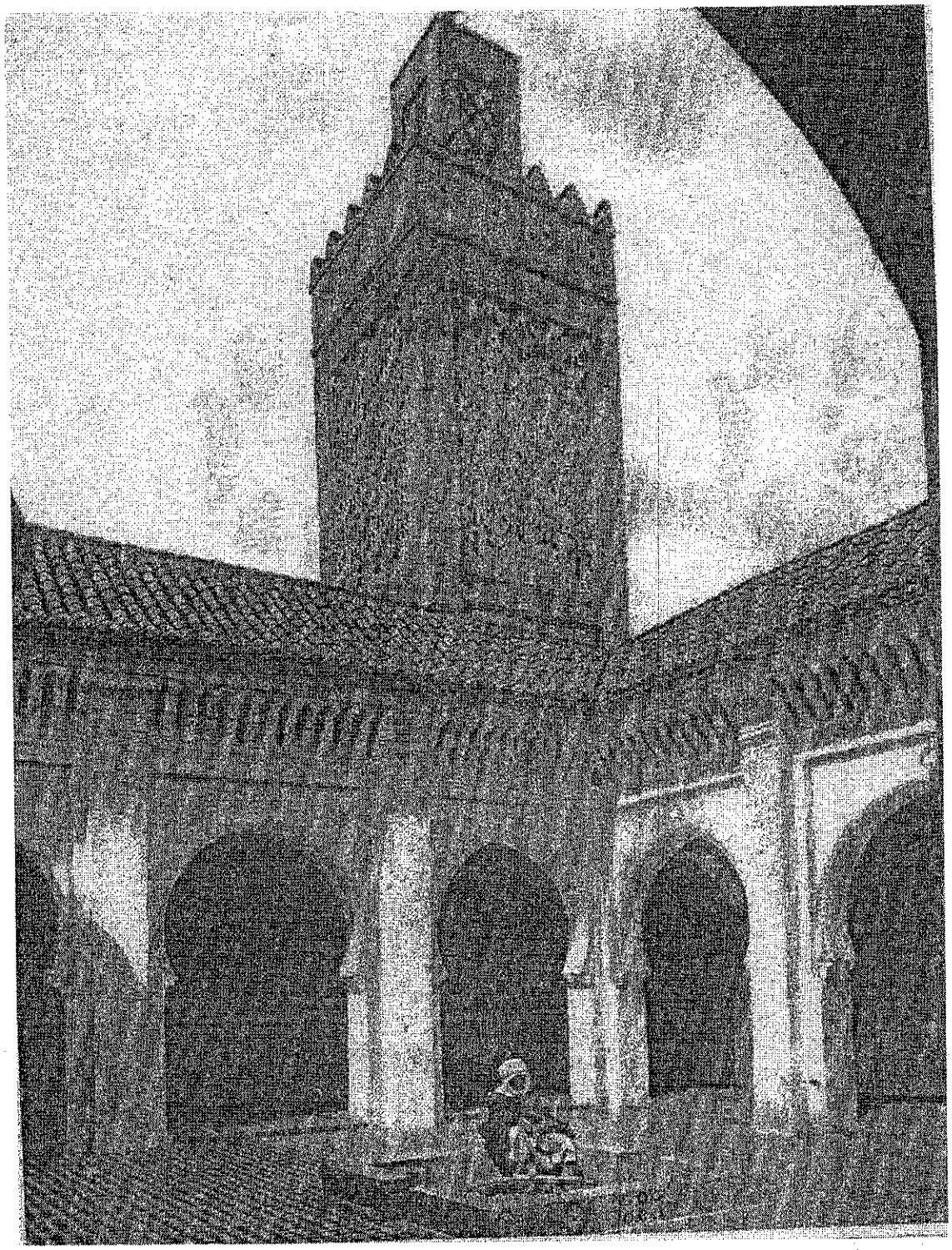

مسجد سيدي أبي مدين بالعباد

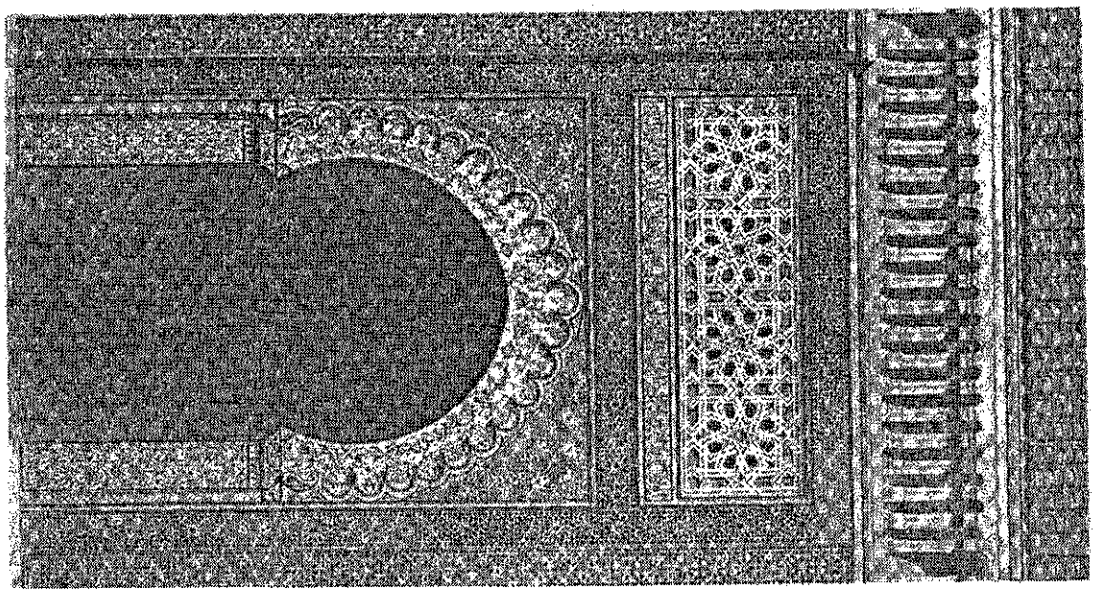

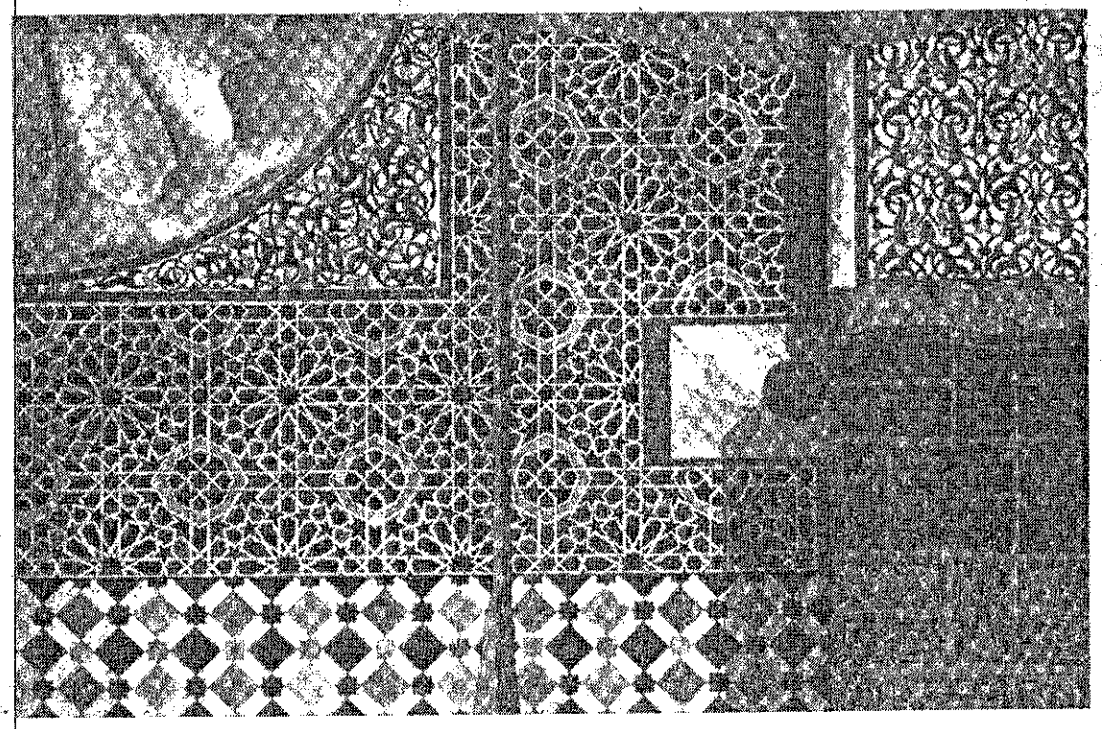

آثار المدرسة التاشفينية

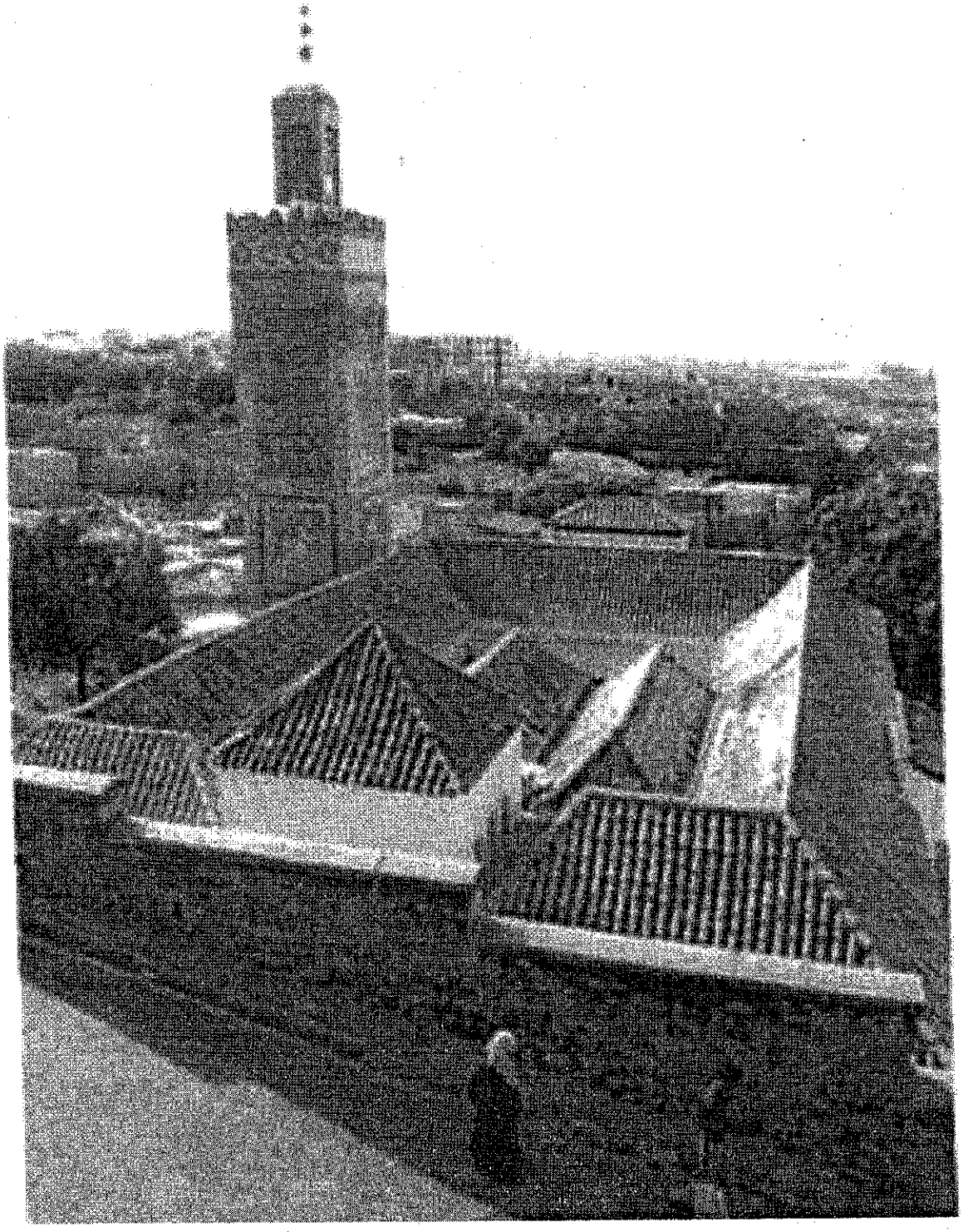

مسجد سيدي الحلوي

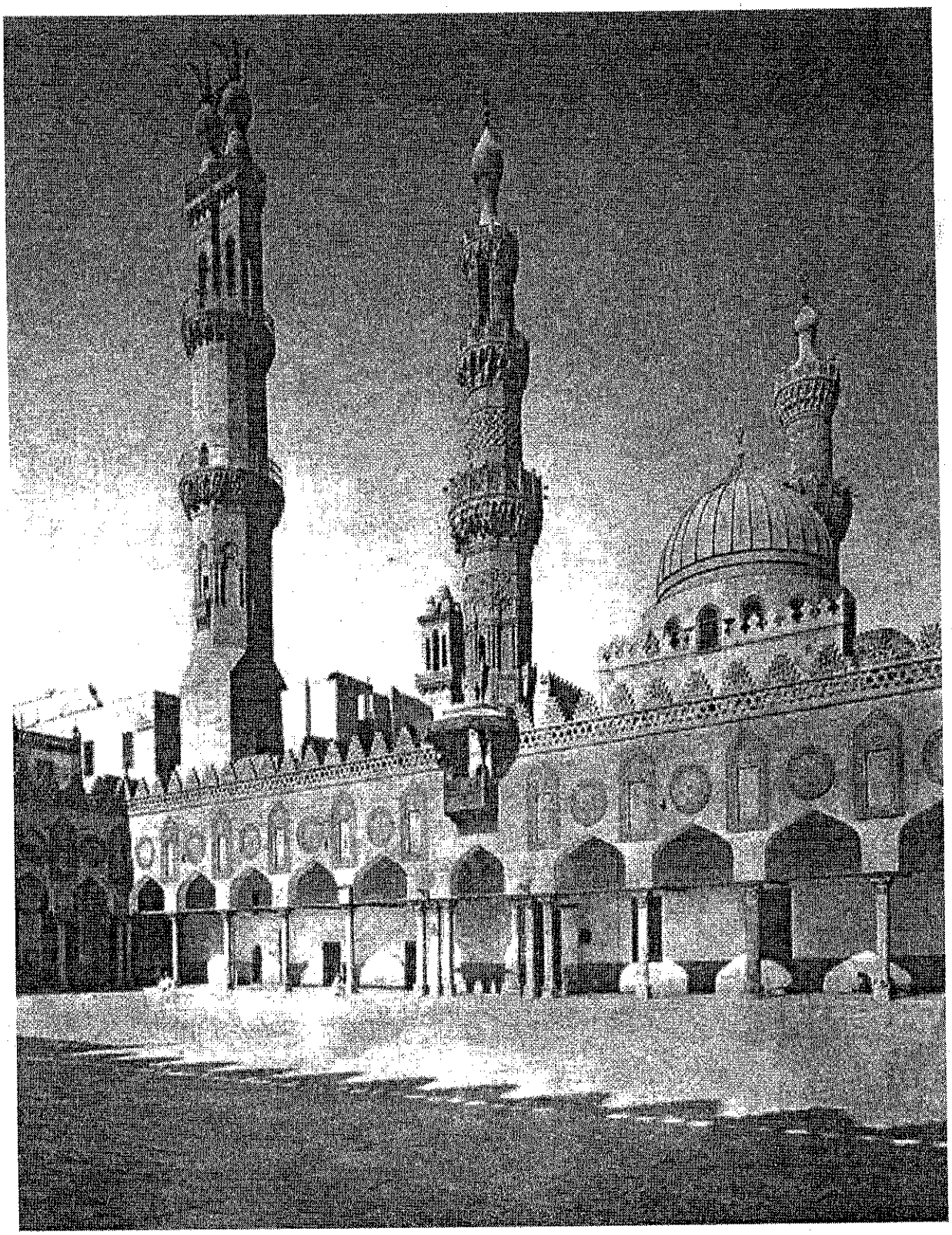

جـــــامع الأزهـــــر

www.eternalegypt.org

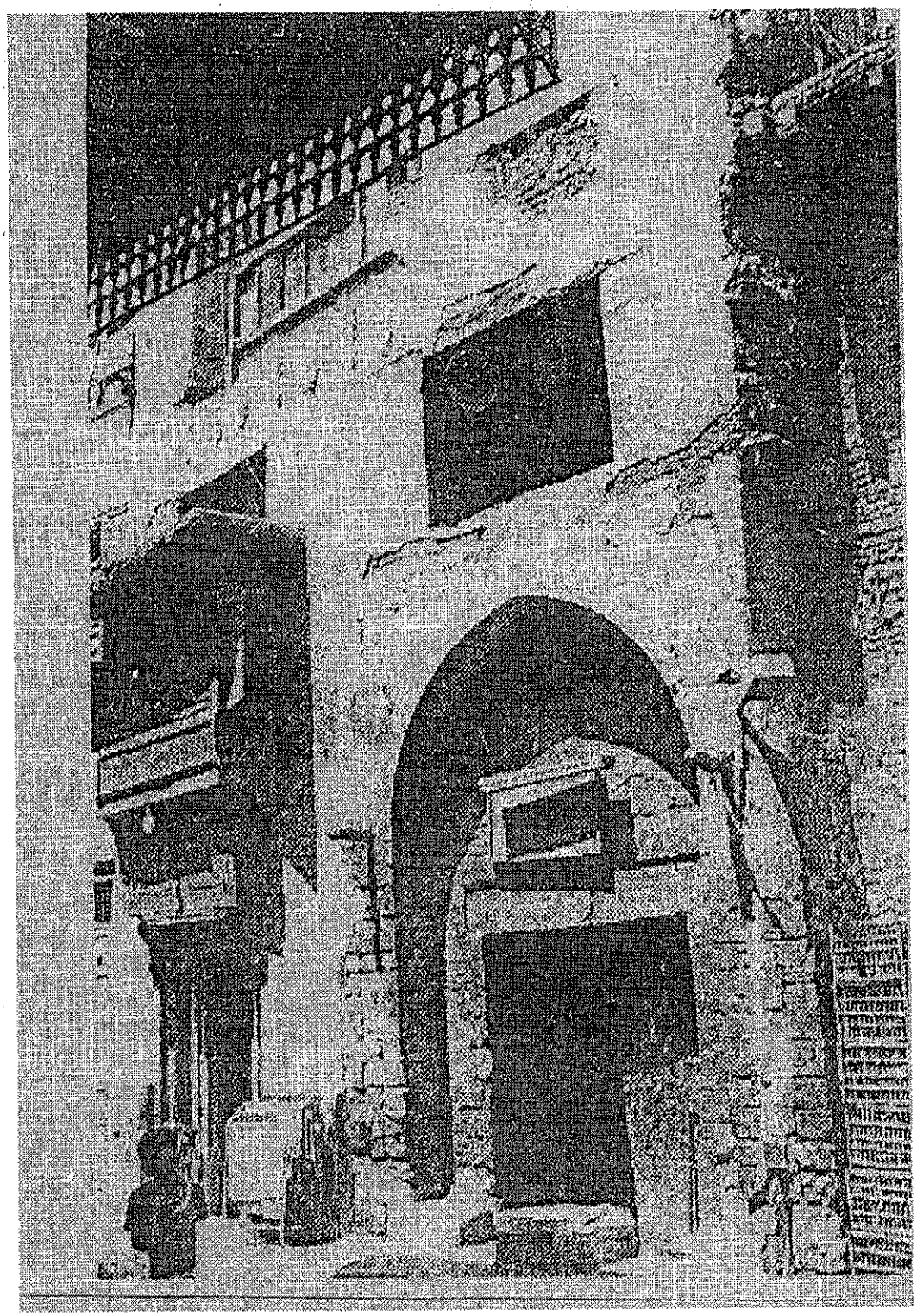

الخـــانقـــاه الصلاحية (سعيد السعداء)

www.eternalegypt.org

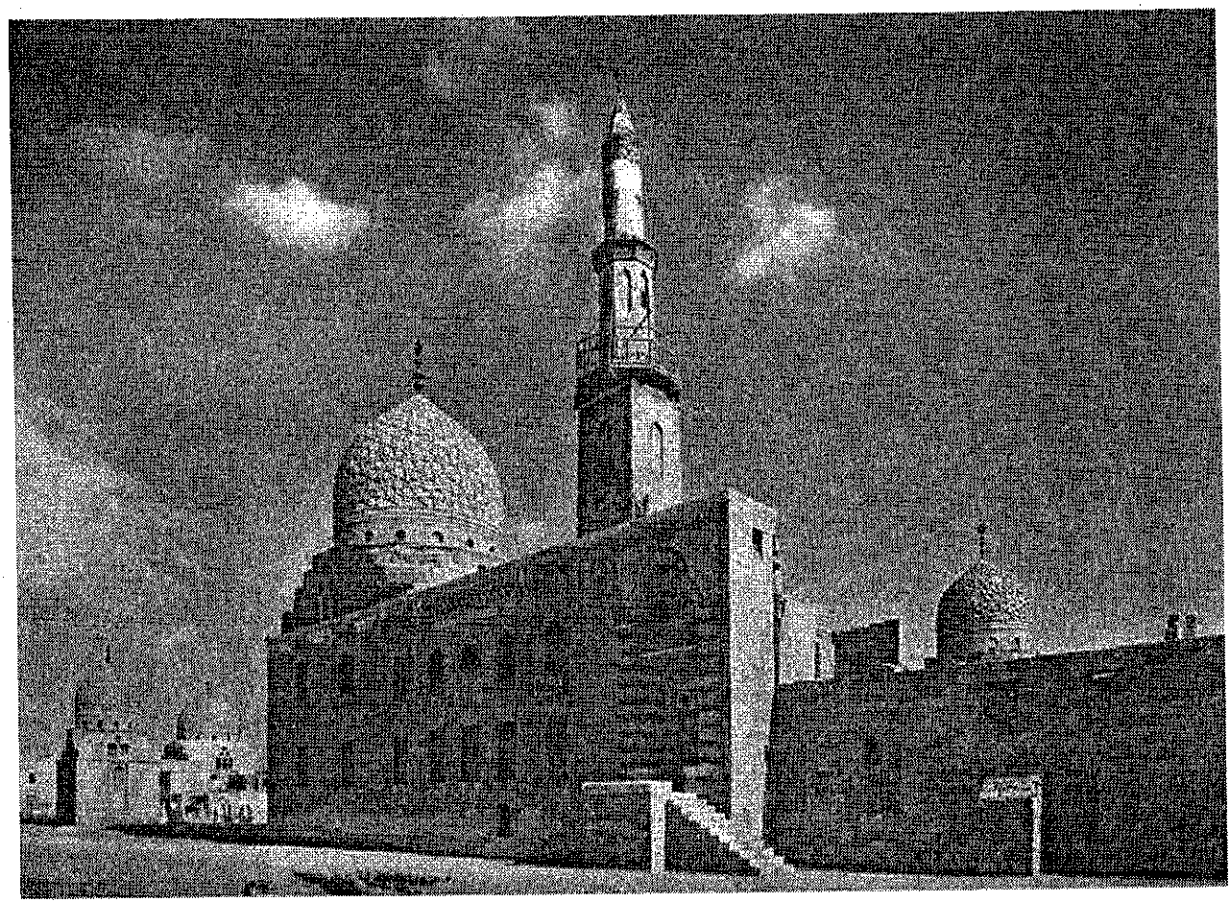

الخـانقـاه الأشـرفيـة بـرسبـاي

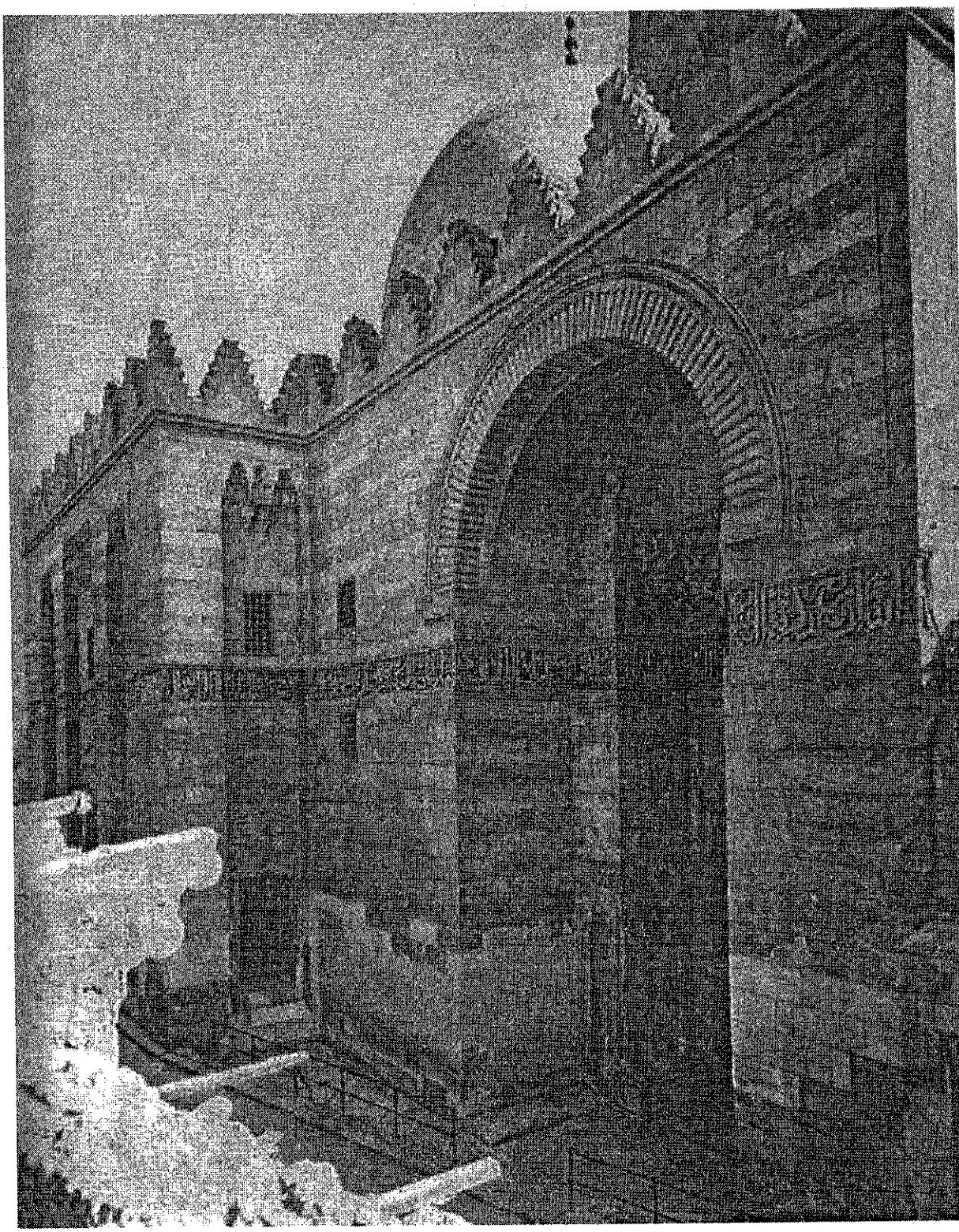

الخـــانقـــاه البيبرسية

www.elazhar.com

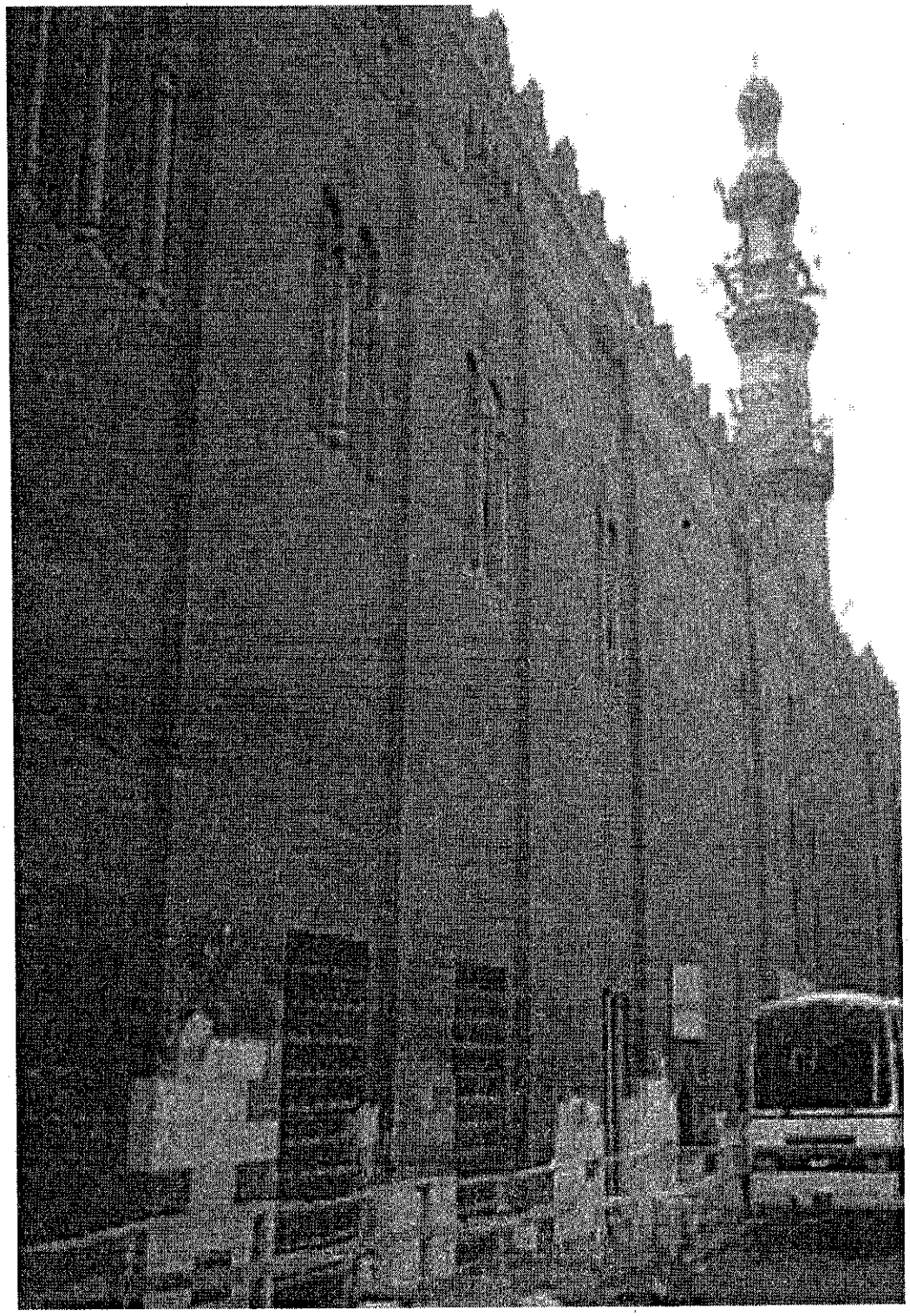

الخـــانقـــاه الشيخونية

www.elazhar.com

البيبليوغرافيا

البيبليوغرافيا

أوّلا: بالعربيـــــــة:

أ – المخطوطات:

- ابن خطاب (أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود المرسي ت: 686هـ/1285م)، **فصل الخطاب**، مكروفلم بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت رقم: 1316. d773

- ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمّد التـلمساني ت 781ه/1379م)، **الـمجـمـوع**، ميكروفيلم بالخزانة العامّة بالرباط، تحت رقم 20.

- ابن مرزوق الحفيد (محمد: ت 842ه/1438م)، **المفاتيح المرزوقيّـة في حـل أقـفال وخبايـا الخزرجية**، مخطوط بالمكتبة الوطنيّة بالحامة تحت رقم 2970.

- (ـــــــــــــ)، **إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2067.

- (ـــــــــــــ)، **حاشية على مختصر سعد لسعد التفتازاني على تلخيص المفتاح**، مخطوط بالمكتبة الوطنية بالحامة تحت رقم 2253.

ب – المصـــــــــادر المطبوعة:

1. ابن أبي حجلة (شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني ت: 776هـ/ 1376م)، **سكردان السلطان**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001.
2. ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ت 1110ه/1699م)، **المؤنس في أخبار إفريقيّة و تونس**، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت، 1993.
3. ابن أبي زرع (علي الفاسي ت: 726هـ /1325م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972.
4. ابن الأثير (عز الدّين أبي الحسن الجزري ت 630ه/1232م)، **الكامل في التاريخ**، الطبعة الثانية، الجزء التاسع، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967.
5. (ـــــــــــــ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، الجزء الثالث، دون مكان وتاريخ طبع.

18. ابن تيمية (تقي أبي العبّاس أحمد ت 728هـ/1328م)، **القاعدة المرّاكشية**، تحقيق: دغش بن شنب العجمي، دار ابن حزم، بيروت، 2002.

19.(ـــــــــــ)، **مجموع فتاوي ابن تيمية**، الجزء الخامس، جمع وترتيب : عبد الرّحمان النجدي، مطابع الرّياض، السعوديّة، 1381هـ.

20.(ـــــــــــ)، **الفرقان بين أولياء الرّحمان و أولياء الشيطان**، دار البعث، قسنطينة، 1987.

21. ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد البلنسي ت 614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987.

22. ابن جماعة (بدر الدّين ت 733هـ/1333م)، **المنهل الرّوي في مختصر علوم الحديث النّبوي**، الطبعة الثانية، تحقيق: محي الدين عبد الرّحمان، دار الفكر، دمشق، 1986.

23. ابن حبيب(الحسن بن عمر بن الحين بن عمر ت: 779هـ/ 1377م)، **تذكرة النبيه في أخبار المنصور وبنيه**، الجزء الأول، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1976.

24.ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت 852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، الجزء الثالث، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1939.

25. (ـــــــــــ)، **الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، (5 أجزاء)، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، 1966.

26.(ـــــــــــ)،**تقريب التهذيب**، الطبعة الثانية، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللّطيف، القاهرة، 1975.

27.(ـــــــــــ)، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، الجزء الأول، تحقيق: حامد عبد المجيد، محمد المهدي أبو سنة، محمد إسماعيل الصاوي، مراجعة: ابراهيم الأبياري، دون مكان وتاريخ نشر.

28.ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962.

29. ابن حوقل (أبو القاسم محمد النّصيبي ق 4هـ/10م)، **كتاب صورة الأرض**، الطبعة الثانية، (جزآن)، ليدن، (دار صادر، بيروت)، 1938.

30. ابن خرداذبة (أبو القاسم عبد الله)، **المسالك و الممالك**، ليدن، 1889.

31. ابن الخطيب (لسان الدين ت 776هـ/1374م)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام و ما يجر ذلك من شجون الكلام**، تحقيق: أحمد مختار العبادي، إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدّار البيضاء، 1964.

32. (ـــــــــــ)، **تاريخ إسبانيا الإسلاميّة أو كتاب أعمال الأعلام**، تحقيق: ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدّينيّة، القاهرة، 2006.

33. (ـــــــــــ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، (جزآن)، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901.

34. (ـــــــــــ)، **كنّاسة الدّكان بعد انتقال السكان**، تحقيق: كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 2003.

35. (ـــــــــــ)، **معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق: محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

36. (ـــــــــــ)، **شرح رقم الحلل في نظم الدول**، تحقيق، عدنان درويش، منشورات دار الثقافة، دمشق، 1990.

37. (ـــــــــــ)، **نفاضة الجراب في علالة الاغتراب**، نشر وتعليق: أحمد مختار العبادي، مراجعة: عبد العزيز الأهواني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.

38. (ـــــــــــ)، **ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب**، الجزء الثاني، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1981.

39.(ـــــــــــ)، **الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1963.

40. ابن خلدون (أبو زيد عبد الرّحمان ت 808هـ/1406م)، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،(الأجزاء 5 – 6 – 7)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

41. (ـــــــــــ)، **التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربًا**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

42. (ـــــــــــ)، **المقدّمة**، (جزآن)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1981.

43. (ـــــــــــ)، **شفاء السائل لتهذيب المسائل**، تحقيق: الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1959.

44. ابن خلدون (أبو زكرياء يحي ت 780هـ/1378م)، **بغية الرّواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، (جزآن)، ترجمة و نشر بالفرنسيّة: ألفرد بل، الجزائر، 1903-1910.

45. (ـــــــــــ)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، الجزء الأوّل، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

46. ابن خلّكان (أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (جزآن)، المطبعة الميمنية، مصر، 1310هـ.

47. ابن خليل (عبد الباسط ت 920هـ/1514م)، **رحلة عبد الباسط**، نشر و تحقيق بالفرنسيّة: روبرت برونشفك، باريس، 1936.

48. ابن دقماق (صارم الدّين إبراهيم بن محمد ت 809هـ/1406م)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، تحقيق: سمير طبارة، المكتبة العصريّة، بيروت، 1999.

49. (ـــــــــــ)، **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، الأجزاء 4-5، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، 1893.

50. ابن زكري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 900هـ/1493م) **غاية المرام في شرح مقدمة الإمام**، تحقيق: محند أوإدير مشنان، (جزآن)، دار التراث ناشرون، دار ابن حزم، الجزائر، 2005.

51. ابن زيد الجراعي (تقي الدين أبي بكر ت 883 هـ/1480م)، **تحفة الراكع و الساجد في أحكام المساجد**، تحقيق: طه الولي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1981.

52. ابن سحنون (محمد)، **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب: مراجعة: محمد العروسي المطوي، دار الكتب الشرقية: تونس، 1972.

53. ابن سحنون الرّاشدي (أحمد)، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق: المهدي بوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973.

54. ابن سعد، **الطبقات الكبرى**، الجزء السابع، دار صادر– دار بيروت، بيروت، 1958.

55. ابن شاكر الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد ت 764 هـ/1363م)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، الجزء الأوّل والثاني، تحقيق: محي الدّين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

56. ابن شدّاد (عزّ الدّين أبي عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ت 684 هـ/1285م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة**، تحقيق: سامي الدّهان، المعهد الفرنسي للدّراسات العربيّة، دمشق، 1956.

57. ابن شداد (بهاء الدين)، **النوادر السلطانية بالمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين**، تحقيق: جمال الدين الشيال، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964.

58. ابن صعد (محمد الأنصاري التلمساني)، **روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحيى بوعزيز، الجزائر، 2000.

59.ابن طباطبا (محمد بن علي الطقطقي)، **الفخري في الآداب السلطانية و الدّول الإسلاميّة**، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، حلب (سوريا)، 1997.

60.ابن طولون(محمد الصالحي الدمشقي)، **إعلام أهل الورى بمن ولي نائبا من الأتراك بدمشق الشام الكبرى**، تحقيق: محمد أحمد دهمان، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1964.

61. (ـــــــــ)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان تاريخ مصر والشام**، تحقيق: محمد مصطفى، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، 1962.

62. ابن عبّاد الرّندي (أبو عبد الله محمد النفزي الحميري ت 792 هـ/1390م)، **الرّسائل الصغرى**، تحقيق: الأب بولس يوحنا اليسوعي، دار المشرق، بيروت، 1974.

63. ابن عبد الهادي (محمد بن أحمد ت 744 هـ/1343م)، **العقود الدّرّية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، دون تاريخ طبع.

64. ابن عجيبة (أحمد بن محمّد الحسني)، **ألقاط الهمم في شرح الحكم و شرح الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية**، الطبعة الثانية، (جزآن)، المطبعة الجمالية، مصر، 1913.

65. ابن العديم (كمال الدّين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ت 660 هـ/1261م)، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، (جزآن)، تحقيق: سامي الدّهّان، دمشق، 1952.

66. ابن عذاري المراكشي (أبو الحسن أحمد كان حياته 712 هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، الجزء الأوّل، نشر: كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1980.

67. ابن العراقي (ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرّحيم بن الحسين ت 826 هـ/1423م)، **الذّيل على العبر في خبر من عبر**، (3 أجزاء)، تحقيق: صالح مهدي عبّاس، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، 1989.

68. ابن عساكر الدّمشقي (أبو القاسم علي بن أبي محمد ت 571 هـ)، **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1979.

69. ابن العماد الحنبلي (عبد الحي بن أحمد بن محمد ت 1089 هـ/1678م)، **شذرات الذّهب في أخبار من ذهب**، (8 أجزاء)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ طبع.

70. ابن العميد (المكين جرجس)، **أخبار الأيوبيين**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، دون تاريخ طبع.

71. ابن الفرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم)، **تاريخ ابن الفرات، المجلد السابع(672-682هـ)**، تحقيق:قسطنطين رزق، المطبعة الأمريكانية ، بيروت، 1942.

72. ابن فرحون اليعمري (برهان الدّين إبراهيم بن علي بن محمد ت 799 هـ/1397م)، **الدّيباج المذهب في معرفة أعيان المذهب**، مصر، 1351هـ.

73. ابن القاضي (أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد المكناسي ت 1025 هـ/1615م)، **درّة الحجّال في أسماء الرّجال**، (4 أجزاء)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النّور، دار النصر للطباعة، القاهرة، 1970.

74. (ـــــــــــ)، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973.

75. (ـــــــــــ)، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد في كتاب ألف سنة من الوفيات**، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ، 1976.

76. ابن قاضي شهبة (تقي الدّين أبي بكر بن أحمد ت 851 هـ/1448م)، **تاريخ ابن قاضي شهبة**، المجلد الأوّل، الجزء الثالث، تحقيق: عدنان درويش، المعهد العلمي الفرنسي للدّراسات العربيّة، دمشق، 1977.

77. ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي المراكشي)، **نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان**، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.

78. ابن قنفذ (أبو العبّاس أحمد القسنطيني ت 810 هـ/1407م، **أنس الفقير و عزّ الحقير**، تحقيق: محمد الفاسي – أدولف فور، دار المغرب للتأليف و الترجمة و النّشر، الرّباط، 1965.

79. (ـــــــــ)، **الـــوفيـــات**، تحقيق: هنري بيرس، المطبعة الثعالبيّة، الجزائر، دون تاريخ طبع.

80. ابن كثير الدّمشقي (أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت 774 هـ/1373م)، **البداية والنّهاية**، الطبعة السّادسة، (14 جزءًا)، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.

81. ابن مرزوق الخطيب (أبو عبد الله محمد التلمساني ت 781 هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

82. ابن مريم (أبو عبد الله بن أحمد المليتي التلمساني كان حيّا سنة 1014 هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان**، تحقيق: محمد بن أبي شنب، نشر: عبد الرّحمان طالب، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1986.

83. ابن الملقّن (سراج الدّين أبي حفص عمبر بن علي بن أحمد المصري ت 804 هـ/1401م)، **طبقات الأولياء**، تحقيق: نور الدّين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.

84. ابن منظور (المصري محمد بن مكرم بن علي ت 711 هـ/1311م)، **لسان العرب**، الجزء العاشر، دار صادر، بيروت، 1990.

85. ابن النّجار (محمد بن محمود ت 647 هـ/1249م)، **الدّرّة الثمينة في تاريخ المدينة**، مكتبة النهضة الحديثة، مكّة المكرّمة، 1956.

86. ابن نظيف الحموي (أبو الفضائل محمد بن علي ت ق 7 هـ/13م)، **التاريخ المنصوري تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان**، تحقيق: أبو العيد دودو، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

87. ابن واصل (جمال الدين محمد بن سالم ت:697هـ/1296م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، (5 أجزاء)، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، 1953.

88. ابن الوردي (زين الدين)، **تاريخ ابن الوردي**، الجزء الثاني، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969.

ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدّين بن يوسف (ت 761 هـ/1360م)، **شرح قطر النّدى و بلّ الصّدى**، تحقيق حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، 1988.

89. أبو شامة (شهاب الدّين أبي محمّد عبد الرّحمان بن إسماعيل المقدسي ت 665 هـ/1267م)، **كتاب الرّوضتين في أخبار الدولتين**، الجزء الأوّل، تحقيق: محمد حلمي، محمد أحمد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، المؤسّسة المصرية العامّة للتأليف و التّرجمة والطباعة و النّشر، القاهرة، 1962.

90. أبو الفداء (عماد الدّين إسماعيل الملك المؤيد ت 732 هـ/1331م)، **المختصر في أخبار البشر**، الجزء الثاني، تحقيق: محمود ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

91. الإدريسي (أبو عبد الله الشّريف ت 548 هـ/1154م)، **القارة الإفريقيّة و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق: إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1983.

92. الأصفهاني (أبو نعيم أحمد عبد الله ت 430 هـ)، **معرفة الصّحابة**، الجزآن الثالث والرّابع، تحقيق: محمد حسن، مسعد عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002.

93. الأصفهاني (عماد الدّين أبو عبد الله محمد بن محمد الكاتب)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، المطبعة الخيريّة، مصر، 1322 هـ.

94. الأنباري (كمال الدّين أبي البركات)، **نزهة الألباب في طبقات الأدباء**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

95. البغدادي السويدي (محمد أمين)، **سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، دون تاريخ طبع.

96. البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز ت 487 هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب مقتطف من المسالك و الممالك**، ترجمة و نشر: البارون دي سلان، مكتبة أمريكا والشرق، باريس، 1965.

97. البلوي (خالد بن عيسى)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، الجزء الأول، تحقيق: الحسن السائح، اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي، الإمارات العربية المتحدة- المملكة المغربية، مطبعة فضالة، المغرب، دون تاريخ.

98. بيبرس الدّوادار (الأمير ركن الدّين بن عبد الله المنصوري ت 725 هـ/1324م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: زبيدة محمد عطا، عين للدّراسات و البحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، القاهرة، 2001.

99. البيذق (أبو بكر بن علي الصنهاجي ت أواخر ق 6هـ/12م)، **أخبار المهدي بن تومرت**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

100. التنبكتي (أبو العبّاس أحمد بن أحمد بابا ت 1032 هـ/1624م)، **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، طُبِعَ على هامش الدّيباج لابن فرحون، مصر، 1351 هـ.

101. (ـــــــ)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، ضبط وتعليق: أبو يحيى عبد الله الكندري، دار ابن حزم، بيروت، 2002.

102. التنسي (محمد بن عبد الجليل ت 899 هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدّر و العقيان في بيان شرف بني زيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985.

103. (ـــــــ)، **تاريخ دولة الأدارسة من كتاب نظم الدّر و العقيان**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

104. (ـــــــ)، **الجانب الأدبي من مخطوطة نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان ملوك الدّولة الزيانيّة الجزائريّة**، تحقيق: بوطالب محي الدّين ، منشورات دحلب، الجزائر، 1993.

105. الجبرتي (عبد الرّحمان)، **عجائب الآثار في التراجم و الأخبار**، المطبعة العامريّة، مصر، 1322هـ.

106. الجويني (إمام الحرمين أبي المعالي النيسابوري ت 478 هـ)، **الشامل في أصول الدين**، تحقيق: هملوت كلوبفر، دار العرب، القاهرة، 1960.

107. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي 1067 هـ/1656م)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون**، استانبول، 1941.

108. الحميري (محمد بن عبد المنعم)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1975.

109. الدباغ (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي ت: 796هـ/ 1298م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه: أبو الفضل أبي القاسم بن عيسى بن ناجي

التنوخي ت: 839هـ/ 1436م، تصحيح وتعليق: ابراهيم شبوح، مكيبة الخانجي، تاقاهرة، 1968.

110. الذّهبي (شمس الدّين محمد بن أحمد ت 748 هـ/1348م) **سير أعلام النبلاء**، (الجزآن 17/16)، تحقيق: خيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، دون تاريخ طبع.

111. الرّاشدي (أحمد بن عبد الرّحمان)، **القول الأوسط في أخبار بعض من حلّ بالمغرب الأوسط**، تحقيق: ناصر الدّين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

112. الرّفاعي (حسن محمد)، **كتاب الأنوار في فضائل و تراجم و تواريخ و مناقب ومزارات آل البيت الأطهار**، مصر، 1356 هـ.

113. الزركشي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم كان حيّا سنة 894 هـ/1488م)، **تاريخ الدّولتين الموحديّة و الحفصيّة**، تحقيق: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، 1966.

114. السّخاوي (شمس الدّين محمد بن عبد الرّحمان ت 902 هـ/1497م)، **الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، (12 جزءًا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ طبع.

115. (ـــــــــ)، الذيل على رفع الإصر أو بغية العلماء والرواة، تحقيق: جودة هلال، محمد محمود صبح، مراجعة: علي البجاوي، دون مكان وتاريخ نشر.

116. السّيوطي (جلال الدّين عبد الرّحمان بن أبي بكر ت 911 هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، سعيد بن أحمد العيدروسي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005.

117. (ـــــــــ)، **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، (جزآن)، دار التراث، بيروت، 1978.

118. (ـــــــــ)، **طبقات الحفّاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.

119. (ـــــــــ)، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، حرّره، فليب حتي، المطبعة السورية الأمريكية، نيويورك، 1927.

120. (ـــــــــ)، **الإتقان في علوم القرآن**، الجزء الأوّل، تحقيق: سعيد المندوه، دار الفكر، بيروت، 1996.

121. (ـــــــــ)، **ألفية السيوطي في علم الحديث**، تصحيح و شرح: أحمد محمد شاكر، دار الرّجاء، الجزائر، 1984.

122. (ـــــــــ)، **بغية الوعّاة في طبقات اللّغويين و النّحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1964.

123. الشعراني (عبد الوهّاب)، **الطبقات الكبرى المسماة لواقح الأنوار في طبقات الأخيار**، (جزآن)، المطبعة العامرية، مصر، 1315 هـ.

124. الشفشاوني (محمد بن عسكر الحسني)، **دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، الطبعة الثانية، تحقيق: محمد حجي، الرباط، 1977.

125. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد ت 1255 هـ/1834م)، **البدر الطّالع بمحاسن من بعد القرن السّابع**، (جزآن)، مطبعة السعادة، القاهرة، 1348 هـ/1929م.

126. العيني (بدر الدّين محمود بن أحمد بن موسى ت 855 هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان**، (3 أجزاء)، تحقيق: محمد محمد أمين، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1987-1989.

127. (ـــــــــ)، **السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، محمد مصطفى زيادة، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1967.

128. الغبريني (أبو العبّاس أحمد بن أحمد ت 704 هـ/1304م)، **عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981.

129. الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد ت 505 هـ/1111م)، **إحياء علوم الدّين**، الجزء الأوّل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ طبع.

130. (ـــــــــ)، **المستصفى من علم الأصول**، الجزء الأوّل، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1937.

131. الفاسي (أبو الطيب تقي الدّين محمد بن أحمد الحسني المكي ت 832 هـ/1428م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، الجزء الثاني، مكتبة النهضة الحديثة، دار إحياء الكتب العربيّة، مكّة المكرّمة، 1956.

132. القرافي (بدر الدين ت: 946هـ/ 1533م)،**توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: أحمد الشتيوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

133. القزويني (زكريا بن محمود)، **آثار البلاد و أخبار العباد**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

134. القلصادي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد القرشي البسطي ت 891 هـ/1486م)، **رحلة القلصادي تمهيد الطالب و منتهى الرّاغب إلى أعلى المنازل و المناقب**، تحقيق: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

135. القلقشندي (أبو العبّاس أحمد بن علي بن أحمد ت 821 هـ/1418م)، **نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، القاهرة، بيروت، 1990.

136. (ـــــــــ)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، (14 جزءًا)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة و النّشر، القاهرة، 1985.

105. كاربخال (مارمول)، **إفريقيا**، ترجمة: محمد حجي و آخرون، دار نشر المعرفة، الرّباط، 1989.

137. الكتاني (عبد الحي الفاسي)، **التراتيب الإداريّة أو كتاب نظام الحكومة النبويّة**، (جزآن)، دار الكتاب العربي، بيروت، دون تاريخ طبع.

138. الكندي (محمد بن يوسف)، **ولاة مصر**، دار صادر، بيروت، دون تاريخ.

139. المالكي (أبو بكر عبد الله محمد ت ق 5 هـ/11م)، **رياض النفوس**، الجزء الأوّل، تحقيق: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1984.

140. الماوردي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت 450 هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدّينيّة**، تحقيق: عصام فارس الحرستاني، محمد إبراهيم الزّغلي، المكتب الإسلامي، بيروت، 1996.

141. مجهول (مؤلف)، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشيّة**، تحقيق: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرّشاد الحديثة، المغرب، 1979.

142. مخلوف (محمد بن محمد)، **شجرة النّور الزّكيّة في طبقات المالكيّة**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1349 هـ.

143. المراكشي (محي الدّين عبد الواحد ت ق 7 هـ/13م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق: صلاح الدّين الهوا ري، المكتبة العصرية، بيروت، 2006.

144. المغيلي (محمد بن عبد الكريم ت 909 هـ/1503م)، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1968.

145. المقدسي (المطهّر طاهر)، **كتاب البدء و التاريخ**، المجلد السّادس، مكتبة الثقافة الدّينيّة، مصر، دون تاريخ طبع.

146. المقدسي (أبو عبد الله محمد بن أحمد)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، الطبعة الثانية، ليدن، 1909.

147. المقدسي (أحمد بن قدامة)، **مختصر منهاج القاصدين** ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1394 هـ.

148. المقري (أبو العبّاس أحمد بن محمد التلمساني ت 1041 هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب و ذكر وزيرها لسان الدّين بن الخطيب**، (10 أجزاء)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت، 1998.

149. (ـــــــــ)، **أزهار الرّياض في أخبار القاضي عيّاض**، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1939.

150. المقريزي (تقيّ الدّين أبي العبّاس أحمد بن علي ت 845 هـ/1442م)، **كتاب المقفى الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

151. (ـــــــــ)، **كتاب السلوك لمعرفة دوّل الملوك**، الجزآن الأوّل و الثاني (6 أقسام)، تحقيق: مصطفى زيادة، الجزآن الثالث و الرّابع (6 أقسام)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة، 1934-1972.

152. (ـــــــــ)، **كتاب المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار المعروف بالخطط المقريزية**، الطبعة الثانية، (جزآن)، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، 1987.

153. المنجور (أحمد)، **فهرست أحمد المنجور**، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب للتأليف و الترجمة والنشر، الرباط، 1976.

154. الموصلي (موسى بن حسن ت 700 هـ/1300م)، **البرد و الموشي في صناعة الإنشاء**، تحقيق: عفاف سيد صبرة، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990.

155. النّاصري السلاوي (أبو العبّاس أحمد ت 1315 هـ/1897م)، **الاستقصاء لأخبار دوّل المغرب الأقصى**، الجزء الأوّل، تحقيق: محمد و جعفر الناصري، دار الكتب، الدّار البيضاء، 1954.

156. النّباهي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي كان حيّا سنة 793 هـ/1390م)، **تاريخ قضاة الأندلس المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء و الفتيا**، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

157. النّحفي (محمد علي الدّين الحسني)، **كتاب بحر الأنساب المسمى المشجّر الكشاف لأصول السّادة الأشراف**، مصرن دون تاريخ طبع.

158. النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ت 927 هـ/1521م)، **الدّارس في تاريخ المدارس**، (جزآن)، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1990.

159. النويري (الشهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب ت 732 هـ/1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، الأجزاء 27- 28 – 29 – 30، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1985.

160. (ـــــــــ)، **تاريخ المغرب في العصر الوسيط 27- 719هـ/ 647- 1319م من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، دون تاريخ.

161. الهروي (أبو الحسن علي بن أبي بكر ت 611 هـ)، **كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق: جانين سورديل طومين، المعهد الفرنسي للدراسات العربيّة، دمشق، 1953.

162. الهمذاني (محمد بن عبد الملك)، **تكملة تاريخ الطبري**، الطبعة الثانية، تحقيق: ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1961.

163. الوزان (الحسن بن محمد الفاسي المعروف بليون الإفريقي ت 957 هـ/1552م)، **وصف إفريقيا**، (جزآن)، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

164. الونشريسي (أبو العبّاس أحمد بن يحي ت 914 هـ/1511م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية و الأندلس و المغرب**، (12 جزءًا)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

165. (ـــــــــ)، **وفيات الونشريسي من كتاب ألف سنة من الوفيات**، تحقيق: محمد حجي، دال المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976.

166. ياقوت الحموي (شهاب الدين ت 626 هـ/1228م)، **معجم البلدان**، (5 أجزاء)، دار صادر، بيروت، 1986.

167. اليعقوبي (أحمد بن واضح)، **البلدان**، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2002.

ج- المراجع العربية والمعربة:

1. أبو زهرة (محمد)، **أبو حنيفة حياته و عصره و آراؤه و فقه**، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي، مصر، 1960.

2. (ـــــــــ)، **ابن تيمية حياته و عصره و آراؤه و فقه**، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، مصر، 1958.

3. ابن ضويان (إبراهيم بن محمد بن سالم)، **كتاب منار السبيل في شرح الدليل على مذهب الإمام المبجّل أحمد بن حنبل**، الجزء الأوّل، منشورات مؤسّسة دار السلام، دمشق 1378هـ.

4. أبو ضيف (أحمد عمر مصطفى) ، **القبائل العربيّة في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1982.

5. أبو عليان (عزمي عَبْدْ)، **مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك**، دار النفائس، عُمَانْ، 1995.

6. إيرڤينج (واشنطون)، **سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلاميّة بالأندلس**، ترجمة: إسماعيل العربي، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1988.

7. البتنوني (محمد لبيب)، **الرّحلة الحجازيّة**، الطبعة الثانيّة ، مطبعة الجماليّة، مصر،1329 هـ.

8. بشتاوي (عادل سعد)، **الأندلسيون المواركة**، المقطّم للنشر و التوزيع، القاهرة، 1983.

9. البغدادي (إسماعيل باشا)، **هدية العارفين في أسماء المؤلفين و آثار المصنفين**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1992.

10. بل (ألفرد)، **الفرق الإسلاميّة في الشمال الإفريقي من الفتح إلى اليوم**، الطبعة الثالثة، ترجمة: عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987.

11. بلعربي (خالد)، **الدّولة الزيانيّة في عهد يغمرا سن دراسة تاريخيّة و حضاريّة 633-681 هـ/1235-1282م**، R. N.Imprimerie، تلمسان، 2005.

12. بلغيث (محمد الأمين)، **النظريّة السياسيّة عند المرادي و أثرها في المغرب والأندلس**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989.

13. بن قربة (صالح)، **المئذنة المغربيّة الأندلسية في العصور الوسطى**، الشركة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986.

14. بن عبد الله (محمد)، **الوقف في الفكر الإسلامي**، الجزء الأوّل، مطبعة فضالة، المغرب، 1996.

15. بن عميرة (محمد)، **دور زناتة في الحركة المذهبيّة بالمغرب الإسلامي**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

16. بوتشيش (إبراهيم القادري)، **إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي و تاريخه الاقتصادي والاجتماعي**، دار الطليعة، بيروت، 2002.

17. بورويبة (رشيد)، **الكتابات الأثرية في المساجد الجزائريّة**، ترجمة: إبراهيم شبّوح، الشركة الوطنيّة للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979.

18. (ـــــــــ)، **الحياة الفنيّة في عهد الزيانيين و المرينيين**، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

19. بوكلي (حسن جمال الدين)، **الإمام ابن يوسف السنوسي و علم التوحيد**، المؤسّسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

20. التفتازاني (أبو الوفاء الغنيمي)، **مدخل إلى التصوف الإسلامي**، الطبعة الثالثة، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، 1975.

21. توات (الطاهر)، **ابن خميس شعره و نثره**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.

22. توفيق (محمد)، **تذييل كتاب بحر الأنساب للنجفي**، مصر، 1336 هـ.

23. جوزف (دللي و لفرد)، **العمارة العربيّة بمصر**، ترجمة: محمود أحمد، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 2000.

24. الجيلالي (عبد الرّحمان)، **تاريخ الجزائر العام**، الجزء الأوّل، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر – دار الثقافة، بيروت، 1982.

25. حاجيات (عبد الحميد)، **أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

26. (ـــــــــ)، **تاريخ الجزائر السياسي في عهد الموحدين**، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

27. (ـــــــــ)، **الحياة الفكريّة بالجزائر**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

28. الحدّاد (محمد إسماعيل)، **السلطان المنصور قلاوون**، الطبعة الثانيّة، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998.

29. حسام الدين (إسماعيل محمد)، **الأصول المملوكيّة للعمائر العثمانيّة**، دار الوفاء، الإسكندريّة، 2002.

30. حسن (إبراهيم حسن)، **تاريخ الدّولة الفاطميّة**، الطبعة الثانية مكتبة النهضة العربيّة، القاهرة، 1958.

31. حسن (حسن علي)، **الحضارة الإسلاميّة في المغرب والأندلس (عصر المرابطين والموحدين)**، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980.

32. الحفناوي (أبو القاسم محمد)، **تعريف الخلف برجال السلف**، قسمان، مؤسّسة الرّسالة – المكتبة العتيقة، تونس، 1985.

33. حقي (إحسان)، **تونس العربيّة**، دار الثقافة، بيروت، دون تاريخ.

34. حمزة (عبد اللّطيف)، **الحركة الفكريّة في مصر في العصرين الأيوبي و المملوكي الأوّل**، الطبعة الثامنة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1968.

35. الدراجي (بوزياني)، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانيّة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1993.

36. دهمان (أحمد)، **ولاة دمشق في عهد المماليك**، الطبعة الثانيّة، دار الفكر، دمشق، 1981.

37. دهينة (عطاء الله)، **العصر الذهبي الزيانيين**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

38. (ـــــ)، **الدّولة الزيانيّة في عهد يغمرا سن**، ضمن كتاب: الجزائر في التاريخ، الجزء الثالث، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

39. الرفاعي (أحمد أمين)، **عصر المأمون**، الجزء الأوّل، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، 1927.

40. رنسيمان (ستيفن)، **تاريخ الحروب الصليبيّة**، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1954.

41. زبادية (عبد القادر)، **الحضارة العربيّة الإسلاميّة و التأثير الأوروبي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصحراء**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1989.

42. الزر كلي (خير الدين)، **الأعلام قاموس تراجم**، دار العلم للملايين، بيروت، 1969.

43. زغلول (عبد الحميد سعد)، **تاريخ المغرب العربي**، الجزء الأوّل، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1997.

44. زكي (محمد حسن)، **الرّحالة المسلمون في العصور الوسطى**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

45. (ـــــــ)، **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

46. (ـــــــ)، **الفن الإسلامي**، دار الرائد العربي، بيروت، 1981.

47. زيتون (محمد محمود)، **الحافظ السّلفي أشهر علماء الزمان**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، دون تاريخ طبع.

48. زيدان (جرجي)، **تاريخ آداب اللّغة العربيّة**، الجزء الثالث، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

49. سالم (عبد العزيز)، **مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1967.

50. (ـــــــ)، **قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس**، الجزء الثاني، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1972.

51. سالم (عبد العزيز)، سحر السيد سالم عبد العزيز، **دراسة في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997.

52. سالم (عبد العزيز)، العبادي (أحمد مختار)، **تاريخ البحريّة الإسلاميّة في المغرب والأندلس**، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1969.

53. سالم (سحر السيد عبد العزيز)، **العراقيون في مصر في القرن السابع الهجري**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1991.

54. سزكين (فؤاد)، **تاريخ التراث العربي**، الجزء الثاني، ترجمة: محمود فهمي حجازي، فهمي أبو الفضل، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1978.

55. سعد الله (أبو القاسم)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الثاني، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

56. سليمان (حسين محمد)، **التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخيّة مقارنة**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، 1988.

57. السيد النّشّار (السيّد)، **تاريخ المكتبات بمصر العصر المملوكي**، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة، 1993.

58. السيد (محمود)، **تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، دون تاريخ طبع.

59. (ـــــــــــ)، **تاريخ العرب في الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2003.

60. شاوش (محمّد رمضان)، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة بني زيان**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1995.

61. شاوش (محمّد بن رمضان)، بن رحمان (الغوثي)، **الأديب العربي الجزائري عبر النصوص**، الجزء الأوّل، دار بريكسي، تلمسان، 2001.

62. شريفي (محمّد سعيد)، **خطوط المصاحف عند المشارقة و المغاربة من ق 4 – 10 هـ**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

63. شلبي (أحمد)، **تاريخ التربيّة الإسلاميّة**، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1973.

64. الشنتاوي (أحمد)، **دائرة المعارف الإسلاميّة**، المجلد العاشر، مصر، دون تاريخ طبع.

65. الصّلابي (علي محمّد)، **إعلام أهل العلم و الدّين بأحوال دولة الموحدين**، دار التوزيع والنّشر الإسلاميّة، القاهرة، 2003.

66. الصياد (فؤاد عبد المعطي)، **المغول في التاريخ**، الجزء الأوّل، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1970.

67. ضومط (أنطوان خليل)، **الدّولة المملوكيّة التاريخ السياسي و الاقتصادي**، الطّبعة الثانية، دار الحداثة، بيروت، 1982.

68. الطّمار (محمد بن عمرو)، **تلمسان عبر العصور**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984.

69. (ـــــــــــ)، **الرّوابط الثقافيّة بين الجزائر و الخارج**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

70. الطّوخي (أحمد محمد)، **مظاهر الحضارة في عصر بني الأحمر**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1997.

71. عاشور (سعيد عبد الفتاح)، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النّهضة العربيّة، القاهرة، 1962.

72. (ـــــــــــ)، **مصر و الشّام في عصر الأيوبيين و المماليك**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1972.

73. عاصي (حسن)، **ابن إياس مؤرّخ الفتح العثماني لمصر**، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1993.

74. العبادي (أحمد مختار)، **في التاريخ الأيوبي و المملوكي**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 1992.

75. (ـــــــــــ)، **في تاريخ المغرب و الأندلس**، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندريّة، 2003.

76. (ـــــــــــ)، سالم (عبد العزيز)، **تاريخ البحريّة الإسلاميّة في مصر و الشام**، دار النّهضة، بيروت، 1981.

77. عبد الرّحيم (إبراهيم جمال)، **الفنون الزّخرفيّة في العصرين الأيوبي و المملوكي**، مصر، 2000.

78. عبد الرزّاق (أحمد)، **تاريخ و آثار مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربية، القاهرة، 1999.

79. عبد الستار (عثمان محمّد)، **نظريّة الوظيفة بالعمائر الدينيّة المملوكيّة الباقيّة بمدينة القاهرة**، دار الوفاء، الإسكندريّة، 2000.

80. عبد المنعم (جاد الله منال)، **التصوف في مصر والمغرب**، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1997.

81. عبد الوهّاب (حسن)، **تاريخ المساجد الأثريّة بالقاهرة**، (جزآن)، أوراق شرقيّة للطباعة والنّشر والتوزيع، القاهرة، 1946.

82. العريني (السيّد الباز)، **المماليك**، دار النّهضة العربيّة، بيروت، 1967.

83. عيسى بك (أحمد)،تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرّائد العربي، بيروت، 1981.

84. فروخ (عمر)، **تاريخ الفكر العربي**، دار العلم للملايين، بيروت، 1966.

85. فيلا لي (عبد العزيز)، **تلمسان في العهد الزياني**، (جزآن)، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، الجزائر، 2002.

86. فيلا لي (مختار الطّاهر)، **نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العثماني**، دار الفن الغرافيكي، باتنة، دون تاريخ طبع.

87. قاسم عبد الحكيم (عبد الغني)، **المذاهب الصوفيّة ومدارسها**، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999.

88. قسوم (عبد الرزّاق)، **عبد الرّحمن الثعالبي والتصوّف**، الشركة الوطنيّة للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978.

89. كارديك (لوي)، **المورسكيون و المسيحيون**، ترجمة: عبد الجليل التميمي، منشورات المجلّة التاريخيّة المغربية – ديوان المطبوعات الجامعيّة، تونس – الجزائر، 1983.

90. كحيلة (عبادة)، **المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب**، المطبعة الإسلاميّة الحديثة، القاهرة، 1997.

91. كراتشكوفسكي (أغناطيوس يوليا نوفيتش)، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، الجزء الأوّل، ترجمة : صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف و التّرجمة و النّشر، القاهرة 1963.

92. لي تورنو (روجي)، **حركة الموحدين في المغرب في القرنين الثاني عشر و الثالث عشر**، ترجمة: أمين الطيبي، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا – تونس، 1982.

93. ماجد (عبد المنعم)، **الدّولة الأيوبيّة في تاريخ مصر الإسلاميّة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

94. (ــــــــــــــ)، **دولة سلاطين المماليك و رسومهم في مصر**، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1964.

95. مارسي (جورج)، **بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى**، ترجمة: محمود عبد الصمد هيكل، منشأة المعارف، الإسكندريّة، 1991.

96. متز (آدم)، **الحضارة الإسلاميّة في القرن الرّابع الهجري عصر النّهضة في الإسلام**، ط 4، الجزء الأوّل، ترجمة: محمّد عبد الهادي أبوريدة، دار الكتاب العربي – مكتبة الخانجي، القاهرة، بيروت، 1967.

97. محمد بهجت (منى محمّد بدر)، **أثر الحضارة السلجوقيّة في دوّل شرق العالم الإسلامي على الحضارتين الأيوبيّة و المملوكيّة بمصر**، الجزء الأوّل، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002.

98. محمّد رزق (عاصم)، **خانقاوات الصوفيّة في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**، (جزآن)، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997.

99. موسى (عز الدين أحمد)، **دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**، دار الشروق، بيروت، 1983.

100. الميلي (مبارك)، **تاريخ الجزائر في القديم و الحديث**، الجزء الثاني، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، دون تاريخ طبع.

101. الندوي (أبو الحسن)، **رجال الفكر و الدّعوة في الإسلام**، (جزآن)، دار القلم، دمشق، 2002.

102. نويهض (عادل)، **معجم أعلام الجزائر**، منشورات المكتب التجاري، بيروت، 1971.

103. هلال (عمار)، **العلماء الجزائريون في البلدان العربيّة و الإسلاميّة فيما بين القرنين التاسع و العشرين الميلاديين (3 هـ/14م)**، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1995.

104. وليم موير (السير)، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، ترجمة، محمد عابدين ، سليم حسن، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

د – المقالات و الدّوريات و الملتقيات:

1. أبو اليزيد (أشرف)، "رحلة الحج رحلات المحمل الشريف"، **مجلة العربي**، العدد 566، يناير 2006.

2. البكري (بكري)، "تمنطيط رمز تاريخ و عنوان حضارة"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

3. بلحميسي (مولاي)، "دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية 1974.

4. بودواية (مبخوت)، "دور علماء تلمسان الزيانيّة في ترسيخ الحضارة الإسلاميّة بالسودان الغربي (ق 15-16م)"، **مجلة الواحات**، العدد الأوّل، ديسمبر 2006.

5. بورويبة (رشيد)، " جولة عبر مساجد تلمسان"، **مجلة الأصالة**، العدد 26، 1975.

6. البوعبدلي (المهدي)، "أهم الأحداث الفكريّة بتلمسان عبر العصور و نبذ مجهولة من تاريخ بعض أعلامها"، **مجلة الأصالة**، السّنة الرّابعة، العدد 26 جويلية/أوت 1975.

7. بوعزيز (يحي)، "مركز بجاية الحضاري"، **مجلّة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

8. بوعياد (محمود)، "رحالة مصري يزور الجزائر خلال القرن 9هـ"، **مجلة الأصالة**، العدد 24، 1975.

9. الجميلي (رشيد عبد الله)، "حملة هو لاكو على بغداد (656هـ)"، **مجلة المورد**، المجلد الثامن، العدد الرّابع، بغداد، 1979.

10. حاجيات (عبد الحميد)، "ملاحظات حول تطور الحريات الدينيّة بالجزائر في عهد الموحدين"، **مجلة كلية الآداب**، المجلد الثاني، العدد الأوّل، نوفمبر 2000.

11. (ـــــــــ)، "تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

12. (ـــــــــ)، "الحياة الفكريّة في عهد بني زيان"، **مجلّة الأصالة**، العدد 26، 1975.

13. خرماش (محمد)، "نظام التعليم بالقرويين بين القديم و الحديث"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، 1993.

14. رعد (سعيد محمّد)، "دور بجاية الحماديّة في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخيّة عن العمران البشري و أثر ذلك في تاريخ الفكر الإسلاميّ"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلامي**، بجاية، 1974.

15. الزوادي (رشيد)، "التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلاميّ"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

16. زيادة (نقولا)، "المعلّم"، **مجلة العربي**، العدد 516، نوفمبر 2001.

17. سعد (أحمد صادق)، "المغول"، **مجلة آفاق عربيّة**، العدد 4، ديسمبر 1976.

18. عامر (إبراهيم)، تأثيرات معماريّة وافدة على العمائر المملوكيّة بمدينة القاهرة 648 – 923هـ / 1250–1517م"، ضمن كتاب دراسات في الوطن العربي، الجزء الثاني، **الملتقى الثالث لجمعية الآثاريين العرب**، القاهرة، نوفمبر 2002.

19. عزوزي (إدريس)، "الكراسي العلميّة بجاية القرويين أيام ازدهارها و إشعاعها الفكري"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

20. عزوزي (حسن)، "التأليف في القراءات في المغرب و الأندلس"، **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

21. الغيطاني (جمال)، "أسيلة القاهرة"، **مجلة العربي**، العدد، 308، جويلية 1983.

22. قاسم (قاسم عبده)، المقريزي شاهد عصره"، **مجلة العربي**، العدد 566، يناير 2006.

23. القاضي (وداد)، "النظريّة السياسيّة للسلطان أبي حمو الزياني و مكانتها بين النظريات السياسيّة المعاصرة، **مجلة الأصالة**، العدد 27، 1975.

24.. قلاينة (المكي)، "التعديل عند ابن حزم" **مجلة الحضارة الإسلاميّة**، العدد الأوّل، أبريل 1993.

25. الكعاك (عثمان)، "البجائيون"، **الملتقى الثامن للفكر الإسلاميّ**، بجاية، مارس – أبريل، 1974.

26. لعرج (عبد العزيز)، "حفريّة المنصورة بتلمسان"، **الملتقى الثالث لجمعيّة الآثاريين العرب**، القاهرة، نوفمبر 2002.

27. المنوني (محمد)، إبراهيم التازي نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين خلال ق 9هـ/15م "، **مجلة الثقافة**، العدد 91، 1986.

د – الرّسائل الجامعية:

1. بسنوسي (سيدي محمد الغوثي)، **الأصول العميقة لمعايير التناسق في العمارة الدينية الإسلامية بالمغرب العربي**، رسالة دكتورة، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2000.

2. بلحسن (إبراهيم)، **العلاقات الثقافيّة بين المغربين الأوسط و الأدنى من ق 7 – 9 هـ / 13–15م** ، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبيّة، جامعة تلمسان، 2005.

3. بن داود (نصر الدين)، **علماء أسرة المرازقة و دورهم الثقافي بتلمسان من ق 7 – 10 هـ/ 13 – 16م**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2002–2003.

4. بنطاهر (زين العابدين)، **الرحلة العبدرية إلى الوجهة الحجازية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري الحاجي المغربي**، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس ، 1992– 1993.

5. بنواحي (عبد الرزاق)، **زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ لمحمد بن محمد الأعرج السلماني (ت: 1344هـ/ 1925م)**، دراسة وتحقيق، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ المعاصر، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس، 1996– 1997.

6.بودواية (مبخوت)، **العلاقات الثقافيّة و التجارية بين المغرب الأوسط و السودان الغربي خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005 – 2006.

7. بوشقيف (محمد)، **العلوم الدينيّة بالمغرب الأوسط خلال القرن 9 هـ/15م**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2004.

8. الحسن (إسكان)، **جوانب من التعليم بالمغرب الوسيط من ق7هـ/13م إلى ق 9هـ/15م**، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1987-1988.

9. خوالد (فرحات الشريف)، **أبو عبد الله بن خميس التلمساني**، حياته و أدبه، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنيّة، 1993.

10. عبدلي (لخضر)، **الحياة الثقافيّة بالمغرب الأوسط خلال عهد بني زيان**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2005.

11. لقزيز (العربي)، **مدارس السلطان أبي الحسن علي مدرسة أبي مدين نموذجا دراسية أثرية وفنية**، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبيّة بجامعة تلمسان، 2000-2001.

ثـــانـــيـــــــــا: باللّغة الأجنبيّة:

أ – المراجع:

1. Barges (L.J), **complément de l'histoire des Béni-Ziyan Rois de Tlemcen**, Paris 1887.
2. Bouali (S.A), **les deux grandes siéges de Tlemcen**, ENAL, Alger, 1984.
3. Bourouiba (R.), **Ibn-Tumart**, SNED, Alger, 1982.
4. ( ), **l'art religieux Musulman en Algérie**, SNED, Alger, 1993.
5. Brignon (J.), **histoire du Maroc**, Librairie Nationale, Casablanca, 1967.
6. Brunshrik, **deux récits de voyage inédits en Afrique du nord au XV^{éme} siècle : Abdel-basit B. Halil et Adoine**, Larose, éditeurs, Paris 1936.
7. Dhina (A.), **les Etats de l'Occident Musulmane**, ENAL, O.P.U, Alger, 1984.
8. Gaïd (M.), **les Berbers dans l'histoire**, tome 2, édition Mimouni, Alger, (S.D).

9. Julien (CH.A.), **histoire de l'Afrique du Nord**, tome 2, SNED, Alger, 1975.
10. Léon (H.), **histoire d'Oran**, édition Dar El Gharb, Oran, 2002.
11. Marçais (G.), **Tlemcen**, édition de Tell, Blida, 2003.
12. Marçais (G. et W.), **les monuments Arabes de Tlemcen**, librairie Thom, Paris, 1903.
13. Rinn (L.), **Marabouts et Khouans**, Alger, 1884.

ثـــــانـــــيـــــا: المقـــــــــالات :

1. Ben Ghoaib, les Marabouts petits monuments funéraires et notifs du Nord de l'Afrique, **revu Africaine**, n° 64, 1923.
2. Ben Ridouan (A.), étude sur les Soufisme, traduction : Arnaud (M.), in : **revu Africaine**, n° 32, 1898.
3. Berbrugger (M.), Tlemcen, (Pomaria), in : **revu Africaine**, n° 2, 1857-1858.
4. ( ), notes historique sur les mosquées et autres édifiés religieuse d'Alger, **revu Africaine**, n° 4, 1859-1860.
5. Boualga (H.A), Sidi El Houari saint Patron de la ville d'Oran, **bulletin de la Société de géographie d'archéologie d'Oran**, 1977-1978.
6. Bouali (S.A), un maître Maghrébin méconnu de XII siècle, ALABILI, **bulletin de la société de géographie d'archéologie d'Oran**, 1977-1978.
7. Brosslard (C.H), Habous des mosquées –Sidi-Senouci, **revu Africaine**, n° 29, Septembre 1861.
8. Cauvet, les marabouts petits monuments funéraires et notifs du Nord de l'Afrique, **revu Africaine**, n° 64, 1923.

فہرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

	الصفحة
المقدمة.....	أ
مدخل:الواقع السياسي بالبلدين.....	1
أولا: الدّولة الزيانية.....	5
1- أصل بني عبد الواد.....	5
2- استقرارهم بتلمسان.....	6
3- توليهم الحكم.....	7
4. دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدّولة.....	8
5. حدود الدّولة الزيانية.....	10
ثانيا: دولة المماليك.....	12
1. أصل المماليك.....	12
2. قيام دولة المماليك.....	15
3. دولتا المماليك.....	17
أ. دولة المماليك البحرية: (648-784 هـ/1250-1382م).....	17
ب. دولة المماليك الجراكسة:(784-923 هـ/1382-1517م).....	20
الفصل الأوّل:الحياة الثقافية لـــدولة بني زيـــان.....	24
تـــــمهيـــــد.....	25

أولا: المؤسّسات التعليميّة و الثقافيّة..... 30
1. المساجـــــد..... 30
2. الكتاتيـــــب..... 34
3. المـــــدارس..... 35
4. الزّوايـــــا..... 38
5. المكتبـــــات..... 39
ثانيا: التـــــعليـــم..... 40
1. مراحل التعليم..... 41
أ . المرحلة الإبتدائية..... 41
ب. مرحلة التّعليم العالي..... 42
2. طرق التدريس..... 42
ثالثا: الحركة العلميّة و مشاهير العلماء..... 43
1. العلوم الدينيّة و التصوف..... 43
2. العلوم اللسانية و الاجتماعية..... 50
3. العلوم العقليّة..... 54
الفصل الثاني: الحياة الثقافيّة لدولة المماليك بمصر..... 56
تمهيـــــد..... 57
أولا: المؤسّسات التعليميّة و التعليم..... 61
1. الجوامع و المساجد..... 61
2. الكتاتيب..... 65
3. المدارس..... 66
4. الخوانق و الرّبط والزوايا..... 73
5. مؤسّسات أخرى:..... 79
أ . البيمارستانات..... 79
ب . الترب و القباب..... 80
6. المكتبات..... 81
7. التعليم:..... 82
أ . التعليم بالكتاب..... 82
ب .التعليم العالي..... 83
ثانيا: الحركة العلمية و مشاهير العلماء..... 84
1. العلوم الدينيّة..... 84

2. التصوف..... 92
3. الآداب و اللغة..... 94
4. التاريخ 97
5. العلوم العقلية..... 99
الفصل الثالث:عوامل الاتصال الثقافي بين البلدين..... 101
تمهيـــــــد..... 102
أولا: العلاقات بين الحكام..... 102
1. أثر المرينيين في العلاقات الزيانية – المملوكية..... 102
2. رسالة أبي تاشفين إلى الملك الناصر..... 104
3. موقف الناصر من سقوط تلمسان..... 105
4. هدية أبي زيان للظاهر برقوق..... 105
5. أثر العلاقات السياسية على العلاقات الثقافية..... 106
ثانيا: الرحلة بين المغرب الأوسط ومصر ودورها في ربط العلاقات الثقافية 107
1. دوافعها، مسالكها ومشاقها..... 107
2. رحلة الحج ودورها الثقاي..... 109
3. الرحلة في طلب العلم..... 112
4. منشآت الطلبة المغاربة بمصر..... 113
5. حركة العلماء بين البلدين ودورها في تمتين الروابط الثقافية..... 113
ثالثا:دور الأندلسيين..... 129
الفصل الرابع:مظاهر العلاقات الثقافية وأثرها بالبلدين..... 135
تمهيـــــــد..... 136
أولا: دينيا وروحيا..... 137
1.انتشار المذهب السني..... 137
2.انتشار عقيدة الأشاعرة..... 140
3.انتشار ظاهرة التصوف والطرق الصوفية..... 143
4.الاعتقاد في الأولياء والمشايخ..... 150
ثانيا: علميا وفنيا..... 153
1. بناء المدارس..... 153
2. تطور مناهج التعليم وطرق التدريس..... 156

3. الإجازات العلمية..... 158
4. حركة الجدل والمناظرات العلمية..... 160
5. الوراقة والنسخ وتبادل الكتب..... 165
6. فنيا وعمرانيا..... 173
الخاتمة..... 176
الملاحق..... 180
البيبليوغرافيا..... 206
فهرس الموضوعات..... 234

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بموضوع العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط ومصر خلال عهد بني زيان والمماليك، أي من القرن7هـ/13م إلى القرن 9هـ/15م، حيث شهد البلدان خلال هذه الفترة ازدهارا ثقافيا ملحوظا، وانتشارا للمؤسسات التعليمية وبروز الكثير من العلماء الذين كانوا يرتحلون من بلدانهم إلى الأقاليم المجاورة، فنسجوا مع نظرائهم خيوط هذه العلاقات، التي شملت المجالات الدينية والروحية والعلمية والفنية، وظهرت من خلال تبادل المعارف والعلوم والمناهج والمصنفات العلمية، وكان لها آثار إيجابية على تطور الحياة الثقافية بالبلدين خاصة بالمغرب الأوسط.

الكلمات المفتاحية: الدولة الزيانية- المغرب الأوسط- المماليك- مصر- الحياة الثقافية- التبادل العلمي.

Réaumé:

Cette recherche étudie les relations culturelles entre le Maghreb central et l'Egypte à l'époque des Bani Zayyan et les Mamlouks (7-9 H /9-15 J-C), cette période est marquée par un mouvement culturel important au niveau des deux pays avec la construction des établissements éducatifs, et le mouvement des savants entre les régions du monde islamique qui a amélioré les relations culturelles dans tous les domaines notamment: religieuses, scientifiques, le changement des connaissances , méthodes et des livres, qui a aidé le développement de la vie culturelle au niveau des deux pays surtout au Maghreb Central.

Les mots clés : Zianide- Maghreb centrale- Mamlouk- vie culturelle- échange culturel.

Summary:

This research studied the cultural relation between the Central Maghreb and Egypt at the era of Bani Zayyan and Mamlouks (7-9 H /9-15 J-C), this period marked by an important cultural movement on the level of the two countries with the construction of the educational establishments, and the movement of the scientists between the areas of the Islamic world which improved the cultural relation in all the fields in particular: nuns, scientists, and change of knowledge , methods and the books, which with helped the cultural development of the cultural life on the level of the two countries especially in the Central Maghreb.

Keywords: Zianide- Central Maghreb-Mamlouk- cultural life- cultural relation.